مشاهدات في بلاد العنصريين

بقلم

محمد ناصر العبودي

من اصدارات نادي القصيم الأدبي
ببريدة

اهداءات ١٩٩٤
المملكة العربية
السعودية

مشاهدات في بلاد العنصريين

رحلة إلى جنوب أفريقية وحديث في شئون المسلمين

محمد بن ناصر العبودي

الإصدار العاشر
لمطبوعات نادي القصيم - بريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن رحلتنا هذه تتجه إلى الجنوب المتعصب ، وسبب التعصب هو عقدة التفوق التى توجد في نفوس السكان البيض فيه أو هكذا يقولون ويعلنون ، وإن كان الأمر في الحقيقة خلاف ما يزعمون .

فهو ليس بأن من يسمونهم الملونين والسود والآسيويين أو العناصر غير البيضاء في جنوب إفريقية غير ذكية وغير مفلحة ولكنه خوفهم الشديد من أن يستولى هؤلاء على

السلطة وهم الأكثرية التى تزداد كثرة على الأيام فتتغلب عليهم وهم الأقلية التى لا تتكاثر بالنسبة التى يتكاثر بها أولئك .

ولقد ألف الناس في بلادنا أن يروا التعصب المبني على عقدة التفوق في المهارة التى هي أمر حقيقي أو التفوق في العنصر وهو أمر وهمي عند أكثر الناس تأتى من الشمال أو الغرب ولكننا الآن نجدها في الجنوب ، وليس ذلك فحسب ، وإنما في القارة الإفريقية خلف الصحراء وهي القارة التى لاتدعي التفوق على الأجناس الأخرى من الناس في العادة . إلا أنه ينبغي للمرء أن يتذكر أن هذا التعصب الافريقي هو قادم من الشمال إذ يعتنقه أناس قدموا في الأصل من أوروبا .

ونظراً إلى أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وإعطاء فكرة عن تصورات هؤلاء الأوروبيين العنصريين يتطلب الإطلاع على مايجرونه ويعملونه في بلادهم فإنني سوف أؤجل ذلك إلى ما بعد مشاهداتي في هذه الرحلة ان شاء الله .

إن هذا الكتاب ليس هو رحلة مجردة يقتصر الحديث فيها على ما يشاهده الكاتب السائح في البلاد والعباد ، وإنما قد يتحدث عن أشياء لا يستسيغ الحديث عنها بنو قومنا في المعتاد ولكنه أيضا حديث مفصل في بعض الأحيان ومقتضب في أكثر من مكان عن المسلمين الذين يسكنون في تلك البلاد الافريقية القصية مع ذكر أوضاعهم المدنية وأحوالهم المادية وبخاصة ما يتعلق من ذلك بمساجدهم ومدارسهم وتمسكهم بدينهم الإسلامي الحنيف ولذلك نبهت على ذلك في طرة الكتاب فألحقت في عنوانه : هذا الإيضاح : « رحلة وحديث في أوضاع المسلمين » .

الرياض : المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

يوم الأربعاء ١٢ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ

الموافق ٢٥ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

أنا والرحلة إلى جنوب إفريقية

قصتي مع الرحلة إلى جنوب إفريقية طويلة قديمة ، فقد كنت أصبو إلى رؤية تلك البلاد لأرى أثر الطقس المعتدل في أهلها من جهة ، ولأرى كيف يطبقون سياستهم العنصرية غير الإنسانية من جهات أخرى .

لذلك وضعتها في خط رحلتي الأولى إلى إفريقية في عام ١٣٨٤ هـ الموافق عام ١٩٦٤م فجعلت في خط الرحلة السفر إليها من أدناها (جوهانسبرج) إلى أقصاها (كيب تاون) أو مدينة الرأس بالعربية غير أن خط الرحلة كان طويلا مشتملا على زيارة ثلاثة عشر قطراً وقد نفد الوقت والصبر

قبل أن تصل الرحلة إلى نهايتها لذلك ألغيت منها بلدين ، أحدهما هو جنوب إفريقية ، والثاني : مدغشقر .

وفي رحلتى الطويلة الثانية إلى إفريقية كانت جنوب إفريقية فيها غير أنى قمت بمحاولة للدخول إليها . ولكن سفيرها في روديسيا التى أصبحت تسمي الآن (زمبابوي) قال : إنه لايملك صلاحية منح التأشيرة المذكورة وإنه لابد من أن يتسلم موافقة حكومته على ذلك وهو أمر يحتاج إلى عشرة أيام على الأقل . فقلت في نفسى ما كان يقوله المصريون في أمثالهم في هذه المناسبة وأشباهها : (بركة اللى جت منك ياجامع) أو كما قال أبو سفيان يوم أحد : (لم آمر بها ولم تسؤني) . فقد كان الوقت ضيقا والجولة طويلة استغرقت خمسة أشهر وسبعة عشر يوما بدون الرحلة إلى جنوب إفريقية . وكان مقرراً لها ألا تزيد على خمسة أشهر وكان مع جنوب أفريقية في الإلغاء الذهاب إلى مدغشقر أيضا مع أنه كانت لدى تأشيرة صالحة لدخولها .

ثم جاءتني دعوات ، وعهد إلى بمهام رسمية إلى جنوب إفريقية ، آخرها كان في العام الماضى عندما أبرق إلي الداعون من إخوانى المسلمين بأنهم قد حصلوا لي على تأشيرة للدخول وكنت قد عزمت على السفر إلا أنه قد جدت أمور أرغمتني على إلغاء الرحلة .

ولذلك عزمت على الذهاب هذا العام مؤملا أن تتيسر لى زيارتها والتجول في بعض مدنها والبلاد القريبة منها كما كان تيسر لي منـــذ سنتين السفر إلى مدغشقر والتجول فيها وكتابة كتاب عنها هو (مدغشقر : بلاد المسلمين الضائعين) الذى طبعه النادى الأدبي في الرياض .

سبب الرحلة :

دعوة تلقتها رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد من الأمين العام لاتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية يخبر فيها بأن الإتحاد سيعقد مؤتمره العام واجتماعاً إسلاميا سنوياً في (جوهانسبرج) ابتداء من ١٥ شعبان الحالى ويطلب من الرئاسة أن تشترك فيه فطلبت منى أن أمثلها في المؤتمر. وقد صادف هوى في نفسى كما قدمت فوافقت على ذلك .

من جدة إلى نيروبي :

كان من المقرر أن تقوم طائرة الخطوط الكينية من جدة في الساعة السابعة مساء غير أنها تأخرت إلى الساعة الحادية عشرة إلا عشردقائق فأشفقت من أن تفوتنى الرحلة التى حجزت عليها من نيروبي إلى جوهانسبرج والتى من المقرر أن تقوم في السادسة إلا ربعا من صباح غد الخميس ، وذلك لأن الطائرة ستمر بالخرطوم ومنها إلى نيروبي .

وقامت في الموعد المتأخر أربع ساعات إلا قليلا فاعتبروا أن الوقت ليس وقت عشاء وقدموا قطعة من الساندويتش ، وقطعة من (الكيك) وفنجانا من الشاى .وكان هذا غير كاف لمن لم يتعش .

ولكن ليس هذا بالمهم وإنما المهم هو عدم التأخر في مطار الخرطوم .

لقد أعلنت المضيفة أن السفر إلى الخرطوم سيستغرق ساعة وعشرين دقيقة .

أما الطائرة أو على الأدق الدرجة الأولى فيها فهي أشبه ما تكون بالقطعة من الأرض الإفريقية إذ جميع المضيفين والركاب غيرى هم من ذوى البشرة السوداء وركاب الأولى غيرى هم من السودانيين .

كما أننا عندما دخلنا إلى الطائرة وجدت فيها رائحة نفاذة غير محببة ، وقد تبين لى فيما بعد أنها من مادة مطهرة للهواء

موضوعة في حمام الطائرة فاختلطت رائحتها برائحة الحمام .
ولم يكلفــوا أنفسهم أمر الركاب بربط أحزمة المقاعد
أو تجليس المقاعد أو يحضروا مناديل فيها الماء الحار وماء
الكولونيا لتطرية الوجه التى اعتادت الشركات الأخرى
على تقديمها لركاب الدرجة الأولى .

وقد وصلت الطائرة إلى مطار الخرطوم بالفعل في
الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق بتوقيت المملكة وأعلنت
المضيفة أننا سنبقي في هذا المطار خمساً وأربعين دقيقة .

وقد فضلت البقاء في الطائرة رغم أن الجو فيها حار
وليس فيها تكييف وذلك طلبا للراحة معللاً نفسى بأن المدة
قصيرة وأنني أعرف مطار الخرطوم .

غير أن مدة الإنتظار إمتدت وطالت ، وطال معها
الإنتظار في هذا الجو الحار الذى كان خارج الطائرة حاراً
رغم كوننا بعد منتصف الليل .

وأخيراً أعلن الطيار قوله بأنه يأسف للتأخير الذى حصل وذلك لأننا ضيعنا أحد ركابنا على حد قوله .

وبعد انتظار آخر ممل أعلن قائد الطائرة نفسه أنه بسبب فقد هذا الراكب الواحد فقد رأيت إنزال جميع حقائب الركاب من الطائرة بدون استثناء وعلى جميع الركاب أن ينزلوا ويتعرفوا على حقائبهم .

ونزل الركاب كلهم بالفعل وأخذ عاملان سودانيان يفرغان بكسل مستودعات الأمتعة بالطائرة من الحقائب التى كانا قد رفعاها منذ هنيهة . وتجمهر الركاب دون أن يساعدوهما .

وبعد أن أنزلت جميع الحقائب والأمتعة . أخذ كل راكب ما يخصه وبقيت حقيبة واحـــدة كبيرة عرفوا أنها للراكب المفقود وتركوها في الخرطوم .

وقامت الطائرة من مطار الخرطوم في الساعة الثانية

والنصف إلا خمس دقائق وهي من طراز بوينج ٧٢٠ وأعلنت المضيفة الإفريقية أن الرحلة ستستغرق ساعتين وأربعين دقيقة من الطيران .

وقد أصبحت الآن أكثر إشفاقاً من أن تموتنى رحلتى إلى جوهانسبرج .

لم يكن في الدرجة الأولى أحد غيرى ، وكان ركاب السياحية ليسوا بالكثيرين أيضا .

ولذلك أحضروا لى عشاء كنت أحتاج إليه من أول الليل ويظهر عليه أنه قد أعد في جدة .

وكان موظف الخطوط الكينية في جدة قد قال لي إنك ستصل إلى نيروبي في الساعة الثانية عشرة ليلا ، وتقضي خمس ساعات في مطار نيروبى . فاستثقلت ذلك غير أن الساعات الخمس المذكورة مضت علي وأنا في الجو أو في المطار داخل الطائرة في غير ارتياح

في مطار نيروبي :

وصلت الطائرة في الساعة الخامسة صباحا وقد بقي على موعد إقلاع رحلتي إلى جوهانسبرج أربعون دقيقة مضت منها عشر في الدخول إلى المطار فاستقبلتنا فيه امرأة كينية أسرعت فأخبرتها باستعجالي فلم تبال وقالت : انتظر في مكتب العابرين وسيأتيك الموظف المسؤول ولم يأت فاستعجلتها وهي تجيب بجفاء جوابا واحداً : إنتظر .

ثم حضرت فتاة أنجزت أوراقنا بسرعة وأخذتنا إلى حيث الحقائب فتعرفنا عليها ثم عادت بنا إلى بوابة الخروج إذ الطائرة كانت على وشك القيام كما قالوا غير أنها تأخرت عن موعدها حوالي ثلث ساعة .

وكنت أعجب وأنا في بداية الخروج من انعكاس الأمر في ركاب الطائرة التي قبلها فجميع الركاب هنا من البيض أي من أصل أوروبي ماعداي .

إلى جوهانسبرج :

قامت الطائرة الاسكتدنافية في الساعة السادسة وعشر دقائق متأخرة عن الموعد المقرر نصف ساعة وكان هذا من حسن حظي .

وهي من طراز (دى ، سى ١٠) العملاق ذى السمعة السيئة في عالم الطيران ، وعندما وصلت إلى الدرجة الأولى لم أجد فيها أحداً من غير الأوروبيين أو على الأدق من هم من أصل أوروبي غيرى على عكس الطائرة الكينية .

وقد أعلنت المضيفة بعدة لغات أولها الانكليزية أن الطيران من نيروبى إلى جوهانسبرج سيستغرق ثلاث ساعات وأربعين دقيقة .

وقد تجلى الفرق واضحا في الذوق والخدمة بين المضيفين في الكينية والمضيفين في الاسكندنافية مع أن الخدمة أمر لا يستدعي مهارة أو تعلما صعبا فهنا كل ما تراه ينطق

بالجمال ، ومعاملة المضيفين والمضيفات تتسم بالذوق الرفيع .

وعندما أقلعت الطائرة واستوت في الجو جاء المضيف يسأل عن الشراب الذى أريده الآن قائلا إن طعام الافطار سيكون فيما بعد فطلبت عصير البرتقال .

*
* * *
*

يوم الخميس ١٣ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

أشرقت شمس هذا اليوم على الطائرة الاسكندنافية بعد قيامها من نيروبي بنصف ساعة وقد ولت وجهها شطر الجنوب . وهي في أجواز الفضاء الذى حال السحاب فيه دون رؤية الأرض ، ولكن منظر الشروق فوق السحاب رائع وبخاصة عندما تتخيل أن الذين على الأرض تحتك لا يرون الشمس وإنما تراها أنت دونهم وفي هذا الجو الهادئ الساكن الذى لا تسمع فيه إلا صدى صوت محركات الطائرة لأن الركاب قد أخلدوا إلى الراحة .

على أنني لاحظت أن بعضهم يرغب في إغلاق النوافذ طلباً للهدوء والنوم لأنهم جميعا مثلى كانوا من الساهرين .

وهكذا راح جميع ركاب الدرجة الأولى ورحت معهم في تهويمة من النعاس اللذيذ في هذه الطائرة التى كل مافيها جميل .

وقبل الوصول بحوالى الساعة أعلن قائد الطائرة من مكبر الصوت أننا نطير الآن فوق مدينة (سالسبورى) ونطق بها وكرر النطق (سالسبورى) مع أنها أصبحت تسمي (هواري) وكان هذا أيضا بمثابة الايقاظ اللطيف للركاب من سباتهم اللذيذ لأنه قد بدأ معه استعداد المضيفين لتقديم وجبة الإفطار وبدأوا أول ما بدأوا به بالمناديل القطنية المبللة بالماء الحار والمعطرة بماء (الكولونيا) يمسحون بها وجوههم وأيديهم ويزيلون بها عنها ما قد علق بها من وضر النوم إضافة إلى تنظيفها وتعقيمها ثم جاؤا بالفطور وافراً منوعا يأتونك بالنوع من الأكل ثم يأتون بعد فترة بالآخر .

وعند ما وصلت الطائرة إلى حدود جنوب إفريقية أعلن القائد ذلك للركاب .

فجعلت أتأمل الأرض فإذا بها معمورة عمارة غير شاملة وخضرتها غير كثيفة أو هكذا خيل إلي من هذا الارتفاع الشاهق .

ثم وزعوا الاستمارات التي يملؤها الركاب فإذا بها طويلة معقدة ، ومن إنفراداتها أنهم قد جعلوا لمحل الاسم الكامل للشخص عدة مربعات كل مربع منها لحرف واحد من حروف الاسم وطلبوا منه أن تكون الكتابة بحروف الطباعة . وفيها حقل خاص بمواطني جنوب إفريقية يبينون فيه إلى أي عنصر ينتمون .

وقد قربنا من الوصول إلى (جوهانسبرج) وتدنت الطائرة إلى الأرض نوعا ما وكان الجو صاحيا والتربة حمراء كأكثر تربة إفريقية الإستوائية الشرقية ، مع أن هذه المنطقة بعيدة عن خط الإستواء ، وخضرتها ليست كثيفة ، وقد اتضحت فيها معالم العمران من إنشاءات كثيرة مختلفة ، ومداخن بعض المصانع .

ورأيت أن الأرض فيها بعض سلاسل الجبال غير الخضراء التي تبدو كالجدران المنقادة بعضها حذاء بعض وهي تشبه بعض الجبال الموجودة في سوريا ولبنان خلف الجبال الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وعندما أخذت الطائرة تحوم فوق المطار تبينت معالم مدينة جوهانسبرج فإذا بها تتألف من عدة ضواح ذات بيوت متفرقة غير متلاصقة يحيط بكل بيت فراغ ربما كان قد أعد لحديقة لكن أغلبها ليس فيه حدائق خضراء، وإنما فيها أحواض مياه للسباحة .وأغلب سقوف هذه البيوت حمر .

وقد بدا وسط المدينة أو ما يسميه الأمريكيون (داون تاون) صغير المساحة إلا أنه ذو عمارات شاهقة حديثة تذكر المرء بالمدن الامريكية المزدهرة .

وبالقرب من المطار مرت الطائرة وهي تنزل بتلال قد هذبوها وهي ذات تربة صــفراء وبحيرة صغيرة مليئة بالطيور المائية البيض .

في مطار جوهانسبرج :

نزلت الطائرة الكبيرة في المطار وأنا أبحث عما قد أتذكره في هذا المطار عند ما نزلت فيه أول مرة وهي كانت آخر مرة منذ أربع عشرة سنة فلم أجد إلا البناية القديمة وهي تبدو صغيرة بعيدة عن بناء المطار الحالى ربما تركوها لاستعمالها في رحلات داخلية أوما أشبه ذلك .

كان الجو باردا عندما نزلنا من الطائرة ولاغرو في ذلك لأن هذه المنطقة الواقعة في النصف الجنوبى من الأرض هي في فصل الشتاء خلاف ماعليه الأمر بالنسبة للنصف الشمالى من الأرض الذى هو في فصل الصيف وأنا أعرف ذلك من قبل غير أنه خيل إلىّ أن (جوهانسبرج) لن تكون باردة لأنها ليست في جهة قصية من الجنوب .

سار الركاب بهدوء إلى داخل بناية المطار الذى لم تكن

مد ارجه وساحاته بالفخامة والإتساع الذى ظنته ، كما أن عدد الطائرات الجاثمة فيه قليل .

أما أبنيته فهي جيدة واسعة حديثة .

وعندما دخلنا إلى مكاتب الجوازات رأيت بعضها مخصصا للأجانب وذهبت إليه ولم يكن الذين يقصدونه كثيرى العدد إذ تبين أن أكثرية الركاب كانوا من مواطنى جنوب إفريقية وكان قبلى اثنان .

وعندما وصلنى الدور تأمل ضابط الجوازات وهو شاب أوروبي مهذب جوازى ثم سألني عن الغرض من مجيّي إلى جنوب إفريقية فأخبرته وسألني عن التأشيرة فأخبرته أن أحد أصدقائى أخبرنى أنها تنتظرنى في مطار (جوهانسبرج) فأخذ جوازى وتركنى مع صف من المنتظرين خلفي ثم ذهب إلى مكتب داخلى وعاد بعد حوالى دقيقتين فختم على جوازى وسلمه بلطف وهو يقول لى : شكراً .

ودخلت إلى مكتب الجمرك أدفع بعربة يدوية عليها أمتعتي فلما مررت بضابط الجمرك وكان يسأل الناس وكلهم من ذوى الأصل الأوروبى عما في حقائبهم فلما سألني مثلهم أبرزت له جوازى فرآه دون أن يفتحه فانحنى بالتحية وأشار إلى الأمام قائلا تفضل ياسيدى .

فذهبت أبحث عن مكتب للفنادق فرأيت مكتبا للسياحة عليه فتاة بيضاء مهذبة فسألتها عن الفنادق ؟ فأشارت إلى لوحة عليها إعلان كبير مضاء يتضمن أسماء الفنادق الكبيرة في جوهانسبرج وبعض مدن جنوب إفريقية وعليها أرقام وتحتها هاتف ذو أرقام متعددة كتب أمام كل واحد منها اسم فندق رئيسي .

وقالت : تستطيع أن تختار الفندق الذى تريده وهذا موقعه على هذه الخارطة وأعطتني خارطة للسياح ثم تتصل به وتطلب منه أن يحجز لك الغرفة ثم تركب الحافلة إلى المحطة

في وسط المدينة أو (الترمنال) ومن هناك تركب سيارة أجرة إلى فندقك .

ثم ابتسمت وانصرفت عنى .

ولم يكن هذا بالأمر السهل علي ، لذلك رأيت أحد الأوروبيين القادمين هو وزوجته وهما شابان من هولندا يظهر عليهما الفقر وأنهما يريدان العيش في جنوب أفريقية فطلبت من الرجل أن يساعدني فلم يقصر إذ لبث مدة وهو يحاول الاتصال بالهاتف ويكرره إلى أن تيسر الحجز لى في فندق (برزدنت هولندى إن) وهو من فنادق الدرجة الأولى في قلب المدينة .

فذهبت إلى مكتب للتذاكر وجدت عليه إمرأة بيضاء أيضا أعطتنى تذكرة وهي تبتسم ثمنها راند واحد و (٢٠) سنتا أى حوالى خمسة ريالات وربع لأن (الراند) الذى هو عملة جنوب إفريقية يساوى أربعة ريالات ونصف ريال سعودى .

وركبت مع حافلة سائقها أسود إلى البلدة .

وقد لاحظت من تجوالى في المطار لما ذكرته ولصرف النقود أن القوم يعاملوننى معاملة كريمة حتى إنه عندما سقطت حقيبتى الكبيرة من العربة عند مخرج المطار سارعوا يحملونها اليها مع أننى لست في مظهر العاجز وليس في مظهرى من اللباس مايدل على أننى عربي .

وقد بلغت المسافة من المطار إلى البلدة (٢٣) كيلا أو على الأدق من التعبير إلى وسط المدينة التجارى لأن المدينة متفرقة وبعض المنازل ابتدأت بالقرب من المطار .

فى مدينة جوهانسبرج :

بدا وسط المدينة ذا عمارات شاهقة تدل على الثراء ، وذا شوارع متقاطعة منسقة ولذلك تكثر فيها الإشارات الضوئية المرورية ، وفي محطة (الترمنال) قلت لسائق أجرة أسود اللون : أريد فندق (برزدنت)

فحمل حقيبتى ، وإذا بالفندق قريب جدا .

وعندما وصلت وجدت في مكتب الاستقبال فتى وفتاة من البيض ، فبادرتنى الفتاة واسكنتني في غرفة في الطابق الحادى والعشرين ولم تطلب منى أن ترى جوازى كما لم تسألنى عن جنسيتى وإنما أعطتنى ورقة كتبت فيها اسمي وعنواني الدائم في بلدى .

فسألتنى : أتريد أن تدفع نقداً أم تحويلاً فقلت بالنقد .

وأسرع حامل أسود بنقل أمتعنى إلى الغرفة في الطابق الحادى والعشرين من هذا الفندق الضخم الذى كل النزلاء فيه من البيض ماعدا قلة لا تذكر من السود رأيت منها امرأة وفتاة وقد علمت بعد ذلك أنه ليس فيه تفرقة عنصرية لأنهم يعتبرونه فندقا عالميا . وتطل الغرفة الفاخرة المجهزة بما يلزم لأمثالى ومن ذلك التلفاز الملون على منظر العمارات الشاهقة الحديثة التى تبدو أعلى من غرفتى بكثير مع أننى في الطابق



قلب المدينة الحديثة في جوهانسبرج

الحادى والعشرين وذلك لارتفاعها الشديد وقـــد كادت تحجب الرؤية إلى الأماكن البعيدة .

جولة فى جوهانسبرج :

رغم كوني لم أنم الليلة البارحة وبحاجة إلى الراحة فقد عجزت أن أقاوم الرغبة في استجلاء شوارع هذه المدينة ومحلاتها التجارية التى يبدو عليها الغنى بل التى يخيل اليك إذا نظرت اليها من نافذة هذا الفندق الذى أسكنه أنك في الولايات المتحدة الأمريكية ولست في إفريقية .

فخرجت أسير بعد أن أخذت عنوان الفندق في شوارع متقاطعة غير مفرطة السعة وبذلك يكون أغلبها ذا اتجاهين للسير .

ورأيت أهل الحوانيت والمحلات التجارية كلهم من الأوروبيين أو من البيض على حد تعبير الناس في هذه البلاد

إلا أن المتسوقين أى الذين يشترون منها ليسوا كذلك بل منهم نسبة كبيرة من السود فالتمييز العنصرى يبيح للأسود أن يشترى من الأبيض ، ولكنه لايبيح له أن يساكنه أو يؤاكله أو يتعلم معه جنبا إلى جنب .

ورأيت الحوانيت غاصة بالسلع والكماليات ، وأغلبها ليس غاليا فهو أرخص من أوروبا بكثير وبعضه كالأحذية والملابس مثل بلادنا في السعر ، وأما الكماليات من أجهزة الاستماع للاذاعة وآلات التصوير فهي أغلى منا قليلاً .

أما المارة من الأوروبيين وأهل المتاجر فإنه يبدو عليهم الثراء ، وهم يسرعون في أعمالهم أكثر من الشرقيين إلا أنهم أقل في هذا الأمر من الأوروبيين .

وأما نساؤهم فهن على نسبة عالية من الجمال في نظر القادم من الشرق الأوسط أمثالنا ربما كان ذلك لأن المناخ في إفريقية قد قرب ألوانهم إلى ألوان الشرق الأوسط ، وكثيراً ماخيل

إلى وأنا أنظر إلى وجوه بعضهم أنني رأيت مثل هذه الوجوه في لبنان .

على أن نسبة أخرى منهم كالأوروبيين تماما .

أما أنا فان منظرى لم يلفت نظر أحد فهو ليس بعيداً من مناظرهم . كما قال لى إخوانى من أهل البلاد .

وأما السود من المارة فان منظر أجسامهم وملابسهم يبدو لا بأس به غير أن المرء يلاحظ أن أغلبهم يمشون وخواطرهم مكسورة أو خيل إليه أنهم لايستطيعون أن يرفعوا رؤوسهم كما يفعل الأفريقيون في بلادهم المستقلة ككينيا مثلا .

وقد سرت وسرت إلى أن أعييت وكان موعد الغداء قد أزف فرأيت كتابة على مطعم في الطابق الأول في هذا الحي الأوروبى الذى يمنع فيه غير البيض من دخول المطاعم والمشارب فضلاً عن أن يكون لهم فيها مطعم أو مشرب ولكنهم يستخدمونهم في بعض الأحيان في هذه الحوانيت

والمحلات التجارية فدخلته وقلت في نفسى لأجرب ، فلما دخلت استقبلني صاحبـــه ورحب بي وقدم إلى الأكل مثل غيرى من الآكلين الذين كانوا كلهم من دون استثناء من البيض ، ثم جاءت زوجته لتحيتي ولقبتني بلقب (مسيو) بدل مستر ولا أدرى سبب ذلك . ولم يسألني أحد منهم عن بلادى أو جنسيتي .

وكانت الوجبة مؤلفة من لحم العجل المطبوخ مع الخضروات و(المكرونة) والفطر إلى جانب عصير البرتقال ثم القهوة ، وكل ذلك بسخاء وكثرة ، وقد طلبوا قيمتها ثمانية راندات وعشرين سنتا ويساوى ذلك واحداً وأربعين ريالاً سعودياً .

وعندما أخبرت إخوانى من المسلمين من الذين أصلهم من الهند قالوا إنهم اعتبروك رجلاً أبيض أما نحن فلا يسمح لنا بدخول هذه المطاعم ولاتناول الطعام فيها .فقلت لهم : هل ذلك بقوة القانون أو بالعرف ؟ فقالوا : إنه للمصلحة

التجارية أولاً لأنه إذا سمح صاحب المطعم لشخص أسود أوملون بدخول المطعم نفر منه البيض فخسر .

وهكذا قالت لى خادمتان من السود في فندقنا تخدمان الطابق الذى أنا فيه عندما سألتهما من أجل الحديث معهما عما إذا كان باستطاعتى أن أذهب إلى حي (سويتو) حيث يسكنان ؟

أجابتا : لا ، لايكون ذلك لأنك أبيض .

وهكذا الجميع يعتبروننى من البيض أما أنا فإننى لا أعرف بالضبط ماذا يعتبرنى هؤلاء لأننا في بلادنا لانلقي للون بالاً ، وإنما نعول على العمل ، وندعو للشخص بأن يبيض الله وجهه بالفعل الحسن .

البحث عن أهل المؤتمر :

كان من المقرر أن أصل إلى جوهانسبرج يوم الثلاثاء الماضى مع الخطوط البريطانية وقد أبرقت للذين دعونى بذلك غـير أننى اضطررت للتأخر لذلك لم يعلموا بقدومي ، ولذلك أيضا احتجت إلى أن أبحث عنهم حتى أتصل بهم ويعرفوا ذلك ، ولكن أكثرهم كانوا يسكنون في (دربن) على الساحل الشرقي فكيف أتصل بهم ؟

لقد حاولت أن أجد وجها هندى الأصل في هذا الحي التجارى الأوروبي فأسأله حتى وجدت رجلا وأمرأته في حانوت جانبي فسألتهما فأجابا : إنهما هنديان ولكن هناك عدد كبير من أصحاب الحوانيت إلا أنهم في المنطقة التجارية الأسيوية في هذه الجهة وأشارا إلى جهة الغرب فمشيت فترة حتى رأيت بقالة أوروبية كبيرة رأيت فيها فتاتين من العاملات خيل إلى أنهما من المسلمات فسألتهما فدلتنى واحدة

منهما على أحد الحوانيت وقالت إن صاحبه مسلم فلما وصلته وجدت امرأة فيه هندية الأصل نظيفة المنظر عندها أخرى سـوداء أظنها خادمة في الحانوت فعرفتها بنفسى وإننى أبحث عن عنوان (اتحاد الطلبة المسلمين في جوهانسبرج) فقالت : إننى لا أعرفه ولكن زوجي سيأتي بعد قليل ، فانتظر هنا حتى يأتي ، فقلت لها بل أتمشى في هذه المدينة لأن هذا أول يوم أراها فيه ثم أعود .

وهكذا عدت بعد حوالى ربع ساعة فوجدت زوجها قد عاد فقال : أنا لا أعرف المذكورين ولكن نأخذك إلى المسجد وستجد هناك من يرشدك ثم أمر زوجته أن تأخذني إلى هناك وكانت تقود السيارة بنفسها ، وحدثتنى عن العمل التجارى هنا فقالت : إنه متعب وإن الأوروبيين لا يسمحون بامتلاك العقارات في هذا الحي التجارى الأوربى لغير البيض وانها تعمل عملا شاقا إذ هي كانت واقفة طول اليوم وها هي الآن والساعة تقارب الرابعة تعود إلى البيت لتطبخ الطعام .

ثم أوصلتني إلى المسجد وانصرفت .

فدخلت فوجدت مدرسة للبنات وأكثرهن صغيرات وقد لبسن كلهن لباسا سابغاً جميلا ساراً وبجانبهن قسم للأطفال الذكور . ومن هناك انتقلت إلى المسجد حيث كان الناس يخرجون من صلاة العصر .

ورأيت على باب المسجد الداخلى إعلانا في لوحة الاعلانات عن المؤتمر فتبرع أحـد الاخوة بأن يأخذنى إلى هناك ووعدنى أنه يحضر إلي بعد صلاة المغرب في السادسة الا عشر دقائق إذا الشمس تغرب في هذا الفصل الذى هو فصل الشتاء في الخامسة والربع .

وفي الموعد المحدد جاء أخ آخر كان قد سمعنى اتحدث إسمه (يعقوب داود عمر) فأخـذنى بسيارته وذهب بي إلى حيث مسجد نور الإسلام وهو مسجد حديث افتتحه الشيخ محمد بن على الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

منذ عدة أيام ويقع في الحي السكني الأسيوى الذى يقطن فيه أكثر إخواننا من المسلمين الذين أصلهم من أهل الهند ويبعد عن الحي التجارى الواقع في منطقة البيض التى فيها فندقنا (٣٥) كيلاً . ويسمي (لينيزيا) أخذاً من اسم محطة للقطار كانت في مكانه تسمى لينز كان الأخ (يعقوب داود عمر) يقـــود سيارته بنفسه وكان يشرح لى ما أريد معرفته فذكرت له رغبتى في رؤية حي (سويتو) الذى يقطنه السود فقال : إن الوقت ليل ، والأمن ليس مضمونا في هذا الوقت والحكومة تمنع الدخول فيه إلا بإذن من الشرطة . ولكننا نمر بالطريق العام الذى يمر بطرفه وبالفعل مررنا به ولم استطع رؤيته إلا من البعد غير أنى كدت أختنق وأنا في الطريق من كثرة الدخان المتصاعد في الجو قال صاحبي إن سببه أن الكهرباء في هـــذا الحي قليلة وإن معظم الناس يوقدون بالفحم الحجرى التماسا للدفء أو للطبخ ثم مررنا بمناطق من هذا الحي مظلمة ليس فيها كهرباء .

ثم ذهب بي صاحبي إلى منزل الدكتور محمد اسماعيل مومنات رئيس جمعية مسجد نور الإسلام وهو طبيب فوجدنا عنده الدكتور إنعام الله خان سكرتير مؤتمر العالم الإسلامي وكان صديقا قديما فعرفهم بي ، ورفع من شأني في الثناء عند إخواني هؤلاء الذين لم يكونوا يعرفونني فأخبرتهم أنني دون ماذكره ولكنه فعل ذلك من باب المجاملة جزاه الله خيراً .

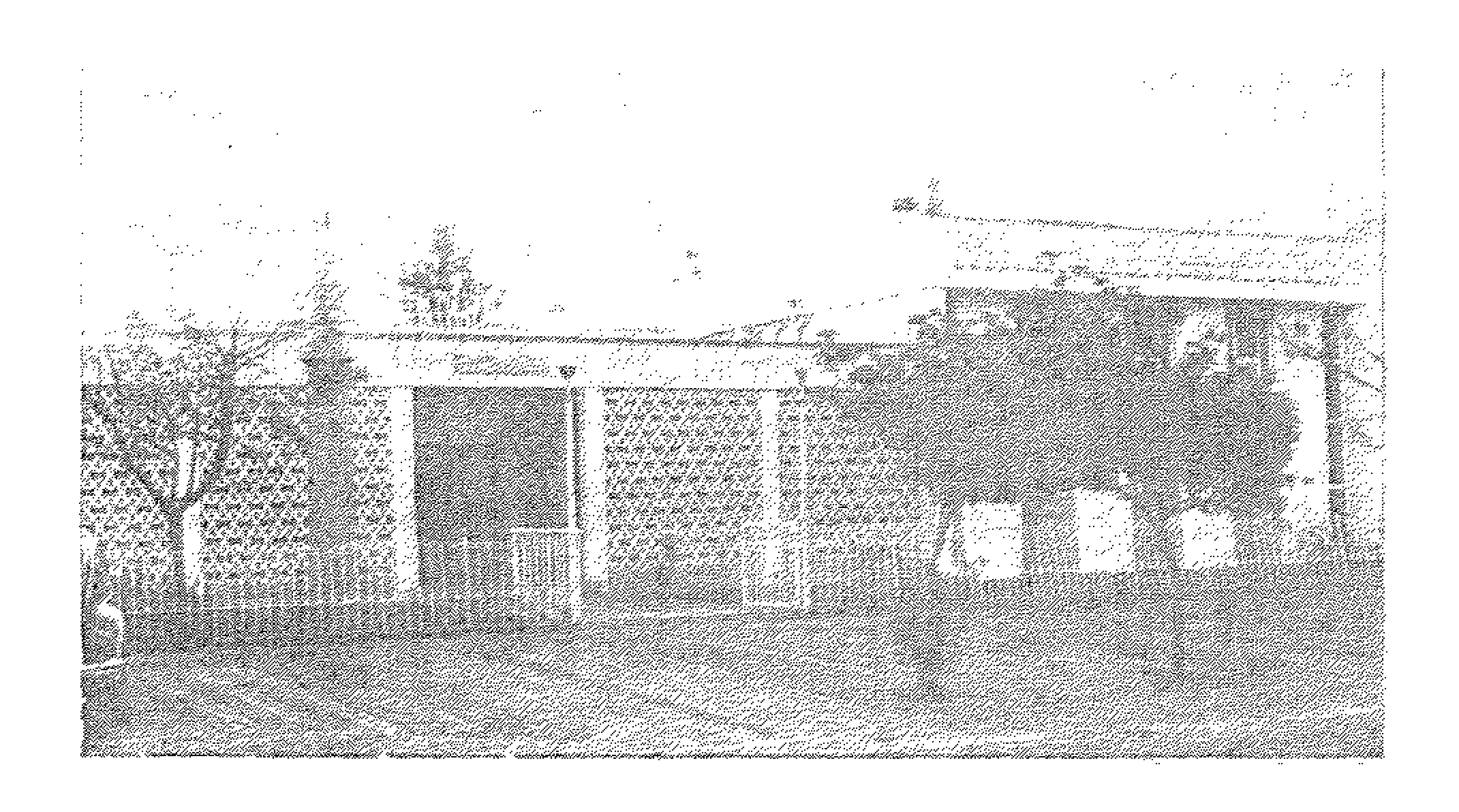
وبعد أن تناولنا الشاي في منزله . عزم علينا إخواننا في مشاركتهم عشاء جاهزاً كانوا قد أعدوه من قبل في بيت أحد الإخوان واسمه أحمد محمد راوات وهو تاجر وحضر المائدة بعض الإخوة من المسلمين ، منهم إبراهيم لوقار صاحب معمل صوف وتجارة وكلهم جاءوا في الأصل من ولاية كجرات في الهند .

وكان العشاء سخيا وافر الكم متعدد الأصناف حتى الفاكهة أنواع وكلها كفاكهة الشرق الأوسط لأنها مجلوبة من منطقة كيب تاون التي هي منطقة معتدلة .

وبعد ذلك عزم علي الأخ (يعقوب داود عمر) في أن يريني بيته الذى نزل فيه قبل حوالى شهر فقط فوجدت زوجته ساهرة تخيط ستائر للنوافذ في هذه الساعة من الليل التى كانت قد قاربت العاشرة كما سلم علينا أولاده وابنة له كبيرة اسمها فاطمة قال إنه أوقفها عن الدراسة قبل التعليم الجامعي لأن التعليم الجامعي المدني في جنوب أفريقية مخلط وهو لا يرضي بذلك لأنه ما اجتمع رجل بإمرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

ما أرخص البيت وأغلاه :

قال إن بيته القديم كان في منطقة أخرى داخل وسط المدينة ولكن البيض احتاجوا هذه المنطقة لتكون امتداداً لمساكنهم فأخرجوا الآسيوين منها بالقوة ، ولذلك اشترى هذا البيت من جمعية شبه حكومية ولما سألته عن ثمنه أجاب بأنه ثلاثة وعشرون ألف راند أى حوالى مائة الف ريال مع أن مساحة أرضه ألف ومائتا متر وفيه ثلاث غرف نوم وغرفة للاستقبال وحمام ومطبخ واسع وحظيرة للسيارة .



مسجد رينبو في حي لينيزيا في (جوهانسبرج)

ولكنه بعيد عن متجره إذ يبعد عنه (٣٣) كيلاً يلزمه أن يقطعها كل يوم ذهابا وإيابا مرغما مع أنه يمكنه أن يشترى أقرب منه إلا أن التمييز العنصرى يمنعه — بقوة القانون — أن يسكن في منطقة غير المنطقة المخصصة للآسيويين من أمثاله وهذا البيت كما ترى رخيص الثمن جدا بالنسبة إلى أمثاله في المملكة وهو كسائر البيوت المعدة للسكنى في ضواحي جوهانسبرج مكون من طابق واحد .

ولكن ما أغلاه إذا عرفت أنك مجبر على أن تسكن في هذه المنطقة وحدها ولا تستطيع أن تشترى في غيرها مسكنا لك ولو كنت تملك النقود .

وقد أرانا بجانبه بيتا قال إنه لوالدته وانها الآن موجودة في مكة المكرمة وانها قد أعارتهم إياه ليستعملوه مسجداً ومدرسة إسلامية للأولاد حتى يبنوا مسجدا قريباً منهم .

ثم ذهبنا إلى عدة منازل للسؤال عن الأخوان منظمي المؤتمر حتى اجتمعنا بالشيخ يوسف محمد نور إمام جامع

نور الإسلام وهو يتكلم العربية جيداً ، فتعهد بأن يخبرهم في الساعة التاسعة صباحا إلا أنهم أرونا مكان المؤتمر ليس فيه أحد . وكان الجو في الليل باردا أحسست بلسعه مع أننا تحت خط ٢٥ درجة جنوب خط الاستواء أي خط يساوى مائة كيلو شمال الرياض أو المدينة المنورة بالنسبة إلى من يكونون شمال خط الاستواء غير أن مدينة جوهانسبرج مرتفعة عن سطح البحر بحوالى ستة آلاف قدم لذلك هي باردة نسبياً بسبب ظروف موقعها الجغرافي

وعاد بي الأخ الكريم في الساعة الحادية عشرة وكان عليه أن يعود إلى بيته على بعد ٣٥ كيلو من فندقي مع غلاء الوقود فلتر البنزين يساوى (٥٤) سنتا أي ريالين ونصف. فهو إذا أغلى منه في المملكة بعشرة أضعاف .

يوم الجمعة ١٤ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

لقاء المسئولين عن المؤتمر :

جاء إلي في الصباح من هذا اليوم رئيس اتحاد الطلبة المسلمين في جنوب أفريقية ومعه الأخ غلام حسين إبراهيم الأمين العام للإتحاد والأخ عبد الصمد بير رئيس الإتحاد في منطقة جوهانسبرج وبعض الاخوة الآخرين. وبحثت معهم موضوع المؤتمر وعرضوا علي الإنتقال إلى بيت أعدوه للضيافة فشكرتهم علي ذلك ، وقلت : الفندق أكثر راحة لى .

ثم اتصل بى عدد آخر من المسلمين منهم الشيخ إبراهيم ميا عضو جمعية علماء الإسلام في جنوب إفريقية ومن أسرة

غنية بل مشهورة بالغنى ومن بين ممتلكاتهم أراض واسعة في جوهانسبرج ومنجم للذهب ويشتغلون بتجارة الإستيراد وأصلهم من كجرات في الهند ولكنهم قدماء السكنى في جنوب إفريقية وهو يعرف العربيـــة جدا ، وزار بـعض البلاد العربية في الشرق الأوسط وتعلم في جامعة ديوبند في الهند وقد مضى هذا الصباح في الاستقبال غير فراغ قليل .

في جامع الحميدية :

هذا هو اسمه وهو يذكرني بسوق الحميدية في دمشق .

أخذني الأخ غلام حسين إبراهيم بالسيارة إلى جامع الحميدية الواقع في الحي التجارى الآسيوى ويراد بهذه العبارة الحي الهندى . والمتاجر في هذا الحي جميعها للهنود ولايسمح لغيرهم أن يفتحوا فيها محلات إلا أن البيع جائز على جميع العناصر أو على الأدق على جميع الألوان .

دخلنا المسجد في الساعة الثانية عشرة والربع وأفسح لى

إخواني في الصف الأول رغم أن المسجد كان مليئا بالمصلين الذين كان بعضهم يتنفل وبعضهم يقرأ القرآن بصوت منخفض أو بدون صـــوت على عكس الحال في بلادنا حيث يرفع القارئون أصواتهم أو يقرأ شخص وينصت له الباقون . وكان الصف الأول كله من ذوى اللحى الكثيفة وأكثرهم قد احفوا شواربهم أى : قد قصوها وكان بجانبي الشيخ إبراهيم ميا الذى يعرف العربية جيداً كما قلت .

فأخذ يحدثني عن المسجد ومما قاله : إن هذه الجمعية أكبر جمعيـــة في جوهانسبرج لأن تجار المسلمين الموجودين في سوق البيع والشراء ممن يعملون في المتاجر الآسيوية والأوروبية وهم في الأوروبية عمال أو نحوهم يأتون لصلاة الجمعة في هذا المسجد .

ورأيت كل المصلين قد ستروا رؤسهم بالطواقي أو العمائم والأولى أكثر . وأكثرهم عليه الملابس الإفرنجية

وبعضهم عليـــه السروال الإفرنجي فوقه قميص طويل كقميص أهل الهند ، وفوق ذلك صدري .

الشمس إلى الشمال :

نحن في فصل الشتاء في هذه البلاد ولذلك فوجئت عندما كنت في المسجد وكنت أمام نافذة زجاجية قد سطعت الشمس في وجهي داخلة من النافذة وهي منخفضة كثيرا رغم أن الوقت الثانية عشرة والنصف ظهراً ، وطبيعي أن جهة القبلة عندهم هي إلى الشمال فكنا نصلي الظهر وكأنما نصلي العصر في الرياض متجهين إلى المغرب من ناحية كون الشمس تواجهنا .

والسبب في ذلك أن الشمس ذاهبة إلى جهة الشمال في هذا الفصل من السنة في هذه البلاد .

الخطبتان المختلفتان :

أذن المؤذن للصلاة وكان لفظه بالأذان يشبه لفظ الإفريقيين لذلك ظننته إفريقيا حتى رأيته من أصل هندى . لأنه كان ينطق بالحاء هاء .

وعندما انتهى المؤذن من الأذان نهض الناس فصلوا أربع ركعات سنة الجمعة الأولى كل ركعتين في تسليمة .

ثم نهض على أثر ذلك إمام المسجد الشيخ شبير أحمد وهو مثل المصلين هندى الأصل . فوقف أمام مكبر للصوت على الأرض وخطب بالناس خطبة موجزة باللغة الإنكليزية فسر فيها قوله (ص) في الحديث (الحج إلى الحج والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) .

وبعد أن انتهى منها أذن المؤذن الأذان الثانى فصعد الإمام إلى المنبر فخطب باللغة العربية خطبتين موجزتين في الموضوع ، وقد استغرقت الخطب الثلاث كلها نصف ساعة فقط حيث أقيمت

الصلاة فقرأ الإمام من سورة الرحمن جزءاً ثم صلى صلاة موجزة تبعها دعاء صامت والإمام متجه إلى القبلة ثم ابتدأ القوم بصلاة الراتبة وهي ست ركعات ، لم يتخلف عن ذلك منهم إلا القليل .

وبعد الخطبة أخذ الناس يصافحوننا وكان من بينهم رجل أوروبي الأصل أو أبيض كما يسمونه لأن التعريف بالناس هنا يكون على أساس اللون مثل بقية الاعتبارات . واسمه إبراهيم وقالوا : إنه حج في هذه السنة هو وزوجته .

ثم تجولنا في الأقسام التابعة للمسجد ومنها ملحق خلفي واسع يصلى فيه الناس يوم الجمعة إذا امتلأ المسجد لكثرة المصلين ، ومدرسة إسلامية ذات قاعات أربع وهي بمثابة الابتدائية وروضة الأطفال . والمسجد عادى البناء معتاد الفراش إلا أنه ذو منارة مرتفعة مستقيمة تعلوها قبة مغولية ظاهرة تلفت النظر بشكلها ، ولذلك عندما بنت الحكومة

سوقا في الحي الآسيوى جعلت فيه قبة مشابهة تماما لقبة منارة المسجد ، وذلك حتى تكونا منظر جميلا منسجما .

والمسجد يقع في حي تجارى آسيوى كما قلت مجاور للحي الأوروبى التجارى المهم فى مدينة جوهانسبرج .

وقد أخبرونا أن حوالى نصف المتاجر والسكان الآسيويين في هذا الحي هم من المسلمين ، وهو حي نظيف ، شوارعه مسفلتة ، سلفتة جيدة ، وأرصفته كلها جيدة أيضا . وبعد الصلاة أخذنى الشيخ إبراهيم إلى متجرهم الكبير وهو في بناء يملكه هو واقع الآن قرب الحي الأوروبي على حافته .

حيٌ لا لون له :

وقال لى الأخ الشيخ إبراهيم: إن بعض الأسر منا يسكنون فوق متجرنا في هذا البيت الذى سنتغدى فيه .

وعندما صعدنا إلى البيت ودخلناه ألفيته نظيفا مرتبا كل ما فيه ينطق بالثراء والذوق الجميل مفروشاً بالبلاط الفاخر

إلا أنه واقع بين عمارات شاهقة فسألته مادام أنكم أغنياء تستطيعون أن تعيدوا بناءه لماذا لم تهدموه وتبنوه طوابق مرتفعة تغل عليكم مالاً جيداً ؟

فضحك وقال : إن الحكومة لا توافق على ذلك ، ولما سألته عن السبب ؟ أجاب جوابا غريبا إذ قال : لأن الحي حتى الآن لا لون له !

نقلت له من باب المداعبة وأنا أعلم ما يقصده : يمكنكم أن تصبغوا البناء باللون الذى تريده الحكومة !

فقال : ليس الأمر كذلك ، وإنما هذا الجزء كان آسيويا فوصله الحي الأوروبي ولم تقرر الحكومة حتى الآن لأي الألوان سيكون أيكون للآسيويين لأنه قريب من متاجر الآسيويين القـــديمة أم يكون للبيض ولذلك لا يسمحون بالبناء فيه حتى يقرر إلى أي الألوان ينتمي بمعنى أي الألوان من الناس يسمح أن يكون لهم . ويسمى هذا الحي (فورد بيرق) . وقد ملكوا بيتهم هذا قبل ستين سنة .

وهذه من مهازل التقليد العنصرى الذى يطبقونه ومهازله كثيرة كما سيأتي .

وقد جاءوا بالطعام على الطريقة الهندية التقليدية فوق فراش على الأرض وهو متعدد الألوان إلا أن ذلك كله دون إسراف أو إضافة طعام لا يحتاج إليه الآكلون ، وبعده جاءوا بالفاكهة من البرتقال والتفاح والبطيخ والموز وكله من جنوب إفريقية .

ثم عدت إلى الفندق على موعد أن يذهبوا بي في جولة بعد صلاة العصر في الساعة الرابعة والنصف . وأن استريح خلال المدة قبل العصر غير أن بعض إخواني حضروا إلي في الفندق فلم استرح ولم اكتب .

المسجد الذي لا يهدم :

كانت فقرات الجولة بعد ظهر اليوم هي زيارة مسجد الجمعة في شارع كيرك في الحي الأوروبى التجارى الهام من

مدينة جوهانسبرج وهو أول مسجد لايزال قائما في هذه المدينة إذ انتهى بناؤه في ٥ مايو عام ١٩١٨م كما كتب على لوحته الخارجية ، وفيها أنه للمحمديين يعني المسلمين .

وأول ما رأينا عند مدخله جماعة من الطلبة الذين يتعلمون تلاوة القرآن الكريم .

وفيه محلات للوضوء نظيفة مجهزة بالماء الحار والبارد والمناشف والصابون . وقد رأيت في المسجد جماعة يتلون القرآن منفردين مع أننا الآن بعد صلاة العصر .

أما الطلبة فإنهم جميعا من الذين رؤسهم مستورة بطواق – جمع طاقية – أو بعمامة وتشرف جمعية علماء الإسلام في مقاطعة الترنسفال التي عاصمتها جوهانسبرج على المسجد .

وربما كان من مظاهر احترام هذه السلطات العنصرية في جنوب إفريقية للدين الإسلامي أنها لاتهدم المساجد مطلقا حتى ولو رحل عنها المسلمون فهذا المسجد الآن في حي لايسكن

فيه أحد من المسلمين ولكنهم أبقوه حتى أن شركة بنت عمارة من عشرين طابقاً بجانبه وطلبت من المسلمين أن يبيعوا المسجد بأضعاف مايساوى من الثمن مع أرض صغيرة تابعة له ليضموا ذلك كله فيكون تابعاً للبناية المذكورة فلم يوافق المسلمون على ذلك فتركوه .

وتصلى جميع الصلوات فيه إلا أنها في صلاتى الفجر والعشاء لايشهدها إلا عدد قليل جدا ، لأن مساكن المسلمين بعيدة عنه بحكم أوامر الحكومة الإلزامية أما في بقية الأوقات فإن المسلمين الذين يعملون عند التجار الأوروبيين يصلون فيه.

وأغلب المسلمين الذين يصلون فيه هم من أصل هندى وإن كان يوجد غيرهم من العناصر الأخرى التى أهمها الملونون ثم السود لأنه لاتوجد تفرقة عنصرية في المساجد على حين أن معابد النصارى البيض ممنوع على فئات الألوان الأخرى حسب تقسيمهم أن يتعبدوا فيها .

الظلم الظاهر :

كانت الفقرة الثانية في هذه الحولة الإطلاع على مهزلة من مهازل التمييز العنصرى ولكنها يظهر فيها الظلم الصارخ ألا وهي زيارة حى كان للآسيويين يسمي (ثرى دى دورب) ولكن البيض احتاجوا التوسع في منطقتهم وهو ملاصق لها فأجبروا السكان من الآسيويين إجباراً على مغادرته وأخذوا يهدمون بيوت الآسيويين لأنها قديمة أو غير مناسبة في طرازها للبيض ليقيموا عليها بيوتا للبيض وأجلوا الآسيويين إلى المنطقة البعيدة التى هي خارج مدينة (جوهانسبرج) التجارية التى يسمونها المدينة إذا اطلقوا هذا الاسم لم ينصرف إلا إليها وهي تبعد عن هذا الحي لمسافة (٣٣) كيلا .

وقد قال أحد المرافقين من المسلمين بألم وحسرة : انظر إلى هذه الأنقاض ، إنها أنقاض بيتى الذى كان قد بناه أبى وتربيت فيه وهو قريب من متجرى أخرجونى منه بالقوة

وألزمونى أن أسكن في المنطقة البعيدة لأنه لا يجوز لى أن أسكن في غيرها . ولذلك يجب على أن أقطع إلى متجرى في الحي التجارى الآسيوى في جوهانسبرج (٣٥) كيلا كل يوم ذهابا ومثلها في الإياب مع غـــلاء البنزين ، وكثرة السيارات في هذا البلد .

وقد رأيت المساكن تهدم ، وبعضها هدم بالفعل وبعضها خال من السكان تمهيدا لهدمه .

ولكن المساجد لا تهدم :

إلاّ بنائين قائمين وهما مسجدان بمنارتين غير مرتفعتين لأن بناأهما قديم فهما باقيان في هذا الحي وسيبقيان بعد رحيل المسلمين منه ، وإحلال الأوروبيين محلهم لأن الحكومة العنصرية تحترم الدين الإسلامي وأماكن عبادة المسلمين وهي المساجد كما قال لنا إخواننا المسلمون . وقد بقي ليشهد للتاريخ ولغير المسلمين على أن هذه المنطقة كان يسكن فيها طائفة من

المسلمين أجبروا على مغادرتها بالقوة إلى منطقة أخرى بعيدة .

وقال لى الشيخ إبراهيم ميا عضو جمعية علماء الإسلام التى تشرف على المساجد ومنها هذان المسجدان : إننا قد بحثنا بيع المسجدين للحكومة مادام أنهما معطلان وهو أمر جائز عند أكثر الفقهاء غير أننا قررنا عدم البيع لأن هذا قد يشجع الحكومة على هدم بعض المساجد بالقوة ، ونحن نريد أن نبقيهما لمن يمر بهما أو قد تتغيير السياسة العنصرية فيعود المسلمون إلى سكنى المنطقة أو قد يحدث أمر آخر ليس بعزيز على الله وهو أن تسلم طائفة من البيض الذين يسكنون في هذا الحي فيجدون المسجدين جاهزين .

فقلت : إن هذا هو الصواب إن شاء الله لأنكم تستطيعون أن تبنوا مسجد آخر بدل كل مسجد ينتقل عنه المسلمون فأنتم ميسوروا الحال ومعتادون على التبرع للأعمال الإسلامية

وإخوانكم المسلمون سوف يساعدونكم في هذا الأمر إن شاء الله .

مساكن البيض ومساكن الملونين :

من هذا الحي ذهبنا نخترق بالسيارة مساكن للبيض فإذا بها كلها تكاد تكون من طابق واحد غير أنها نظيفة وإن لم يكن مظهرها فاخراً ، وهي جيدة الطلاء فيها بعض الأشجار على شكل حدائق صغيرة .

ثم مررنا بمستشفى خاص أي ليس بالحكومي ويباح لجميع الأجناس أن يتعالجوا فيه ولكن على أن ينقدوا ثمن العلاج .

أما مستشفيات الحكومة فهي مؤسسة على أساس عنصرى فهناك لكل لون من الألوان مستشفى خاص به وهي بالمجان ماعدا أجراً رمزياً لبعض أنواع العلاج .

التلال الصفر التى اخضرت :

لاحظت من الجو عند قدومي إلى جوهانسبرج والطائرة على وشك الهبوط في المطار أن هناك تلالا لونها أصفر بخلاف أرض البلاد التى أغلبها ذات لون أحمر وهي تلال مهذبة لاتبدو في حالة طبيعية .

وقد علمت عند ما رأيت بعضها القريب من المدينة وقد اخضرت أنها تلال مكونة من بقايا التراب الذى يستخرج من معادن الذهب من باطن الأرض وهي كثيرة في هذه المدينة مدينة جوهانسبرج غير أن بعضها القريب من المدينة كان يرسل ترابا متطايراً عندما تهب عليه الريح لذلك سعت الحكومة إلى تشجيره وزراعة الأعشاب عليه .وساعدها على ذلك كثرة المطر في موسم الأمطار ولذلك أصبحت تلك التلال القريبة من المدينة خُضْراً وهي كبيرة بحيث لا يصدق المرء أنها كلها قـــد استخرجت من باطن الأرض لضخامتها

وكبرها ولكن كان ذلك قد حدث منذ عشرات السنين إن لم يكن قبل ذلك . وقد أخبرني الشيخ إبراهيم ميا عضو جمعية علماء الإسلام في جنوب إفريقية أن أسرتهم تملك منجما للذهب وأنهم يستخرجون الذهب بأنفسهم مثل غيرهم من الناس غير أنهم لايستطيعون أن يبيعوه للناس وإنما تأخذه الحكومة بأسعار محددة وتبيعه خارج البلاد .

أما التلال التي رأيتها قرب المطار وبعيداً من المدينة فإنها لاتزال أكواما صفراء ذات ظهور وجوانب عارية من النبات .

وتفكر الحكومة الآن في إعادة تصفية الذهب من هذه التلال الترابية المتروكة لأنها تحتوى على مقادير من الذهب لم يكن المعدنون الأوائل يبالون بها لقلتها ورخص سعر الذهب ولكون الآلات التي كانوا يستعملونها كانت قديمة لا تستطيع أن تستخلص مقادير الذهب القليلة من التراب وتسمى هذه التلال (ريف) بمعنى تلة : واحدة التلال وهي موجودة في

كل منطقة الترنسفال التى عاصمتها جوهانسبرج لأنها تعتبر من مواطن الذهب المشهورة في جنوب إفريقية .

في منطقة الملونين :

الملونون في جنوب إفريقية اصطلاح تطلقه الحكومة ويتابعها الناس عليه مرغمين على جماعة من الناس ألوانهم بين البياض والسواد .

والكلمة ليست دقيقة فالملون كما نعرف في اللغة هو ذو اللون وكل الناس لهم ألوان خاصة بهم فعلى هذا الأسود ملون بلون السواد والأبيض بلون البياض غير أن التسمية هنا اصطلاحية يمكن فهمها من معرفة أنواع الألوان كما هي معروفة ومطبقة رسميا في جنوب إفريقية . وهي أربعة ألوان أو أربعة أنواع من الناس ذوى الألوان .

النوع الأول :

البيض ويراد بهم الأوربيون ومن كانوا في حكمهم كالأتراك والسوريين واللبنانيين . ومن أصبح في حكمهم من ناحية القانون لامن ناحية اللون مثل اليابانيين الذين احتاج العنصريون في جنوب إفريقيـــة إلى التعامل التجارى معهم فجعلوهم من البيض . ولذلك لا يسمي الناس هـــذا النوع الأوربيين لأنهم ليسوا كلهم من أوروبا في الأصل . وإن كانت أغلبيتهم في الأصل من الأوربيين وأغلبية الأوروبيين هم من الهولنديين ويكادون يجعلون العرب الآن من البيض ماعدا المصريين والسودانيين .

النوع الثانى :

الآسيويون هكذا يسمونهم ويريدون بهم من كانوا من أصل هندى من رعايا حكومة هذه البلاد وهو أمر اصطلاحي أيضا . لأن اليابانيين من الآسيويين ولكنهم يجعلونهم من البيض .

النوع الثالث :

الملونون ويراد بهم في الأصل من كانوا نتيجة للتوالد بين عنصر أبيض وأسود أو بين عنصر أبيض وعنصر آخر ولو لم يكن أسود .

مضافا إليهم من كانوا من أصل ملايوي أي قـــدموا من جهة جنوب آسيا من الذين يسميهم الناس في بلادنا (الجاوة) .

ومن هؤلاء طائفة كانوا قدماء في هذه البلاد سكنوا فيها قبل التفرقة العنصرية فاختلط بعضهم بالتزاوج مع الأجناس الأخرى . فنشأ بينهم جيل أسموهم الملونين .

وهذا هو الفرق بينهم وبين الآسيويين الذين هم من أصل هندى .

إضافة إلى من تولد نتيجة الاختلاط بين البيض والسود أو بين البيض والملونين سواء كان ذلك بزواج قانونى أو بغير

ذلك فهو يعتبر من الملونين ويسمونهم هنا (كلردز) .

وقد يوجد بين الآسيويين والملونين من لونه يصل في درجة البياض إلى لون الأوروبيين ولكنه رغم ذلك يظل ملونا لا يجوز له أن يدخل مطاعم البيض ولا أن يتزوج منهم ، ولا أن يخدم في الجيش ، ولا تتاح له فرصة الالتحاق ببعض الوظائف الهامة التي يتاح للبيض أن يلتحقوا بها ولا يجوز له أن يسكن في منطقة غير المنطقة المخصصة للملونين . فهو إذاً محكوم عليه بأنه ملون بسبب أصل نشأته ولو كان لونه يسمح له بأن يظهر بمظهر البيض .

وهذا قد يوجد على ندرة وإن يكن قليلا . وكذلك الأمر بالنسبة للهنود .

النوع الرابع :

هم السود أو الزنوج وغالبا مايسمونهم السود لأن اللون هو الذى يحكم الاصطلاح بل والتشريع في هذه البلاد .

وهؤلاء هم ذوو البشرة السوداء مع أن أكثرهم سوادهم غير حالك بل يميل إلى اللون البنى الا أن تقاطيعهم هي تقاطيع الزنوج مع فروق غريبة بعضها دقيق وبعضها ظاهر إلا أن من يراهم من غير أهل البلاد يحكم عليهم بأنهم من الزنوج .

وقد كان معظم هؤلاء السود أو الزنوج قدموا إلى جنوب إفريقية في عصور متأخرة من وسط القارة الإفريقية قرب خط الاستواء .

وإلا فإن المعتقد أنهم لو كانوا قد عاشوا فيها قرونا طويلة لتغير لونهم لأن طقس هذه البلاد يخالف الطقس الاستوائى الذي يصبغ الأجساد بلون السواد .

بعد هذه الالمامة بالتسميات اللونية في هذه البلاد نعود إلى المشاهدات .

فقول : إننا سرنا بالسيارة وسط منطقة للمولونين ذات منازل تشبه الأكواخ وشوارع دون أرصفة ، وهي إلى ذلك

قذرة وبعض المنازل مبنى بالصفيح وبعضها بلبن الأسمنت ومسقف بالصفيح بشكل مسنم رديء .

وهي منازل مزرية بل لطخة سوداء في جبين هؤلاء العنصريين الذين يعدون جبينهم أبيض ، وقد فهموا ذلك لذلك بدأوا ببناء عمارات صغيرة ذات شقق ضيقة يسكنون فيها بعض هؤلاء الملونين بأجور زهيدة . أما المنطقة التي رأيناها هذه فهي ليس فيها حتى الكهرباء .

وأما السكان في هذا الحي فمظهرهم عجب من العجب لأنني عند ما رأيتهم تذكرت من أشكال وألوان أكثرهم ألوان سكان جزر سيشل وأشكالهم لأنك تجد منهم من هو في لون قمحي إلا أن شعره مفلفل يدل على أنه ذو دم مختلط بدم إفريقي وبعضهم شعره مرسل إلا أن لونه يميل إلى السمرة الشديدة . وبعضهم غليظ الشفتين جدا كالزنوج إلا أنه ليس أسود اللون مثلهم .

وتجزم حين ترى هؤلاء أنهم نتاج مختلط .

أما بعضهم فإنك لاتلاحظ عليه ذلك بل إنه لولا سمرة فيه في بعض الأحيان لسارعت وقلت : إنه من العرب السمر غير أنك إذا دققت في تقاسيم وجهه عرفت أنه ليس كذلك ويسمى هذا الحي (ويسترن كلردز تون شب) .

وفي هذا الحي مدرسة إسلامية لم نقف عندها وإنما مررنا بها مروراً لضيق الوقت ،ولأن اخواننا قالوا لى : إن المسلمين إذا عرفونا أمسكوا بنا يريدون أن نشرب الشاى عندهم .

وقد لاحظنا أن مرور السيارات في هذا الحي غير كثير لأنهم لا يملكونها كما يستطيع البيض والآسيويون أن يملكوا منها .

وقال لنا إخواننا وتأكدت بعد ذلك من غيرهم : إنهم كالسود في شرب الخمر فهم يشربون كثيراً وينفقون المال على اللهو والشراب علماً بأن المسلمين أقلية بينهم إذْ نسبة المسلمين بين الملونين في منطقة جوهانسبرج هي ٦٪ أما

الآسيويون فإن نسبة المسلمين بينهم هي ٢٠٪ وأما البيض والسود فإنها لاتكاد تذكر وإن كان يوجد منهم أفراد قليلون من المسلمين . والأمل معقود على أن تدخل أعداد كبيرة من السود في الإسلام بعد أن سمحت الحكومة العنصرية منذ سنتين بدعوتهم إلى الإسلام . وكانوا قبل ذلك لايسمحون للمسلمين من الآسيويين الذين هم من أصل هندى أن يدعوا السود إلى الإسلام وإن كانوا يبيحون ذلك لرجال الدين من البيض .

حى نيوكلى :

وهذا حي آخر سيء المظهر للمولونين أيضا اخترقناه بسرعة قاصدين حيا لهم آخر فيه مسجد سنؤدي فيه صلاة المغرب وهو

حى بوس موند :

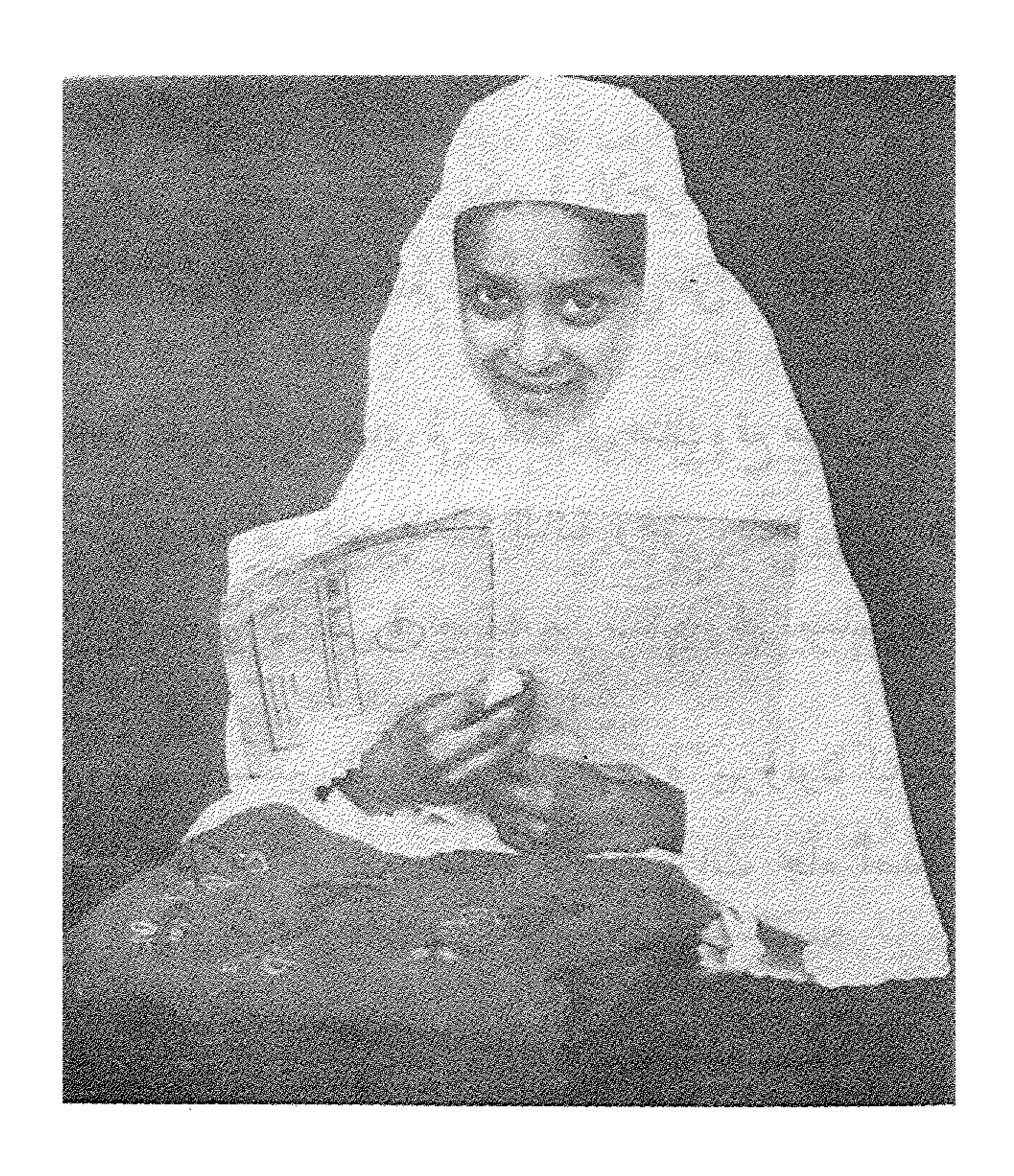
ومعنى بوس (عشب) :

وهو أرقى من (نيوكلي) وأرفع مستوى وأهله أكثر يساراً .

وقبل دخوله وقفنا هنيهة مع عدد من السيارات لأن الطريق مغلق بسبب قطار مقبل وهو على وشك الوصول وعند ما مر القطار أراني إخواني أن مقدمته أي العربات الأمامية منه مخصصة للبيض ومؤخرته للسود والملونين .

وبعد ذلك دخلنا إلى هـــذا الحي الذى أعلى ما فيه وأوضحه منارة المسجد الجامع شامخة رشيقة مربعة بشكل مستقيم إلا أنها مقامة بشكل لم أره من قبل ذلك أنهم بنوها على هيئة أعمدة ثمانية في تربيع المنارة ثم وصلوا مابينها بزجاج سميك بنى اللون من أسفل المنارة إلى أعلاها وأضاءوا داخلها فأصبح منظرها في الليل مضيئاً إضاءة غير باهرة ولكنها جميلة ترى على البعد .

وسمعنا على البعد صوت المؤذن بلفظ شجي فصيح لاعجمة فيه ولا لكنة يؤذن لصلاة المغرب ورأيت طائفة من النساء الشابات اللائى قد لبسن ألبسة سابغة لا تظهر إلا الوجه والكفين وهي مؤلفة من سروال سميك فوقه قميص يضرب إلى نصف



لباس الفتيات المسلمات الساتر في جنوب إفريقية

الفخذ ثم غطاء على الرأس يتدلى إلى الكتفين ، والرجلان مستورتان .

وهن يركضن ليدركن تكبيرة الإحرام مع الإمام لأنهن يعلمن أنه سيقيم صلاة المغرب حالما ينتهي من الأذان تقريبا .

ولا يتصور المرء الذي لم يذهب إلى هناك وقع صوت الأذان في أذن المسلم في هذه المنطقة النائية وهو يجلجل من مكبر الصوت يسمعه كل من قرب منه من مسلم وغير مسلم .

ويرى المسلمين الذاهبين إلى الصلاة يهرولون ليدركوا تكبيرة الإحرام ثم يرى عدداً من السيارات جاء أصحابها للصلاة .

وعندما فرغنا من إيقاف السيارة عند المسجد الذى قد أحيط بمواقف كافية بل إن الحي كله واسع الباحات كثير الفراغ غير متلاصق البيوت . كان الإمام قد فرغ من الركعة

الأولى ولم نجد مكانا في القسم الأمامي من المسجد وإنما صلينا في قسم خلفي متصل به .

وعندما سلمنا رأيناه أيضا قد امتلأ .

أما النساء فإنهن يصلين في الأعلى في قسم منفصل عن الرجال بطبيعة الحال . وعندما قرأ الإمام في الصلاة لاحظت أن قراءته ليس فيها لكنة بل يظهر وكأنه عربي وقد تأكدت عنه من الذين يعرفونه من إخوانه أنه من الملونين وليس من العرب ولكنهم قالوا : ربما كان جده الأعلى من البيض . وهذا أمر غير مهم لنا ولكنه يهمنا من ناحية كونه يخرج الحروف من مخارجها من دون لكنة على حين أن كثيراً من إخواننا من مسلمي الهند والترك وبعض الإفريقيين لايخلو لفظهم من لكنة ولو كانوا يحسنون العربية .

فهل معنى ذلك أنه قد لبث زمانا طويلا في البلاد العربية أو أن أصله فيه عرق من قوم ينطقون بالعربية من دون لكنة ؟

لا أدرى ولم أستطع أن أسأله أو أسلم عليه رغم رغبتى في ذلك لأننا عرفنا أن حضور هذه السيارات وهذا الإجتماع الحاشد كان من أجل :

ليلة البراءة :

وهي ليلة النصف من شعبان يسمونها هنا في جنوب أفريقية (ليلة البراءة) ولكنهم يختلفون في تحديدها وإن كانوا يشتركون في الاحتفال بها فالملونون ومنهم أهل هذا المسجد احتفلوا بها الليلة والهنود في الليلة القابلة وذلك لأن معظم الملونين من أهل المذهب الشافعي نظراً إلى أن المسلمين الذين حضروا من الملايو كان مذهبهم شافعيا على حين أن الذين حضروا من الهند كان مذهبهم حنفيا . وكثيرا ما يحدث بينهم خلاف على هذا الأساس المذهبي على حين أنهم يواجهون الكفر والإلحاد ويحتاجون إلى أن يوحدوا جهودهم لكي يتغلبوا على ذلك ولكي يتمكنوا من نشر الإسلام في هذه البلاد .

أسرعنا بالخروج من المسجد خشية من أن يعرفوا بنا فيمسكونا من أجل البقاء معهم والوقت ضيق ونحن لانرى الاحتفال بهذه الليلة التي يسمونها ليلة البراءة ، لأن ذلك ليس من السنة ولم يبلغنا أن السلف الصالح فعله بشكل جماعي . ولا صح عن الرسول (ص) أنه أمر به .

أما وجوه المصلين هنا فهي عجيبة لأنها وجوه الملونين إلا أنها هنا يوجد بينها من يكونون بياضهم أكثر . وملابسهم نظيفة ، وقد لاحظت ثلاثة منهم على رؤسهم الشماغ ، أو الغترة الحمراء التي نلبسها في المملكة .

وتركنا هذا المسجد وبي شوق إلى التعرف على إمامه والقائمين عليه وإلى ماسوف يفعلونه لولا ماذكرت .

وبعد ذلك مررنا ببناية المدرسة الإسلامية وهي واسعة الفناء ، جميلة البناء ، كل شيء فيها يدل على النظافة والترتيب وهي ملحقة بالمسجد .

واسم المسجد (بوس موسك) أي : مسجد بوس إضافة

إلى هذا الحي الذى يقع فيه ، وهو حديث البناء فرغ منه في ١٥ ــ ١٢ ــ ١٣٨٥ هـ كما كتب في لافتة على جداره الخارجي وفي داخله لوحات ثلاث باللغة العربية فقط .

في قبر ستان :

وهذه مقبرة المسلمين في هذه البلاد من جميع الألوان خلاف المسيحيين الذين لا يسمح البيض بأن يقبر معهم أبناء دينهم من الملونين والسود يسمونها (قبر ستان) أى : مكان الدفن أو المقبرة .

وأكثر المقابر فيها مرفوع قدر شبر عن الأرض غير أن القبر يكون محوط الجوانب بالحجارة الملتصقة على هيئة جدار ويكونون قد استنبتوا فوقه بعض الأعشاب أوهي قد نبتت بسبب المطر .

أما القبور التى على الهيئة الشرعية فيعدم وضع الحجارة على شكل البناء عليها وعدم وجود الأعشاب والأشجار فوقها فهي قليلة .

وقد أخبرني إخواني الذين معي أن الأمر أحسن مما كان عليه من حيث قربه من الهيئة الشرعية لأنه كان في المقبرة في القديم بعض القبور التي عليها بناء عال أما الآن فان هذا لا يوجد .

ويخترق المقبرة طريق اسفلتي وممرات واسعة للمشاة مرصوفة وعلى جوانبها بعض الأشجار الباسقة .

وفيها مصلى كبير يصلى على الجنائز فيه وهو على هيئة المسجد المتوسط إلا أنه ليس فيه محراب وفيه أماكن للوضوء على هيئة صف نظيفة غاية النظافة وفيها المناشف والصابون والمياه الحارة والباردة وهي مفروشة نظيفة .

وأخبرونا أن هناك جمعية إسـلامية تعتنى بأموات المسلمين هذا من أعمالها .

عطلة الشتاء :

قالوا لنا : إن المدارس قد أغلقت أبوابها وعطلت فيها الدراسة ابتداء من اليوم الجمعة وذلك لمناسبة فصل الشتاء

ويسمونها عطلة الشتاء وتمتـــد ثلاثة أسابيع وأن ذلك يشمل بعض المدارس الإسلامية .

وهذا من أسباب كوننا لن نرى الدراسة منتظمة في بعضها . ومنها :

المعهد الاسلامى :

ذهبنا إليه في منطقة تسمي (ووترفيل) فلما دخلته وجدته مدينة واسعة قد غرست فيها أشجار النخيل التى لا تثمر وإنما ذلك للزينة وحباً في النخلة التى تنبت في المدينة المنورة وإذا دخل المرء في مقر هذا المعهد شعر كأنه قد دخل إلى جامعة من الجامعات من سعة مكانه ، وتباعد المنشآت فيه . ويكفي أن تعلم أن طوله خمسة كيلات وعرضه مثلها تقريبا وقد أسس في عام ١٩٤٠م أسسه الحاج موسى بن اسماعيل .

وفيه الآن (١٢٠) طالبا يسكنون ويعيشون فيه ويأكلون ويشربون كذلك .

وقد قصدنا المكتبة فيه فإذا هي متوسطة الحجم بالنسبة إلى كبر المعهد فيها كتب عربية عديدة ربما تبلغ ٦٠٪ من محتويات المكتبة واطلعنا فيها على المصحف الكريم الذى طبع لأول مرة في جنوب إفريقية وبالتحديد في مدينة الرأس (كيب تاون) في عام ١٩٧٨م وقد نفدت نسخه ، إذ اشتد عليه الطلب مما جعلهم يفكرون الآن بل عازمون كما أخبرونا على طبعه عندهم للمرة الثانية ، وهو جيد الطباعة ذكروا أن استيراد المصاحف من البلدان العربية يكلف غاليا وطبعه هنا أرخص كما أنهم يشرفون عليه بأنفسهم . وهذا أمر مهم لهم .

كما أطلعونا على كتاب قديم مطبوع باللغة (الافريكانية) التى هي اللغة الثانية في هذه البلاد ولكن بالحروف العربية وذلك في عام ١٨٧٧م وقد طبع في تركيا وهذا أمر مهم تاريخيا إذ يدل على أن المسلمين أو على الأقل طلبة العلم منهم يقرأون بالحروف العربية يتعلمونها ، كما يدل على أنه كان في ذلك

التاريخ المبكر نسبيا يوجد أعداد من المتعلمين الذين يحسنون قراءة الحروف العربية .

والكتاب في الفقه الشافعي ، كما أطلعونا على نشرات إسلامية بالإنكليزية ، وكتب أخرى بالإنكليزية أيضا لهذا الغرض وفي نهاية الجلسة في المكتبة أحضروا أحد الطلاب من السود فقرأ بعض الآيات القرآنية قراءة مرتلة مجودة واسمه زكريا بن يحيى ، قلت لاخواني مداعبا وهو لايسمع : ألا كان اسمه يحيى بن زكريا على اسم النبي (يحيى) عليه السلام ؟ فضحكوا .

وواصلنا الجولة في هذا المعهد الإسلامي الواسع الذى يدرس العلوم الإسلامية واللغة العربية ويدرس الطلاب إلى جانب ذلك اللغة الإنكليزية وفق برنامج الحكومة لتعليم هذه اللغة حتى يمكن للطلاب أن يستفيدوا من ذلك بعد تخرجهم في الالتحاق بالوظائف .

ثم إن نهاية هذه الجولة كانت في بيت في ركن منه تناولنا العشاء فيه بدعوة من أسرة (ميا) التى ينتمي إليها صديقنا الشيخ إبراهيم ميا .

صخرة خيبر :

مررنا بلافتة استرعت انتباهي لأنها مكتوب عليها (خيبر روك) ومنطلق منها سهم يشير إلى جهة تعدل عن الطريق و (روك) هي صخرة بالإنكليزية أما خيبر فهي خيبر المعروفة بالعربية التى هي بلدة خيبر ، واشتهرت أخيراً (بممر خيبر) وهو الممر الذى يخترق جبال الهملايا ومنه دخلت جيوش السلطان الغازى محمود بن سبكتكين الغزنوى من افغانستان إلى الهند .

وقال مرافقونا إن صاحب هذه اللافتة هو رجل أبيض بنى فوق صخرة هناك عجيبة بناء وسماها (صخرة خيبر) ولايدرون الحامل له على هذه التسمية .

يوم السبت ١٥ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ

الموافق ٢٨ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

افتتاح المؤتمر :

كان الأخ غلام حسين إبراهيم الأمين العام لإتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية قد ضرب لى موعداً أسماه مبكراً قال : إنه سيمر علي في الفندق فيه وهو الثامنة إلا ربعاً من هذا الصباح وذلك لأن الشمس تبزغ بعد السابعة . وكان الوقت مبكراً بالفعل ولم يكن الناس قد ذهبوا إلى أعمالهم ، وكان المرور في الشوارع خفيفاً جداً .

إلا أننا عندما وصلنا الطريق العام الذى يصل مابين (المدينة) كما يسمونها ويريدون بها الحي التجارى الأوروبي الذى فيه فندق (برزدنت) الذى أسكن فيه ، وبين المناطق

المخصصة لإسكان الآسيويين والملونين كان عدد السيارات قد ازداد بالفعل .

وهذا الطريق ليس فيه إشارات خارج (المدينة) المذكورة التى هي قلب مدينة جوهانسبرج وإنما يستطيع السائر في الضواحي أن يسير فلا يقف لأنه إذا اعترض الطريق طريق آخر أقامو عليه جسراً بل قد رأيتهم أقاموا فوق بعض الجسور جسوراً أخرى معترضة أو مستقيمة مع استقامتها .

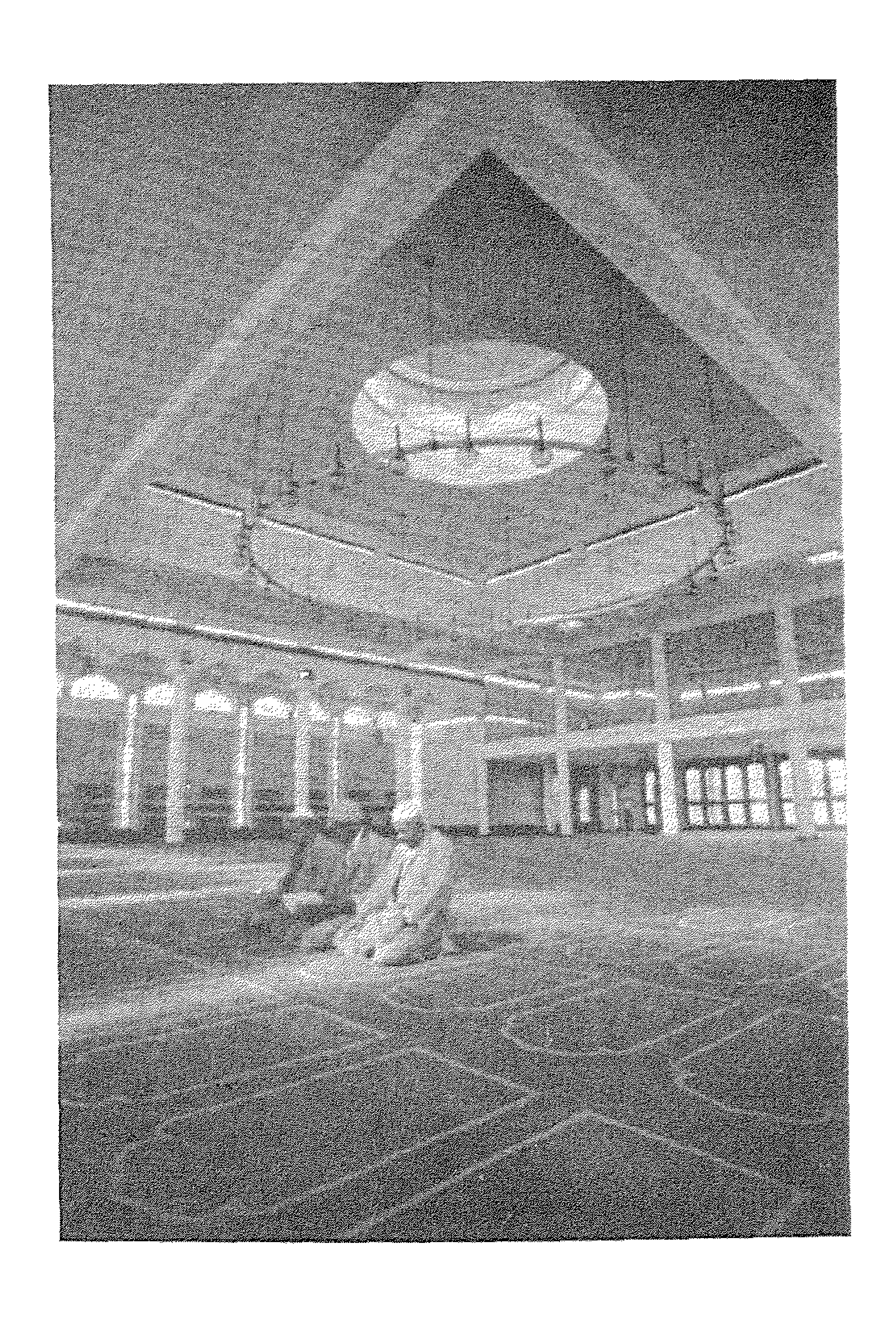
ويمضى هـــذا الطريق الذى يسمي الامريكيون أمثاله (هاي وي) غير أنه إذا تعدى ضواحي مدينة جوهانسبرج بالداخلية وقف فأصبح طريقا معتادا .

وفي هذا الصباح المبكر حيث تقل حركة المرور نسبيا يرى المرء شيئاً من طبيعة البلاد التى هي جافة في هذا الفصل من السنة فيرى أعشابا كثيفة متخلفة من موسم الأمطار إلا أنها جافة بسبب بعد عهدها بالمطر وقد أحرقوا بعضها ليجعلوا من سمادها رماداً ينفع الأرض عند الزراعة . كما يلاحظ المرء

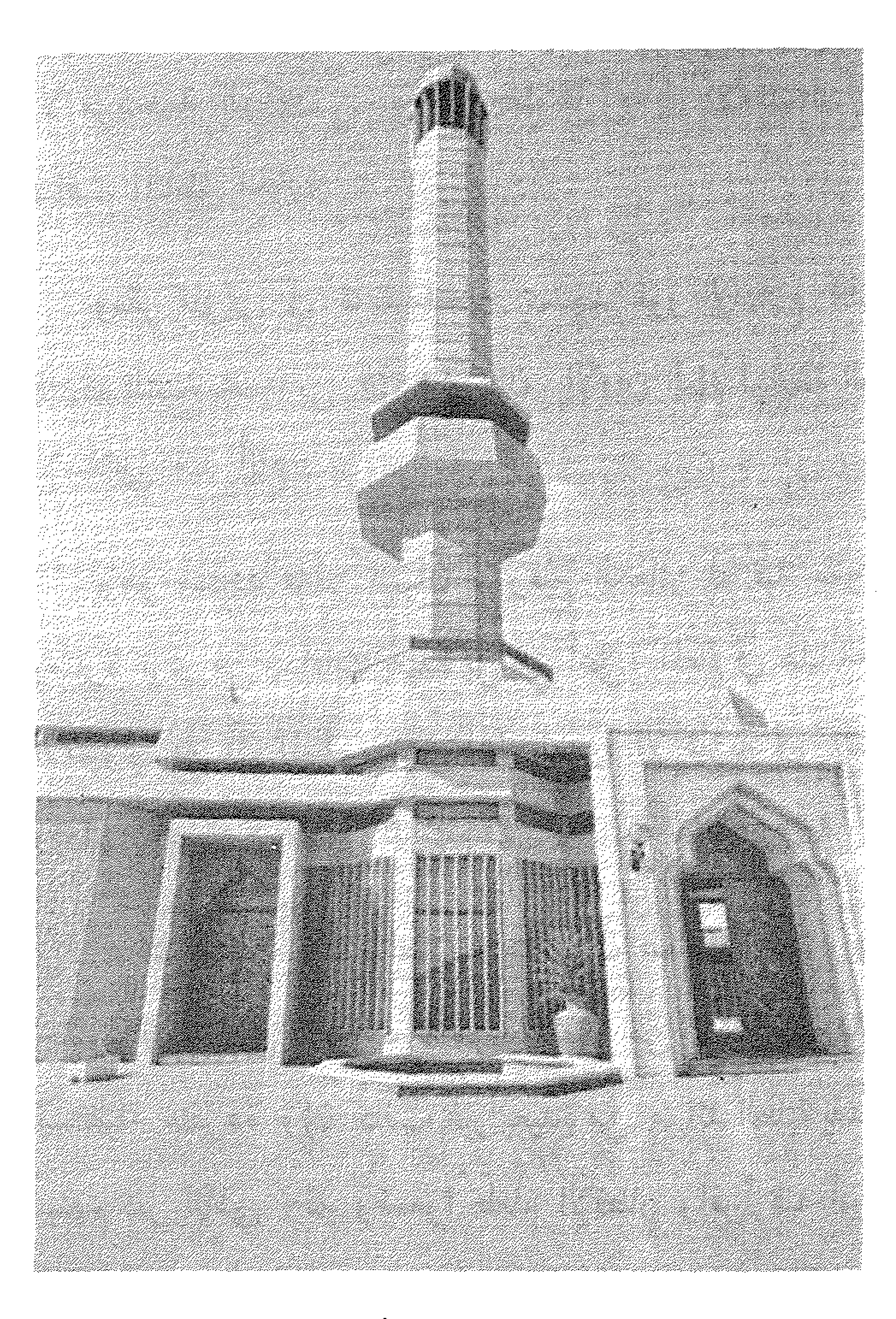
ظاهرة الجفاف في هذا الفصل واضحة إذ ما أن تخرج سيارة من السيارات عن حدود الطريق الأسفلتي حتى تثير عجلاتها سحابةمن الغبار المتصاعد الكثيف شبيها بما يكون في الصحراء . وبعض الأشجار القليلة في المنطقة قد سقطت أوراقها بسبب البرد والجفاف ولم أر أشجاراً كثيرة في هذه الضواحي مع أن الماء متوفر من سد أقاموه ليموِّن مدينة (جوهانسبرج) بالمياه وإلا فإنه ليس فيها نهر ، وإنما أهميتها من كونها مركزاً لتعدين الذهب ولكونها كانت ولا تزال مركزاً تجارياً هاما في جنوب إفريقية كلها .

وفي الطريق إلى مكان المؤتمر في المنطقة الآسيوية رأينا عدداً إضافياً من تلال تراب الذهب ولكن أكثرها قد نبتت فوقه الأعشاب حتى أصبح أشبه ما يكون بالتلال الطبيعية .

حتى وصلنا إلى منطقة الآسيويين البعيدة هذه وهي ليست قديمة السكنى بل أ ل سكناها كان قبل ٢٠ سنة كما اخبرونا .



ركن من داخل مسجد نور الاسلام في جوهانسبرج



منارة جامع نور الاسلام في جوهانسبرج

وقبلها مررنا بمنطقة أخرى للملونين ليست واسعة ولا مزدحمة السكان ، وإنما جعلوها بمثابة الاحتياط إذا ضاقت المناطق الحالية .

ومقر المؤتمر في قاعة ملحقة بمسجد نور الإسلام الذى افتتحه الشيخ محمد بن على الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي منذ أيام .

وهو مسجد فاخر البنيان ، رفيع الشعائر له قبة مغولية ومنارة ترى من مسافات بعيدة بل هي أعلى المعالم في هذا الحي الآسيوي مع أن المسلمين من أهله ليسوا الأكثرية في العدد ولكنهم أقوياء في العمل لدينهم .

دخلنا القاعة فإذا بالطلاب يتناولون طعام الافطار وقد جعلوا للنساء بل للفتيات لأنهن كلهن من الطالبات مائدة مستطيلة منفردة وإن كانت غير بعيدة من موائد الطلبة يفصل بينهم ممر للماشي وقد وضعوا طعام الإفطار وافراً فيه أنواع

لا أعرفها من شيء كالعصيدة ومن الأرز إلى جانب الزبد والمربى مع الخبز وجاءوا بالشاى المخلوط باللبن .

وبعـــد الفراغ من الإفطار بدأت الحفلة الإفتتاحية في القاعة .

وكان عدد الحاضرين ليس بالكثير وقد جعلوا للطالبات ركنا من كراسى القاعة وللطلاب البقية إلا أننى لاحظت أن زعماء المسلمين من غير الطلبة لم يحضر أكثرهم فلم يحضر من جمعية العلماء إلا الشيخ شبير أحمد ولم يحضر أحد من كبار جمعية مسجد نور الإسلام وخصوصا رئيسها الدكتور (مومونيات) .

وقد افتتح المؤتمر رئيس اتحاد الطلبة الأخ (أنور أحمد حسين) وهو طالب في السنة النهائية من كلية الطب في الجامعة الاجتماع بالحمد لله ثم قرئ القرآن الكريم ، وبعد أن انتهت التلاوة نهض أحدهم فألقى ترجمة معانى الآيات التى تليت باللغة الإنكليزية كان يقرأها من كتاب لترجمة معاني القرآن بالإنكليزية .

ثم نهض الشيخ (شبير أحمد سنجالوي) وهو مدرس في المعهد الإسلامي ونائب رئيس جمعية علماء الإسلام في ولاية ترنسفال فتكلم بكلمة بالعربية قدمني بها للحاضرين وأثنى ثناء لا أستحقه ثم تكلم بمعناها بالإنكليزية وبموعظة .

وهنا طلبوا مني الكلام فألقيت كلمة بالعربية كان الشيخ المذكور يترجمها بعد كل جملة من الكلام لأنني لم أكتبها استغرقت حوالى نصف ساعة حسب الاتفاق معهم . تضمنت كلمتي تحيتهم وإبلاغهم تحيات إخوانهم في المملكة العربية السعودية وبخاصة في دار الافتاء والدعوة ثم وجوب الدعوة على كل مسلم بقدر استطاعته وبينت لهم أن الدعوة تكون بالعمل أيضا وذلك فيما إذا التزم المسلم بأوامر الله ورسوله فيما يتعلق بحسن المعاملة والصدق في كل شيء والاحسان إلى الانسان فإن هذا يكون غير دعوة للآخرين .

ثم ألقى الرئيس تقرير الأمانة العامة للمؤتمر بسبب غياب

الأمين في المطار لاستقبال بعض الضيوف وكان مكتوبا بالإنكليزية ،ثم ألقى أحد الأخوة البيان المالي للاتحاد .

وبهذا انتهت الجلسة الإفتتاحية ، وكان بعدها تناول الشاي والمأكولات الخفيفة كالسنبوسك و (الكيك) والحلوى .

العودة إلى المدينة :

كان الجو في هذا الصباح بارداً بل شاتيا أشبه بجو الشتاء عندنا في الرياض في الأيام المعتدلة وكانت الريح تهب جنوبية باردة على عكس ماألفناه في بلادنا من كون الريح الباردة هي التى تأتى من الشمال إلا أن هناك شيئا مشتركا بين البلدين وهو أن الريح الباردة تهب من الجهة المقابلة للشمس فعندنا في الشتاء تهب الريح شمالية مقابلة للشمس التى هي في الجنوب ولاتكون في وسط السماء وهنا الآن تهب الريح جنوبية مقابلة للشمس التى هي في الشمال ولاتتوسط السماء في هذا الفصل عندهم .

سألت إخوانى الذين معي في السيارة عما إذا كان يمكننا أن نخترق حي (سويتو) الذى هو حي السود في طريقنا إلى

قلب المدينة فأجابوا : إن ذلك غير ممكن لأن الشرطة لا تمكننا من ذلك كما لا تمكن أى شخص من غير السود أن يدخل إليه إلا بإذن مسبق منها فاكتفينا بالمرور من منطقته من بعيد كما فعلت في الليلة قبل البارحة ومررنا بمنطقة للجيش قالوا : إن جميع العاملين في الجيش هم من البيض ولايسمحون لغيرهم أن يعملوا فيه ، أما الشرطة فإن هناك بعض العاملين فيها من ذوى الألوان الأخرى .

الاختلاط في الدنيا لا في الدين :

قلت لإخوانى كيف لايسمحون للأجناس الأخرى أن تدخل إلى منطقة السود ويسمحون للسود أن يذهبوا إلى متاجر أهل الألوان الأخرى ويشتروا منهم ويعملوا فيها . وهم أيضا لا يسمحون للسود بدخول كنائس البيض إلا في كنائس بعض مذاهب النصارى ؟

فأجابوا : أنهم يسمحون للسود بذلك لأنهم يشترون من

متاجر البيض بضائعهم والسود يشترون بكثرة من الحاجات فيلبسون جيداً لأنهم لاهدف لهم إلا ذلك فلا يدخرون النقود لأنه لا أمل لهم في أن يستطيعوا أن يدخروا مايشترون به بيتا ، أو يساهموا به في مشروع تجارى ناجح لهم .

فهؤلاء البيض العنصريون سمحوا بالاختلاط في الحالات الدنيوية وحرموه في المواضع الدينية . وهذا من تناقضهم بل من عدم مثاليتهم .

*
* * *
*

يوم الأحد ١٦ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

هذا اليوم هو يوم العطلة الرسمية ولذلك يجد المرء المتاجر كلها مغلقة ، وحركة السيارات قليلة جداً إذ أكثرهم يفرطون في الشراب في الليل ، ولذلك لايتجولون في النهار وبعض البيض يقضون هذا اليوم في الملاعب الرياضية أو في النزهات الخلوية وأهمها بحيرات صغيرة على بعد ٤٥ كيلا يذهبون إليها يصيدون السمك منها .

الصيد والقنص :

وقد عرض عليّ الأخ الشيخ إبراهيم ميا عرضاً مغرياً هو أن يذهب بي في رحلة صيد هذا اليوم أوغداً وقال : إننا

سنصيد في أراضينا التي نملكها ولدينا رخصة من الحكومة ، وتستطيع أن تصيد الظباء هناك، ولدينا السيارات الصالحة لذلك .

وكان هذا عرضا مغريا حقا إذْ كنت إلى ماقبل عشر سنوات قبل أن يشغل التأليف كل فراغي من أكثر هواة الصيد ولعاً فيها فكنت أقضي الفراغ كله في مواسم صيد الطيور المهاجرة وفي غير المواسم كنت أجوب الصحراء لهذا الغرض وإن كان الصيد ليس بكثير .

ومما زاد في إغراء العرض أنه سيكون في جو مختلف وبلاد مختلفة ، وبصحبة إخوان لى كرام غير أن ضيق الوقت هو المشكلة فاليوم هو آخر أيام المؤتمر ولم أشف الغليل في رؤية معالم جوهانسبرج بعد وبخاصة أنني لم أدخل حي (سويتو) حي السود هنا .

أما في الغد فإن المقرر أن أسافر إلى مدينة الرأس رأس الرجاء الصالح (كيب تاون) فذلك يوفر لي يوما .

جولة أخري في ضواحى جوهانسبرج :

كانت هذه الجولة تضمني مع أعضاء وفد الجامعة الإسلامية إلى المؤتمر وهم الدكتور عبد الله الزايد والدكتور صالح مهدى السامرائي ، والأخ ماهل بن شديد الرداد ي وصحبنا فيها من اتحاد الطلبة المسلمين الأخ سراح . مايت ودراسته مدنية غير أنه من حفاظ القرآن الكريم والأخ أحمدجوهان وهو يدرس القانون في الجـامعة والسيد أنور جويس الامين العام لجمعية المسلمين البيض في ولاية ترنسفال ولكنه يسميها جمعية الدعوة الإسلامية ؛ وهو إرلندى الأصل في مظهر الأوروبيين والشيخ إبراهيم ميا عضو جمعية العلماء .

وقد سرنا من الفندق في قلب الحي التجارى الأوروبى فمررنا بالمعهد الإسلامي الذى زرته أمس وهو في منطقة بيضاء أى مخصصة لذوي اللون الأبيض .

الأعشاب البيضاء والأعشاب الملونة :

تتألف منطقة (جوهانسبرج) من أراض غير مستوية بل فيها تلال غير عالية بعضها من آثار إخراج الذهب من معادن باطن الأرض ، وبعضها منخفضات طبيعية لذلك تتدرج الطرق فيها من انخفاض إلى ارتفاع وفي حالات انخفاض الطريق تكون له جوانب مائلة قد نبتت فيها الأعشاب ولقد رأينا الأعشاب التي في مناطق الملونين أو غير البيض يابسة ذات منظر كئيب من أثر البرد والجفاف في فصل الشتاء الحاضر أما ما كان من الأعشاب على حافات الطرق التي تمر بمناطق البيض فإنها خضراء يانعة تسر الناظرين .

ولما تعجبنا من ذلك وسألت إخواني المرافقين مداعباً قائلا لهم : هل للإعشـــاب ألوان أيضا ؟ أجابوا ضاحكين : نعم لأنهم يزرعون في مناطق البيض أعشابا خاصة تصبر على البرد والجفاف بخلاف الموجودة في مناطق غير البيض فهي

أعشاب طبيعية غير مزروعة تزدهر في فصل الأمطار وتجف وتيبس في هذا الفصل .

وقد مررنا ببيوت للأغنياء من البيض وفيهم بعض اليهود ثم مررنا بحي لليهود في منطقة البيض وبهذه المناسبة حدثونا بأن عدد اليهود في جوهانسبرج هو عشرون الفا وعددهم في جمهورية جنوب إفريقية كلها هو مائة ألف . وأكثرهم من القدماء في جنوب إفريقية بل إن بعض اليهود أخذوا يسحبون أموالهم ويذهبون إلى الولايات المتحدة واستراليا وكندا يخشون من المستقبل في هذه البلاد لأنهم معدودون من البيض الذين يعاديهم السود كما هو معروف .

ثم مررنا بعد قليل من هذه المنطقة بيت أشار إليه مرافقونا فقالوا : إنه كان مسكن رضابهلوى والد شاه إيران المخلوع وأنه مات فيه لأن الإنكليز نفوه إلى هذه البلاد .

وبهذه المناسبة يذكر أنه كان لإيران سفارة هنا غير أن الخميني ألغاها بعد سقوط الشاه .

جامعة وت ووترزراند :

ثم مررنا بجامعة (وت ووترزراند) وهي جامعة كبيرة للبيض إلا أنها سمحت بأن يلتحق بها أقليـــة من الملونين وهي التي يدرس فيها أحد مرافقينا الأخ أحمد جوهان ويبلغ عدد طلابها خمسة عشر ألف طالب منهم أربعة عشر ألفا من البيض ، وألف من غير البيض وقال لى الأخ أحمد إن عدد الطلاب المسلمين فيها يبلغ ستمائة طالب . وللبيض جامعات غيرها محرمة على غيرهم .

إلا أنه قال : إنه يجد صعوبة في الدراسة وفي تطبيق ما تعلمه أولا لأنه ينفق كل يوم ساعة في الذهاب وساعة في الإياب إلى الجامعة لأنها بعيدة من سكنى الآسيويين — وهو من أصل هندى — ولا تجيز له الحكومة أن يسكن قريبا من الجامعة لأن تلك مناطق لغير الآسيويين يحرم عليهم السكنى فيها وثانيا لأنه يدرس القانون وأساتذته الذين يدرسونه من البيض فكيف يستطيع إذا تخرج أن يدافع عن قوانين هذه

الحكومة العنصرية ؟ أم كيف يستطيع أن يسكت على أن الناس ليسوا سواء أمام القانون وإنما يميزون بمقدار ألوانهم ؟

وقال إنه ليس في هذه الجامعة دراسات عربية أو إسلامية على حين أن فيها دراسات للديانات الأخرى .

وذلك بخلاف جامعات أربع في جنوبي إفريقية كلها إحداها في جوهانسبرج ففيها دراسات عربية وإسلامية ، وقال لى الشيخ إبراهيم ميا : إن الجامعة التى في جوهانسبرج طلبت منا أن نساعدها في البحث عن أستاذ لهذا الموضوع فأرسلنا إليهم أحد العلماء وراتبه تدفعه الجامعة .

جامعة السود :

ثم مررنا بجامعة (راند) وهي جامعة مخصصة للسود كما يسمونهم وعدد طلابها سبعة الآف لأنها حديثة النشأة ، وليس فيها دراسات عربية أو إسلامية لحداثتها .

الوقف الشيطانى :

كنا نتذاكر قولهم هذه جامعة للبيض وأخرى للسود فيتساءل بعض إخواننا القادمين من المملكة عن معنى هذا فقال أحدنا : معناه كالوقف الشيطانى الذى يجعل بعض الجامعات وقفا على بعض الناس دون بعض ولا يجيز شرط مؤسسه للآخرين أن ينتفعوا به وقد صار وقفا شيطانيا لأن بعض جامعات البيض هي حكومية أو شبه حكومية أنشئت بأموال عامة يفترض أن تكون ملكا للمواطنين كلهم سودهم وبيضهم وخلاسييهم ، والخلاسي هو الذى لونه بين الأبيض والأسود .

المقبرة البيضاء :

كما مررنا قبل أمس بمقابر إخواننا المسلمين لزيارة موتاهم والسلام عليهم وتفقد حالة المقبرة نفسها ورأيناهم لا يميزون في القبور بين المسلين من الآسيويين والملونين والسود مع أن الأخيرين قليل جدا .

فقد أردنا أن نرى المقبرة البيضاء .

عفواً فهي لا لون لها ولكن هكذا يسمونها ويريدون بها مقبرة للبيض من أهل هذه البلاد وليس المراد من زيارتها مجرد الاطلاع عليها وإن كان ذلك يستحق أن يكون سبباً للمقارنة بينها وبين مقابر المسلمين من غير البيض . ولكن المراد هو السلام على إخواننا من المسلمين البيض المدفونين فيها إذْ هم يدفنون في قسم منفصل منها مع غيرهم من البيض ، ولا يدفنون مع إخوانهم المسلمين الملونين .

أول مارأيناه منها أن عند بابها الخارجي رجلاً لديه باقات كثيرة من الزهور المختلفة الألوان والأنواع ، وهو يبيعها لأن هذا اليوم هويوم الأحد فهويوم عطلة ويوم عبادة للنصارى ولذلك يرغب من يحضر منهم لزيارة قبر أحد الأموات أن يشترى باقة من الزهور يضعها على ذلك القبر .

دخلنا إليها بالسيارة من بوابة واسعة وخط أسفلتي

للذاهب والآيب فإذا بها مساحة واسعة أشبه ما تكون بحديقة مترامية الأطراف قد غرست فيها الأشجار الباسقة ، وعلى حواشي الطرق غرست أشجار مزهرة . وفيها مساحات كثيرة خلاء ليس فيها قبور فهي إذاً حسب المتوقع تكفي لسنوات طويلة قادمة وقد وضعت فيها القبور في مجموعات منفصلة تفصل بينها طرق أسفلتية ، وفراغ من الأرض فمجموعة لقبور الكاثوليك من النصارى وأخرى لقبور البروتستانت وثالثة لغيرهم من مذاهب النصارى ورابعة لقبور اليهود .

فصل مسلم :

قصدنا قبور المسلمين لزيارتها ، وهي في ركن منفصل عن غيره من القبور بطرق أسفلتية وبفراغ من الأرض المشمولة بالحشائش وكان على ركن الذى يلى القادم لوحة من الرخام مكتوب عليها الجملة التالية باللغة العربية (فصل

مسلم) وبالحروف العربية وظننت من بعيد أن هذا قبر أحد المسلمين ، ولكن عندما قرأت النص بالإنكليزية أسفل من العربية عرفت أنهم يريدون أن هذا القسم المنفصل من المقبرة مخصص لمقابر المسلمين .

ومكتوب على الجانب الآخر من اللوحة في الأعلى باللغة العربية جملة (إنا لله وإنا إليـــه راجعون) وتحتها كتبوا ترجمتها بالانكليزية وأهم مافي هذه اللوحة من شعار للمسلمين هو الهلال في باطنه نجمة يستعملونه بدلا من الصليب للنصارى . وبعد ذلك أرانا الأخ (أنور جويس) الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية التي هي جمعية المسلمين البيض قبر والده بين هذه القبور وهو إرلندي مسلم ، وقد كتب عليه تاريخ وفاته بالتاريخ الهجرى ثم بالميلادى عام ١٩٦٧م والآية الكريمة (كل من عليها فان) .

فسلمت عليه ثم على قبر مسلم تركي إسمه الأول عطاء الله ، وتركي آخر بجانبه كتب اسمه على القبر والمانى

كتبوا على قبره وربما كان ذلك بناء على طلبه الشهادتين (لا اله الا إلله محمد رسول الله) بخط عربي جميل وآخر اسمه (عثمان بابه) وهو مسلم أبيض حديث الإسلام من أهل جنوب إفريقية . والشعار الجامع الذى يدل على جميع قبور المسلمين هو شعار الهلال الذى تتوسطه النجمة .

وقد رأيت المسلمين وبخاصة من الملونين يحرصون على رسمه على المساجد بشكل كثير ملفت للنظر .

إن معظم ارتفاع قبور المسلمين البيض هؤلاء لايزيد على الحد الشرعي إلا أنهم يجعلون للقبر حواشى من الحجارة ربما لتمنع التراب الذى يكون عليه من الذهاب عندما تنزل الأمطار الكثيفة ثم يضعون عليه شاهداً حجرياً واحداً مكتوبا فيه اسم الميت وتاريخ ميلاده ، وبعضهم يضيف إلى ذلك الترحم عليه .

أما عدد القبور فهي قليلة ، ولما سألت الأخ (أنور جويس) عن السبب قال : إن المقبرة نفسها حديثة . وعدد

المسلمين البيض قليل إذ عددهم في كل أنحاء جمهورية جنوب افريقية هو ألف ومائتا مسلم .

وهذا الأمر صحيح يطابق ماكنا نعرفه من قبل من قلة عدد المسلمين البيض في جنوب إفريقية .

إنني عندما رأيتهم كتبوا باللغة العربية فوق الإنكليزية تلك اللوحة التي تبين أن هذا القسم من المقبرة هو مخصص لقبور المسلمين ، وهو أمر رمزي أكثر منه ضروري لان الذين يقرأون العربية هنا قليل جدا تذكرت أكثر من ذي قبل فضل الإسلام على العرب واللغة العربية فهؤلاء الإخوة من المسلمين البيض عندما أسلموا كتبوا باللغة العربية إظهاراً لتمسكهم بلغة القرآن الكريم ، وإلا كان يكفيهم لكي يتميزوا عن غيرهم أن يكتفوا برسم الشعار الاسلامي وهو الهلال والنجمة وبالكتابة الواضحة باللغة الإنكليزية .

ومسجد غريب آخر :

ومررنا بحي فيه مسجد صغير جميل المظهر ، حسن الطلاء له منارة متوسطة الإرتفاع ليس حوله أحد من المسلمين وقال لنا إخواننا إنه شاهد آخر على الظلم فقد كان في هذا الحي جماعة من المسلمين ولكن البيض نقلوهم إلى منطقة أخرى ، وأبعدوهم عن هذه المنطقة التى خصصوها منطقة مصانع وليست منطقة سكنى للمسلمين الآن .

وهذه هو سبب غربة هذا المسجد في هذا الحي .

إلى سويتو : حى السود :

وأحب أنا أن أسميهم دائما الإفريقيين أو ذوى الأصل الإفريقي غير أن أهل هذه البلاد لايسمونهم بذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم جميعا من الإفريقيين حتى من كان منهم ذا أصل أوروبى ، إضافة إلى أنهم هنا يعرفون الناس ويعرفون غيرهم بهم على أساس اللون .

وهو حي منعزل عن الأحياء الأخرى المخصصة لذوي الألوان المغايرة فهو بعيد عن أحياء البيض ، وعن أحياء الملونين والآسيويين .

ويقطن في حي (سويتو) هذا مليون نسمة حسب الاحصاءات الرسمية الحكومية ، ولكن بعض الناس يقولون إن عدد سكانه أكثر من ذلك .

أول مادخلنا من شارع رئيسى في الحي ، ولم يعترض طريقنا أحد ، ولكن إخواننا قالوا : إن الشرطة في هذا القسم لايدققون كثيرا إلا عندما يتوغل الناس من غير السود في الحي .

ورأينا أول شيء عنابر أي : غرفاً ممتدة ذات طابق واحد كئيبة المظهر سيئة البناء ، قديمة نوعا ما وهي مؤلفة من غرف متصلة كل غرفة تؤجرها الحكومة لرجل واحد من الذين لا عوائل لهم ، ثم شاهدنا بعدها بيوتا عادية لذوى الأسر مؤلفة كلها مثل باقي بيوت هذا الحي المعتادة من غرفتين فقط

ليس فيها منافع ، وإنما يوجد أمام كل بيت أو مجموعة من البيوت مرحاض وحده مبنى من الآجر .

وكل البيوت فيه على شكل أكواخ وإن كان بعضها مبنياً بالآجر ، وبعضها بلبن الأسمنت أما السقوف فإنها من الصفيح الذى يبدو كله أسود اللون من المطر والقدم ، كئيب المظهر .

ولم أر في هذا الجزء الذى رأيته من الحي بناء مشرفا إلا كنيسة بعيدة كبيرة مبنية على ربوة عالية متميزة البناء ، وإلا فإننا رأينا كنيستين اثنتين مثل بقية المنازل على شكل كوخ لا يميز بينه وبين الأكواخ الأخرى إلا علامة الصليب المرفوعة فوقه .

لا مسجد في سويتو :

يبلغ عدد سكان سويتو كما قدمت مليونا على أقل التقديرات منهم أربعمائة فقط من المسلمين وليس فيه مسجد وإنما فيه مصلى صغير غير دائم .

ولقد تبرعت رابطة العالم الإسلامي بمبلغ مائة وخمسين ألف دولار للمساهمة في بناء المسجد غير أن بعض الأشخاص الذين لايحبون الإسلام أوعزوا إلى بعض مسلمي هذا الحي أن يرفضوا هذا المال لأنه أجنبي وسارعت بعض الصحف التي يسيطر عليها اليهود إلى نشر هذا الخبر تحت شعار أن المسلمين السود يرفضون مساعدة السعودية .

غير أن عدداً قليلا من المسلمين أعلنوا أنهم يقبلون هذه المساعدة ويشكرون المملكة عليها ، والعمل الآن جار مع المسلمين في الإعداد لبناء المسجد ، ونسأل الله تعالى أن ييسر لهم ذلك وأن ييسر الله لهم الدعاة الصالحين المخلصين الذين يفهمون الإسلام فهماً صحيحا ويأخذون به قولاً وعملاً ، حتى يكونوا القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لهؤلاء المواطنين الإفريقيين الذين يصبحون على الإذلال ويمسون على الإهانة حين يقال لهم ويعاد القول بأنهم من مرتبة إنسانية دون مرتبة الآخرين ، بسبب لونهم أو تقاسيم وجوههم وهي أمور ليس

لهم فيها يدان ولم يستشاروا في وجودها فيهم فهم يلامون على شيء لم يفعلوه بل لم يريدوه .

وأن يشرح لهم دعاة الإسلام حكم الإسلام في اختلاف الناس وألوانهم وفي أقوالهم وأفعالهم وأنه ينظر إلى فعل الشخص وما كسبت يداه فيثيبه عليه إن كان خيراً ويعاقبه عليه إن كان شراً وأن الناس كلهم من ذكر وأنثى وأن اختلافهم إنما هو للتعارف وليس للتنافر . كما قال تعالى : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) ..

وعند مدخل هذا الحي يوجد مستشفى حكومي للسود فقط كل العلاج فيه بالمجان ، وخزانات لتبريد المياه لأن الماء يأتي حاراً من محطة توليد الكهرباء .

مستشفى العيون السود :

ليس هذا تغزلاً بالعيون السود فليس المقام مقام تغزل ، ولا مقام فرح ومرح غير أن الداعي لهذا العنوان أننا نرى

مستشفى مخصصا بالفعل لعلاج العيون السود لايعالج غيرها من أنواع العيون شرط أن تكون تلك العيون السود لأهل البشرة السوداء أيضا ، ولايجوز للعيون السود التى لأهل البشرة غير السوداء أن تعالج فيه ، فتلك لها مستشفيات أخرى خاصة بأصحابها .

فهذا مستشفى للعيون خاص للسود وهو حكومي مجاني

وبعد قليل من السير رأينا على جهة اليمين بحيرة صغيرة في منخفض من الأرض ظننت أنها ستكون متنزها لأهل هذا الحي ، ولكن تبين العكس إذْ أخبرونى أنها من المياه القذرة وأنها ليست فضلات هذا الحي فقط ، وإنما فضلات من أحياء أخرى غير سوداء ترسل إلى هذا المكان .

وأوغلنا في الحي فرأينا بيوته كلها كما ذكرت أشبه بالأكواخ مؤلفة من غرفتين في الداخل يظهـــر المنزل من الخارج وكانه مؤلف من غرفة واحدة منفردة مسنمة السقف وبجانبه يقف المرحاض منفرداً .

ويفصل البيوت بعضها عن بعض فواصل من الفراغ القليل خالية من الخضرة أو الأعشاب وهي على شكل صفوف يفصل بين الصف والآخر شارع غير واسع وغير مسفلت بعضها مبنى بالآجر وبعضها بلبن الأسمنت المطلي بالأسمنت أيضا .

وكانت المساكن في الأصل كلها قد بنتها الحكومة لهؤلاء المواطنين تؤجرها عليهم ، ولاتسمح لأحد أن يبنى بنفسه أو أن يرفع البناء أكثر من طابق واحد غير أنها – فيما أخبرونا – قد سمحت منذ وقت قريب للناس أن يبنوا لأنفسهم إذا أرادوا وأن يبنوا من طابقين ولكنني لم أر إلا منزلين من طابقين إثنين .

أما الحي نفسه فإنه يبدو للنظر واسعا بل لايدرك البصر مداه ، وذلك لانتشار البيوت فيه وعدم وجود عمارات تجمع عدداً من السكان ولأن منطقته ليست مستوية السطح

بل فيها منخفضات تشبه الوديان ، وتلال طبيعية منقادة غير مرتفعة .

ويرى المرء على جوانب الطرق فيه أعشابا يابسة كثيفة بعضها قد أُحرق ، وبعضها قائم كأنه نبات القمح اليابس الذى أخذ منه سنبله ، وبقي يابساً هامداً .

وعلى جانب الطريق الرئيسية التي دخلنا منها كانت أعمدة الهاتف والكهرباء تماشينا وهي تغذي جزءاً من الحي ولكن أجزاء كثيرة منها ليس فيها كهرباء وبخاصة ما كان بعيداً من الخط الرئيسي كما رأيناه نهاراً وليلا ، على أنهم ذكروا لى أن الكهرباء تنير أجزاء خارج البيوت وليس داخل البيوت ويرى المرء في هذا الحي مساحات خالية من الأرض بين البيوت غير معتنى بها .

أما الطرق المسفلتة فيه فهي ضعيفة السفلتة وذات إتجاهين أى طريق ضيق واحد لاتجاهين والعناية بما حول الشارع معدومة .

ثم وصلنا إلى سوق صغير فيه حوانيت قليلة بعضها للمأكولات التي أهمها اللحم وهو رخيص هنا إذْ سبق لى أمس أن شاهدت خرافا يباع الواحد منها بثلاثين راندا أي مائة وثلاثين ريالاً تقريبا وأما لحم البقر فإن المتوسط منه يباع براند واحد وثلاثين سنتا للكيلو . أى بحوالى ستة ريالات سعودية وربع الريال .

وحالة السوق ليست ردئية إذا قارنتها في ذهني بالأسواق المماثلة لها في بعض الدول الأفريقية المستقلة غير أنها ردئية بالفعل بالمقارنة إلى الأسواق الواقعة في الأحياء الآسيوية والأوروبية من حيث النظافة والذوق ووفرة المعروضات ، على أن هذا السوق الذى رأيته صغير ربما لا يعطي الصورة الواضحة الكاملة للسوق الرئيسية في هذا الحي .

ثم استمر منظر البيوت ذات الجدران المبنية من لبن الأسمنت والمسقفة بالصفيح ونحن نترك السوق ونتجول في هذا الحي .

وقد كنا نتجول فيه وأنا في غاية الانشراح غير أن الوقت أدركنا فقرر الاخوان عدم الإيغال في الحي وقالوا: إن ذلك يحتاج إلى إذن من الشرطة وهو متيسر إلا أنه يحتاج إلى وقت ، ولابد لنا من أن نفترق وكان معنا سيارتان . فلاحظت أن السيارة التي سنركب فيها تضيق بنا وكل إخواننا سيذهبون إلى خارج المدينة حيث بيوتهم ماعداى والأخ (أنور جويس) الذى هو أوروبى الأصل أو أبيض كما يسمونه ، فقلت له ألا ترى أن من الأفضل أن نترك السيارة لإخواننا يذهبون ويوفرون على أنفسهم الذهاب بنا إلى الحي الأوروبي وأركب أنا وأنت في الحافلة ؟ فجحظت عيناه الكبيرتان وقال باهتمام :

لا، نحن لانستطيع ذلك لأنه ضد أوامر الحكومة، فسألته ، لماذا ؟ .

فقال : لأنني أنا وأنت من البيض ، لا يجوز لنا أن نركب في حافلة السود ، ولايصل هنا من الحافلات (الأوتوبيسات) إلا التي تحمل السود .

وعدنا نخرج من هذا الجزء من الحي الإفريقي الشهير الكبير من طريق غير الذى قدمنا منه وهو أسوأ من الأول وأضيق ، ونحن نشاهد بيوت هذا الحي أشبه بالخيام الكئيبة المضروبة في الخلاء على هيئة صفوف تبدو على البعد متلاصقة وإن كانت تفصل بينها شوارع غير مسفلتة وعلى الأصح ممرات على هيئة شوارع فارغة .

أما الشـــوارع الرئيسية بين المجموعات فهي مسفلتة سفلتة رديئة .

وأما مظاهر الأهالى ومناظرهم فهي مظاهر من يأكلون جيداً ، ويلبسون جيداً ، بل إن عدداً منهم يمتلكون سيارات جديدة صغيرة رأيناهم يقودونها ويركبونها بأنفسهم مما يقل مثيله في بعض البلاد الإفريقية الفقيرة ، بل ربما في أكثر البلدان الإفريقية المستقلة .

وقد كرر إخوانى هنا ما سبق أن قالوه من أن الإفريقيين يصرفون كل مايحصلون عليه على اللباس والمظهر لأن أغلبهم من

العمال الذين يقبضون رواتب جيدة وليس لهم أمل إذا اقتصدوا شيئاً أن يجمعوا منه ما يصنع مشروعا ، أو يفتح مصنعا أو حتى يساهم في شركة لهم خاصة .

ولما سألتهم عن متوسط أجر العامل الفنى منهم أجابوا أنه في الأسبوع مابين أربعين إلى خمسين رانداً أى مايساوى مائة وثمانين إلى مائتين وخمسة وعشرين ريالا تقريباً .

نهاية الأسبوع :

وبمناسبة الحديث عن الأجر الأسبوعي أخبرونا أن معظم الناس هنا يقبضون رواتبهم أسبوعيا ويكون ذلك في يوم الجمعة من كل أسبوع وأنه في هذا اليوم يحذر الناس بعضهم بعضا من النشالين والسراق لأنهم يكثرون في هذه المناسبة حيث يكثر الصيد .

بل الأدهى من ذلك كما أخبرونا أن عطلة نهاية الأسبوع التى هي السبت والأحد تسفر في حي (سويتو) هذا بصفة

مستمرة عن جرائم قتل عديدة قال لى الشيخ إبراهيم ميا إن متوسطها بلغ (١٢) جريمة قتل كل أسبوع ، وأنها قد أصبحت معتادة بحيث لا تلفت نظر حتى الجرائد التى لا تكتب عنها ، لأنها تقع في حي إفريقي بين الإفريقيين بخلاف ما إذا وقعت جريمة قتل واحدة ذهب ضحيتها رجل أبيض واحد فإن الجرائد تنوه بها ، وتشتد في التنبيه ، وتذكر أسبابها وكل ما يتعلق بها .

وقالوا : إن الجرائم قد ازدادت في هذا الحي منذ أن أباحت الحكومة الخمر للسود منذ عهد غير بعيد وكانت قبل ذلك محرمة عليهم بموجب القانون فأخذ هؤلاء الإفريقيون يمعنون في شرب الخمر وصارت نهاية الأسبوع موسماً للشرب والضياع ، ووجد البيض في ذلك شيئاً يساعدهم على هؤلاء السود .

هـذا ولم أر فيما مررت به من أشياء مما يفعله الإفريقيون من البسطات أى : البضائع التى تنشر على الأرض فيما رأيته

من هذا الحي . ولاحتى بضائع يقف بها أهلها ماعدا قليلا من الطماطم سألت عن سعره فقالوا : إنه غالٍ في هذا الفصل من السنة لأننا في الشتاء وإذا به أربعة ريالات للكيلو الواحد .

سد من الفراغ :

إمعانا من البيض في إبعاد السود عنهم خصصوا لهم هذا الحي المنفرد ، وإمعانا في ذلك أيضا جعلوا بينهم وبينهم مساحات من الفراغ الكلى تفصل بين هذا الحي الأسود وبين الأحياء التي يقطنها البيض وذلك في مساحات خالية تماما من كل شيء حتى الأشجار ولاتسمح الحكومة البيضاء بأن يكون فيها شيء من ذلك .

وقد فعلوا ذلك حتى يضمنوا أن يقضوا على من يريد من السود أن يتحرك في إتجاه مناطق البيض وهو خارج من هذا الحي يريد الأذى لهم .

العودة إلى المدينة :

وتسمى بهذا الاسم المجرد (المدينة) ويراد بها الحي الأوروبى التجارى الراقي ذو العمارات الشاهقة والفنادق الفاخرة في قلب مدينة جوهانسبرج وهي تسمية تساوى التسمية الأمريكية لمثاله : (داون تاون) .

وقبل الوصول إلى الفندق أرونا بناء قويا جيداً للمكتبة العامة في هذه المدينة ولم ينوهوا عن كتب عربية فيها .

وإنما نوهوا بشيء قديم كان بجانبها إذ بجانبها حـــديقة صغيرة مكشوفة قد تناثرت فيها المقاعد قالوا : إنه كان قبل سنوات قليلة ممنوع على أهل كل لون أن يجلسوا في الكراسى كلها ، بل كتبت الحكومة على كل طائفة من الكراسي أنها مخصصة لنوع معين من الألوان إلا أن هذا قد انتهى الآن .

وعندما وصلت إلى الفندق كانت الساعة تقارب الثانية ظهراً فقصدت المطعم فيه فوراً وأنا خائف من أن لا أجد مائدة خالية لأن اليوم هو الأحد يوم العطلة الرسمية ، وكنت الليلة

البارحة عندما حضرت أخبرنى المضيف فيه أنه لا توجد مائدة خالية وأن علي أن أنتظر وأنه ينصحنى أن أعود إلى غرفتى وهو يدعونى بالهاتف إذا خلت مائدة فقلت له أليس من الأفضل أن أجلس على هذا الكرسي الخالى لذلك حتى تخلو مائدة فقال : هذا يتعبك .

فقلت له : إذاً ابحث لى عن مائدة عليها شخص واحد وليكن رجلا ، واطلب منه الإذن لى بأن أجلس معه فهذا لا يضيرنى وأنا لا أنتظر أحداً .

فقال : هذا حل ، ثم ذهب ، وقال : تفضل ، لقد وجدت شخصاً واحداً ، قبل ذلك فلما وصلت وجدته رجلاً أوروبيا في حدود الثلاثين ، إلا أنه ثمل إذ سارع يحدثنى ، وقال : إنه وحيد لأنه لايسكن هنا ، ولن يقيم طويلاً حتى يتعرف على أحد .

وعندما جاء بالقائمة في الليلة الماضية وجدت فيها إعلانا يقول : تستطيع أن تأكل من (البرون) وهذا هو اسمه

بالإنكليزية وهو ما نسميه نحن بالعربية (روبيان) وهي تسمية عربية قديمة كان الجاحظ استعملها بلفظ (إربيان) . ويسميه المصريون (جمبرى) وهو صغار السمك . يقول الاعلان في القائمة تستطيع أن تأكل بقدر ماتستطيع من الكثرة بخمسة راندات وربع أى حوالى (٢٥) ريالا سعوديا فطلبته ، فجاء به الخادم شهياً وافراً يكفي أن يقدم ربعه بل أقل من ربعه في مطاعم أوربا وأمريكا ، ولكننى أمعنت فيه أكلا ، فلما رآني الخادم أفعل ذلك سألنى أتريد زيادة ؟ فقلت : عسى أن آكل هذا .

وكان قد جاء معه بصحن من الأرز يكفي ثلاثة فرددته كله ، وقلت : هذا يكفي .

أما في هذا الظهر فقد وجدت مائدة خالية لحسن حظي لأن الانتظار يضيع وقتي وطلبت شواء من لحم البقر ناضجا فجاءوا به وافراً جيداً . وهكذا كل الطعام الذى يقدمونه في هذا الفندق وافر جيد يذكرنى بالولايات المتحدة وليس

بأوروبا أو بلاد الشرق الأقصى أو فنادق الهند الراقية حيث التقتير في كل شيء من الطعام .

وكما عليه الحال في الغداء والعشاء مع أنني لم أجرب كل وجبة منها إلا مرة واحدة لأن إخواني المسلمين لم يدعوني آكل أكثر من ذلك في المطعم بل إن عدداً منهم ومنهم الشيخ إبراهيم ميا عضو جمعية علماء الإسلام قالوا : إنه ليس من اللائق بنا أن تأكل في المطعم ونحن موجودون .

والأمر في طعام الإفطار كذلك سخي جيد فتستطيع أن تأخذ ما تشاء بنفسك من فاكهة وشراب ثم تذهب إلى الطاهي وهو فتى أوروبي قال لى : إنه من ألمانيا وإن جنسيته لا تزال ألمانية فيصنع لك ماشئت من البيض على الهيئة التى تريدها ويضعه في صحنك ويضع لأكثرهم معه أنواعا من لحم الخنزير الحار .

ولما قلت له : إنني لا آكل لحم الخنزير ، قال إذا ، أتريد أن أضع لك عوضاً عنه سمكاً حاراً تأكله مع البيض ؟ فقلت له : ألا يوجد سمك بارد ؟

فأجاب : بلى ، يوجد لدينا شرائح باردة من لحم سمك السلمون الفاخر فأخذت منها مقادير وافرة لذيذة .

ولما سألته عما إذا كان هناك عدد من الناس مثلى كثير لا يريدون لحم الخنزير ؟ أجاب : هناك جملة من الناس لايحبونه .

المسلمون هم الذين يذبحون لغيرهم :

ولمناسبة الحديث عن شواء البقر أخبرنى إخوانى من جمعية علماء الإسلام قبل ذلك أن المسلمين هم الذين يذبحون الأبقار والأغنام في المذبح الحكومي الذى يمون مدينة جوهانسبرج ، وأن الحكومة هي التى وكلت إليهم هذه المهمة لنظافتهم ، ولأن الجميع من النصارى وغيرهم يأكلون ذبيحتهم .

لذلك لاينبغي أن يكون في النفس شيء من أكل اللحم من أى مطعم في هذه المدينة .

قالوا لى ذلك مع أننى شخصياً لا أجد في نفسى حرجا

إذا أكلت من لحم مذبوح بأيدى النصارى لأن ذلك داخل في عموم ذبيحة أهل الكتاب التى تحل للمسلم إلا إذا عرف أن هذا اللحم بالذات يخنق خنقا مثلاً .

الزنا القانونى وغير القانونى :

منذ وصلت جنوب إفريقية وأنا أنتهز فرصة الحديث مع المواطنين السود في هذه البلاد للاطلاع على تفكيرهم وعلى ردود الفعل للتفرقة العنصرية عند البسطاء من عامة الناس منهم .

غير أننى لاحظت أن كثيرين منهم يقفون موقف الحذر من هؤلاء الذين يعتبرونهم غرباء عنهم في اللون مثلى من أثر تربية الفصل العنصرى المتأصلة في نفوسهم .

وقد حاولت أن أتحدث مع بعض العاملين السود في فندقنا حديثاً ينفذ إلى السياسة العنصرية فلم أفلح إلا عند ما جعلت الحديث يمر بالشئون العاطفية .

من ذلك أنني قلت لخادمتين سوداوين تخدمان الطابق الذى أسكن فيه من الفندق وقد انضمت إليها إمرأة مسنة سوداء أيضا : لماذا يقول الناس خارج جنوب إفريقية إن نساء الإفريقيين السود غير جميلات وها أنا الآن أراهن خلاف ذلك إنني أرى أن الجمال فيهن كثير وأنتما بالذات من الجميلات .

إن هذا القول الذى كان مبعثه الأول قول الشـــاعر أحمد شوقي :

خدعوها بقولهم : حسناء والغواني يغرهن الثناء

لهظل من الحقيقة أيضا فهما من أجمل الخادمات السود اللآتي رأيتهن في هذا الفندق وقد صح ما توقعته إذ أثرت هذه العبارة فيهن وقالت ، إحداهن : صحيح أن فيالسوداوات جميلات ولكن مثلك لايستطيع أن يصادق واحدة منهن فأنت أبيض .

إن صداقة الأبيض للسوداء أو الأسود للبيضاء ، أمر تمنعه حكومة هذه البلاد .

فقلت لهن : وماذا عن صداقة الأسود للسوداء أو الأبيض للبيضاء ؛ فقالتا : هذا جائز .

فقلت : لو علمت الحكومة بأنه قد جرى بينهما شيء ماذا تفعل ؟ فأجبن : لا شيء ، إن ذلك جائز قانوناً إذا كان برضى الطرفين .

فقلت : والأول إذا كان برضى الطرفين أتجيزه الحكومة ؟ فبان التأثر على وجوههن السمراء وقلن بصوت واحد : لا إنه غير جائز ، إن الحكومة تعاقب عليه .

وعند انتهاء الحديث الذى كان يجرى أثناء قيامهن بعملهن في تنظيف الغرف أردت أن أمحو من أذهانهن ماقد يكون قد علق فيها من أثر لهذا الحديث لئلا يذهب ظنهن إلى أنه جد فقلت : إننى مسلم لا يجيز لى دينى أن أقترب من إمرأة أجنبية وإنما كلامي من باب المعرفة لأننى غريب ، فقلن : لقد عرفنا أنك مسلم من زيارات المسلمين الهنود لك في غرفتك .

يوم الاثنين ١٧ ــ ٨ ــ ١٤٠٠ هـ
الموافق ٣٠ ــ ٦ ــ ١٩٨٠ م

السفر إلى مدينة (دربن) :

بدأ السفر هذا اليوم عندما مر علي بعض الإخوان من اتحاد الطلبة المسلمين فأخذوني من الفندق . وقد كان أحدهم ويدعي (بلال متساو) أحد الافريقيين السود ذكر لى أنه أسلم بنفسه ولم يكن والده مسلماً ، وإنما درس الإسلام وفكر فيه وفي المسيحية التى كان قد اعتنقها أهله فاختار الإسلام . والأخ الطالب : صابر منشي من أصل هندى والأخ نعيم موسى من أصل هندى أيضا .

وذهبنا نبحث عن شخص في الحي الأسيوى التجارى ثم خرجنا إلى حي الآسيويين من ذوى الأصل الهندى المسمى (لينيزيا) حيث مقر المؤتمر في قاعة المركز الإسلامي الملحقة

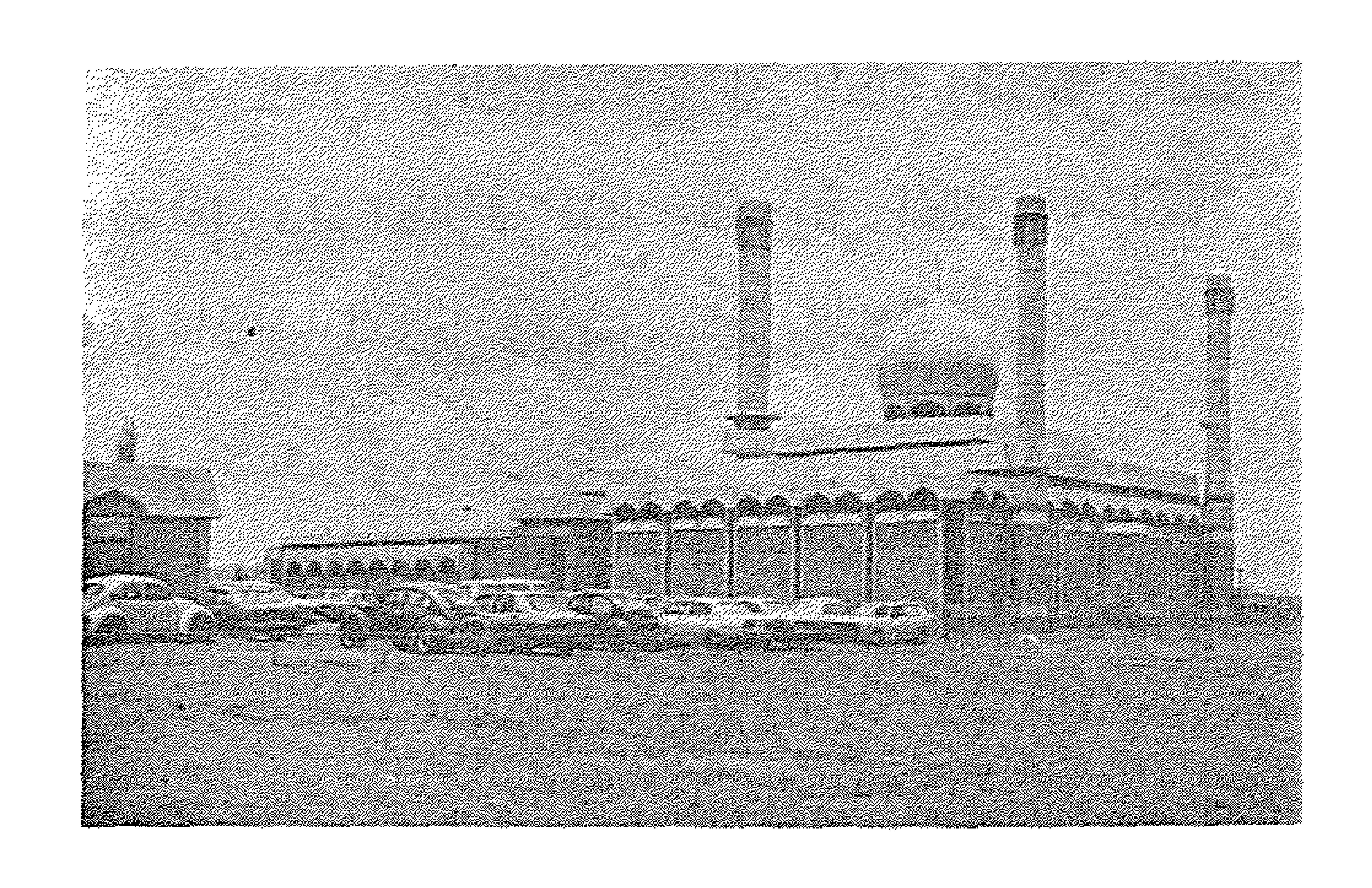
بمسجد نور الإسلام وتبلغ المسافة إليه من الفندق (٣٥) كيلا وليست كلها عمراناً ، ولكن فيها فراغ جعله العنصريون يفصل بين مساكن ذوي الألوان المختلفة .

فوجدنا المؤتمرين من إخواننا وأخواتنا من الطلاب المسلمين يتناولون طعام الغداء .

ويقولون إن التعارف في مثل هذه الأجواء المضبوطة أمر مهم لأن الطالب المسلم يتعرف على الطالبة المسلمة تعرفاً سليماً من الشوائب ، وقد ينتهي ذلك بالزواج وهو أمر مطلوب للجميع حذراً من أن يقع الشباب المسلم في حب غير المسلمات أو أن تتعطل المسلمات عن الزواج أو يضطر بعضهن إلى الزواج من الكفار .

ولم نشاركهم الغداء رغم دعوتهم لأن الوقت ضيق .

ثم اضطررنا أن نعود من هذا الحي الآسيوى حيث ودعت إخوانى وزملائى المسئولين في المؤتمر إلى حيث المطار ويبعد حوالى (٥٢) كيلا فمن هذا الحي الهندى (لينيزيا) الذى



مسجد الصبر في حى لينيزيا في جوهانسبرج

يقع جنوبا من المدينة في منتصف الطريق بينها وبين بلدة (برتيوريا) عاصمة دولة جنوب افريقية انتقلنا إلى المرور قرب المدينة ثم الذهاب من هناك إلى المطار الذى يقع في جهة الشمال منها .

ووصلنا في الوقت المناسب إلى المطار وقد بقي خمسون دقيقة على قيام الطائرة فمنع جندى في المطار غير المسافرين من النفاذ إلى الداخل ومنهم مرافقي الثلاثة .

فوجدت على مكتب الترحيل إلى (دربن) فتاة أوروبية جميلة ولا أدرى لماذا أحس بأن نسبة الجمال في البيض مرتفعة هنا أعلى منها في أوروبا إلا إذا كان ذلك بمقارنتهم بالأجناس الأخرى .

وهنا قلت لها أرجو أن تضعيني أمام النافذة لأن هذه هي أول مرة أسلك فيها هذا الطريق .

فسألتني : أأنت من المدخنين ؟ فقلت لا ، فسارعت وقالت لقد وضعتك في محل واسع بجانب النافذة وابتسمت

ابتسامة تتناسب مع هذا الخبر الذى سرنى وهو كونى أمام النافذة لأن الطائرة كبيرة من طراز (دى سي عشرة) وفيها صف من المقاعد من يكون فيه فإنه لايرىٍ شيئا من الأرض .

وفي غرفة المسافرين لاحظت أن ٩٠٪ من المسافرين في القاعة من البيض و ١٠٪ تقريبا من الهنود وأما السود فلم أر منهم أحداً .

وفي الثالثة والثلث ظهراً أعلن المطار عن مغادرة الطائرة فاصطف الناس صفين للخروج من مكتبين على كل واحد منهما فتاة تنظر في جهاز للحاسب الآلي (الكومبيوتر) ثم تطبع على التذكرة رقماً من عندها وتدع الشخص يسير .

وبعدها مررنا بامرأة أوروبية متوسطة السن تفحص الناس بعينيها لا عمل لها إلا ذلك ولما صعدنا الطائرة أخذ المضيفون والمضيفات يرشدون الناس إلى مقاعدهم .

فلما اطمأن بي المقعد عند النافذة عند باب الخروج للطوارىء حيث يوجد متسع أمام الكرسي بجانبه كرسي للمضيفة جاء

إلي جاري في المقعد وهو أوروبي ، وقال يشير إلي رجل في وسط الصف : هذا صاحبي أريد أن أتحدث إليه في الرحلة فهل تتكرم وتدعه في مكانك وتجلس في مكانه إنه في الصف نفسه ؟

فقلت له : إنني أرجو المعذرة فأنا أردت النافذة لأشاهد الأرض منها لأن هذه هي أول مرة أسافر فيها على هذا الطريق فتركني ولم يسألني عن شيء إلا أن صاحبه عند ما قامت المضيفة عن كرسيها جلس فيه حتي بدأت الطائرة في النزول وتحدث هو وصاحبه وهما يشربان طول الرحلة .

تحركت الطائرة في الثالثة والدقيقة الأربعين ، وقد امتلأت مقاعد الطائرة على ضخامتها بالمسافرين ولم يوزعوا حلوى ولا مناشف .

وحالما تركت الطائرة الأرض أعلنوا إباحة التدخين ثم بعد قليل أسرع المضيفون يجرون أمامهم عربات عليها أنوع الخمور والمشروبات الباردة الأخرى يبيعونها على الركاب ،

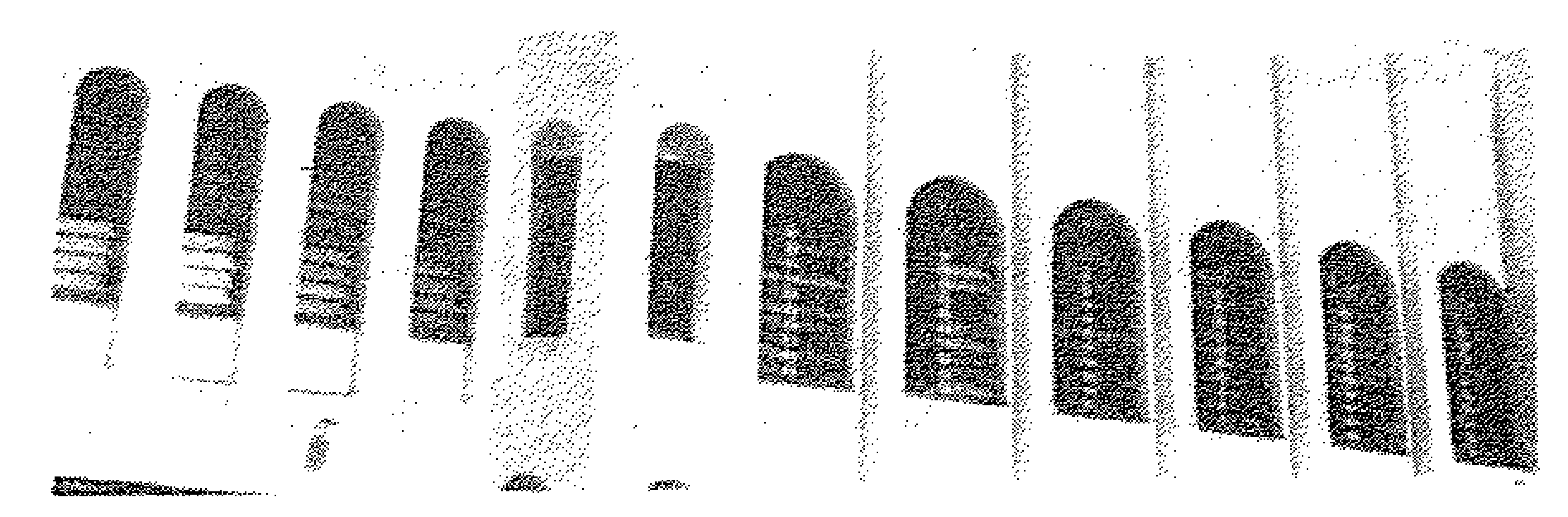
وبعد ذلك جاءوا بالشاى والقهوة ولا شيء غير ذلك مع أن الرحلة دامت خمسين دقيقة .

أما مناظر الأرض عنـــدما قامت الطائرة فإنها كانت الأرض المعمورة بالزراعة والصناعة تتناثر فيها التلال الصفر التى هي من مخلفات تراب الذهب الذى استخرجوه من باطن الأرض في أوقات سالفة ، وقد سووا ظهور بعضها حتى نبت فوقها العشب .

وبعد ذلك رأينا منطقة فيها عدة مصانع تنفث مداخنها الدخان الكثيف الذى يرى على البعد ثم مستنقعات عدة ليست واسعة .

وأخيراً منطقة جبلية لايبين فيها عمران واضح إلا إذا كان ذلك بسبب فرط ارتفاع الطائرة وقد كان الجو صاحياً تماماً .

وقبل الوصول إلى مدينة (دربن) بعشر دقائق بدأنا نرى بعض السحاب لأن دربن واقعة على المحيط المسمى بالهندى



Tongaat, Natal,



مسجد قريب من ميناء دربن

وهو بعيد عن الهند وأهله في هذه المنطقة وإنما هو بحر الزنج أو بحر سفالة كما كان الجغرافيون العرب يسمونه.

وبعد ذلك وصلنا إلى سلاسل جبلية خصبة إلا أنني رأيت منازل متفرقة منعزلة في هذه الجبال .

في مطار (دربن) :

أول ما وصلت الطائرة من مدينة (دربن) إلى ضاحية ذات منازل من طابق واحد حمر السقوف يخترقها شارع هام مزدوج ثم إلى المدينة نفسها التي بدت بعماراتها المتوسطة الإرتفاع أقرب إلى التناسق من مدينة جوهانسبرج حيث الإرتفاع الشاهق في داخل المدينة يقابله الإنخفاض الزائد في خارجها .

وقبل الوصول للمطار اخترقت الطائرة جو الميناء البحرى وبقربه محطة للقطارات عظيمة الإتساع بل هائلة الإتساع .

وبقرب المطار لمحنا مسجداً صغيراً ذا منارة واضحة .

ثم نزلت الطائرة في المطار . وليس فاخراً ولا بالغ السعة بالنسبة إلى أهمية هذه المدينة كما أن الشريط المتحرك الذى تصل عليه الأمتعة والحقائب كان قصيراً جداً بالنسبة إلى كثرة ركاب الطائرة وأمتعتهم .

وكان الجو فيها معتدلا أقل كثيراً من برد جوهانسبرج بل إن المرء ليحس أنه خرج من الشتاء هناك إلى الربيع هنا إلا أن الرطوبة واضحة في الهواء وعلى وجوه الناس .

كانت الساعة عندما هبطت الطائرة هي الرابعة والنصف وعندما خرجنا من بناية المطار كانت الخامسة إلا ربعا ويظهر أن الشمس قد غربت أو قاربت في هذا الوقت المبكر لأننا هنا كما قلت في فصل الشتاء وقد ذهبت الشمس إلى الشمال كما أننا كنا من جوهانسبرج نتجه إلى جهة الجنوب الشرقي . وجدت في إستقبالي بالمطار الدكتور (شوكت على توكان) وهو هندى الأصل مثل عامة المسلمين في هذه المدينة بل في هذه الولاية وهو رئيس اتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية وطبيب بشري .

وقد لاحظت ارتفاع نسبة الذين هم من أصل هندى هنا عند الوصول إلى المطار يقابلها قلة عدد السود فيه .

في مدينة دربن :

تبلغ المسافة من المطار إلى قلب المدينة أربعة عشر كيلا، إلا أنها ليست في ضواح مفتوحة أو فراغ من الأرض وإنما هي معمورة .

وعند ما وصلنا مشارف المدينة رأيت فيها بعض الملامح التى ذكرتنى ببعض مدن الهند مثل معبد للهندوك مخروط الشكل بطريقة غير متناسبة . وأشكال بعض البنايات المتعددة الطوابق . وهذا أمرظاهر السبب وهو كثرة الذين هم من أصل آسيوى في هذه المدينة .

وقلت للأخ (شوكت على) أن يبحث لي عن فندق جيد يكون في قلب المدينة فقال : إن التى في قلب المدينة غير جيدة

ولكن هناك على الشاطيء بجانب المدينة وهو جزء مهم منها فنادق للدرجة الأولي .

وسألته : أيوجد فندق للمسلمين ؟ فأجاب : لا ، وإنما هو فندق اسمه (مهرانى) من الدرجة الأولى للهنادك ــ وظن أنه بذلك يزكيه لي ، فقلت له : إننى لا أريد الهنادك ، ولا ما لهم من فنادق فقد كفانى منهم فنادقهم التى جربتها في الهند ، فاذا لم تجد لي فندق رجل مسلم أذهب إلى فندق أوروبى ، فقال : ولكنه الآن للأوروبيين وسوف أريك إياه ، ولما أقبلت عليه رأيت بعض الشعارات الهندوكية فتركناه إلى فندق أوروبى مجاور وكلاهما يطل على المحيط ، واسمه فندق (اليقيني) ومعناها : غروب الشمس بلغة قبيلة الزولو فوجدت في الإستقبال رجلا وامرأة من البيض ورجلاً من الهنود وآخر من السود وأردت أن أسأل الآخرين فقال لى مرافقي : انتظر حتى يفرغ أحد الأبيضين فهو الذى بيده الأمر ، وفرغ الرجل فطلبت منه غرفة منفردة وقلت له : أريدها تطل على البحر

فهذه أول مرة أزور هذه البلدة فابتسم وقال ، مرحبا بك في بلادنا وأرجو أن تتكرر زيارتك لبلادنا وسوف تلقي مزيداً من الترحيب فيها .

وكنت رأيت أنواراً مضاءة ملفتة للنظر على الشواطيء فقال لي الأخ (شوكت على) : إن ذلك لمناسبة العطلة الشتوية وإن الناس يأتون إلى (دربن) من داخل البلاد لكي ينعموا بدفئها ، وهذا هو السبب في إضاءة هذه الأنوار التى هي بمثابة الإعلان لمنطقة الفنادق الكبرى والمشارب على الشاطيء .

وقال الرجل الأبيض كما يسمونه : إننى اخترت لك غرفة واسعة في الطابق الثامن عشر تطل على البحر وأجرتها أربعون راندأ في الليلة أى : مائة وستون ريالا سعودياً .

وهو أغلى من فندق جوهانسبرج ، فقلت : لا مانع من ذلك .

فقال : يقتضى الأمر أن تدفع الآن . فقلت له : أذلك ضرورى ؟ قال : نعم فكدت أن أنفجر فيه وأهجره غير أنه

كان قد رآني كتبت على البطاقة التي يملؤها النزيل اسمي وجنسيتي ، فسكت ، فلما رآني نلكأت قال : يكفي أن تعطيني خمسين دولاراً على الحساب فأعطيته .

وحمل حقيبتي فتى هندي في حدود الســابعة عشرة لم يفارقه فضول الهنود لأنه عندما أوصل حقيبتي إلى الغرفة أخذ مثل بعض الخدم في الفنادق المصرية يريني أشياء لاتستحق أن ترى وكأنني أنزل الفنادق لأول مرة مثل كيف يفتح التلفاز الكبير الموجود في الغرفة ويريني الحمام وإضاءة المصابيح الكهربائية كل ذلك حتى يكتسب عندي له يداً يستحق عليها الحلوان (البقشيش) فنهرته عن ذلك وأعطيته ما أراد نصف راند فانحنى وانصرف .

وقد لاحظت ذلك عند العشاء إذ كان الخدم في المطعم أكثرهم من الهنود إن لم يكونوا كلهم ، فأخذ الخادم يسألني عن الطعام هل هو جيد ، وهل تمتعت بأكله ، ويذهب ويجيء ينظر إلي ويبتسم وذلك أمر كرهته من الهنود في بلادهم لأنه من الفضول الذي لا داعي له .

والغريب أنه رغم كون الهنود الموجودين وبخاصة الفتيان منهم مثل هؤلاء هم من الجيل الثالث الذى نشأ في هذه البلاد الإفريقية الجنوبية فإن عاداتهم وطباعهم لم تتغير بل أن ألوانهم في (دربن) لم تتغير إن لم تكن قد ساءت على عكس الموجودين في جوهانسبرج الذين تحسنت ألوانهم بعض الشيء بسبب الطقس الجاف نوعاً ما البارد نسبيا .

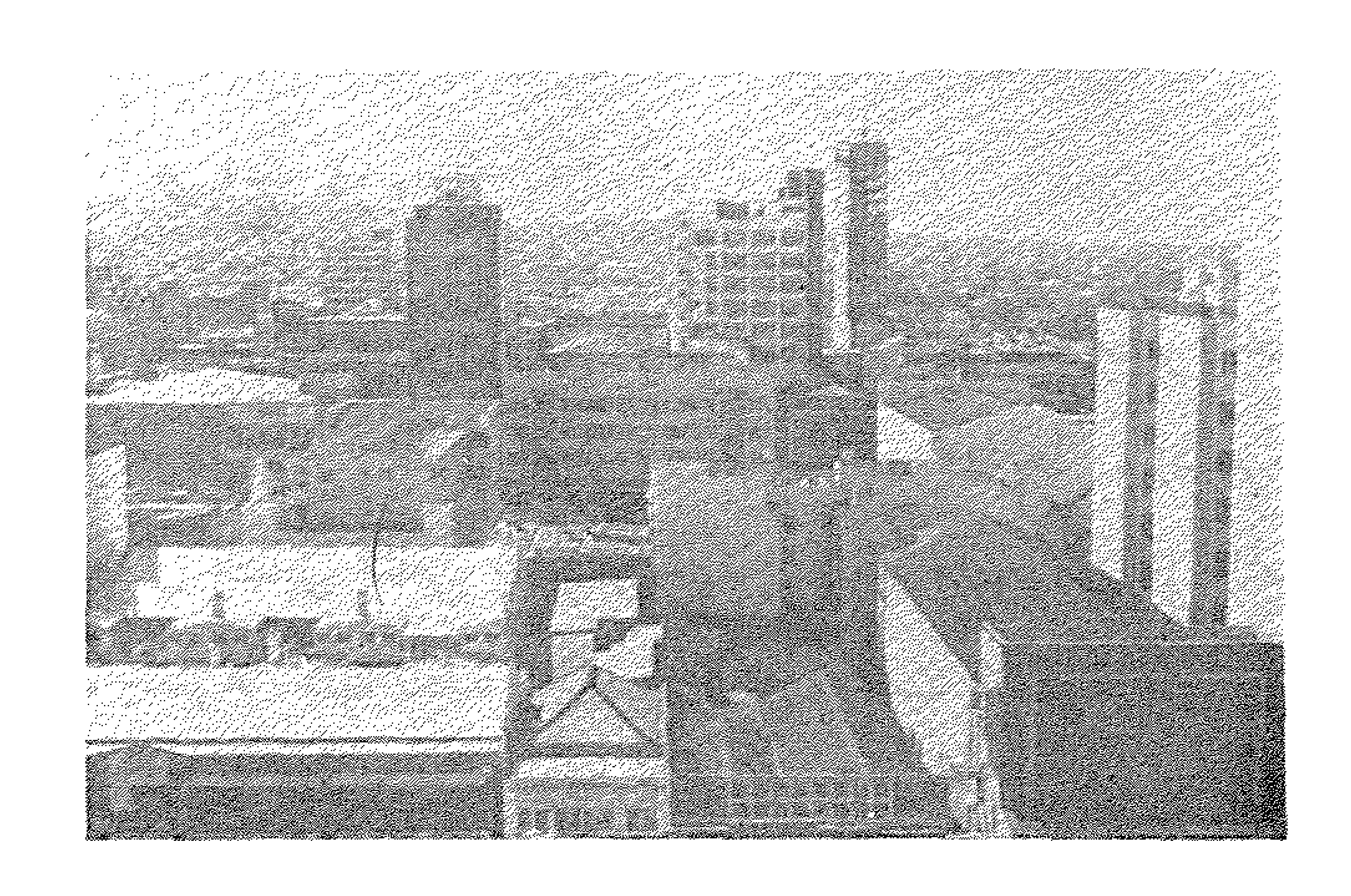
*
* * *
*

يوم الاثنين ١٨ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
الموافق ٣١ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ م

صباح دربن :

صحوت مبكراً لأنني نمت مبكراً فشهدت منظراً خلاباً هو منظر بزوغ الفجر ثم شروق الشمس من المحيط ، إذ غرفتي تقع في الطابق الثامن عشر والجهة الشرقية منها التي تلي المحيط قد جعلوها كلها نافذة زجاجية عندما أزحت الستارة عنها رأيت ذلك المنظر الخلاب ، ولم يكن بين الفندق والبحر إلا شارع عريض ومساحة غير عريضة من الأرض المنسقة يليها الشاطيء، وقد جهد القوم في تخطيط هذه المنطقة وتنسيقها فجاء بديعاً منسقا . حتى جعلوا الزهور والحشائش تغرس بطريقة فنية وجعلوا فيها أماكن للرياضة والجلوس .

وقد علمت فيما بعد أن البيض كانوا قد حرموا على



منظر لقسم من وسط مدينة دربن

الأجناس الأخرى دخولها أو حتى السير فيها غير أنهم الآن سمحوا بذلك في أكثرها ماعدا بعض الملاعب الرياضية .

جولة فى مدينة دربن :

قالوا : إن اسمها مأخوذ من اسم رجل إنكليزى كان حاكم هذه المنطقة في أول الأمر . وهي عاصمة إقليم (ناتال) ، وكلمة (ناتال) كلمة برتغالية معناها (عيد الميلاد) أو كريسماس كما يقول الإنكليز ، وذلك أن فاسكودي جاما عندما وصل هذه المنطقة من إفريقية دائرا حول رأس الرجاء الصالح كان ذلك عند حلول عيد الميلاد فسماها بذلك .

فرأينا أول الأمر قلب المدينة التجارى الذى يتألف من حوانيت ومحلات تجارية للبيض لايجيزون لغيرهم أن يشاركهم فيه .

وهو ينطق بالثراء والغنى إلا أنه أقل بذخا في المظهر من مدينة جوهانسبرج وهو أوسع مساحة وربما كان السبب في ارتفاع

العمارات في جوهانسبرج هو ضيق المساحة في وسط المدينة والشوارع هنا أرحب .

ومنه إنتقلنا إلى الحي الهندى ويكاد المرء إذا كان فيه أن ينسى أنه في إفريقية الجنوبية وإنما هو في مدينة هندية في الهند نفسها لولا أن مظاهر الجوع والبؤس والعرى الموجودة في بعض المدن الهندية معدومة هنا بين السكان الهنود .

فالجميع هنا يلبسون جيداً ، وتظهر عليهم التغذية الجيدة ، إلا أن أكثر الهنود هنا في هذه المدينة هم من جنوب الهند من الذين هم شديدوا السمرة سمرة تصل إلي حد السواد فأكثرهم من ولاية (تامل نادو) التي عاصمتها مدراس ، ومن ولاية كيرالا وكل أولئك شديدوا السمرة لأنهم من جنس السكان الهنود الأصليين الذين يقال لهم (دراور) ..

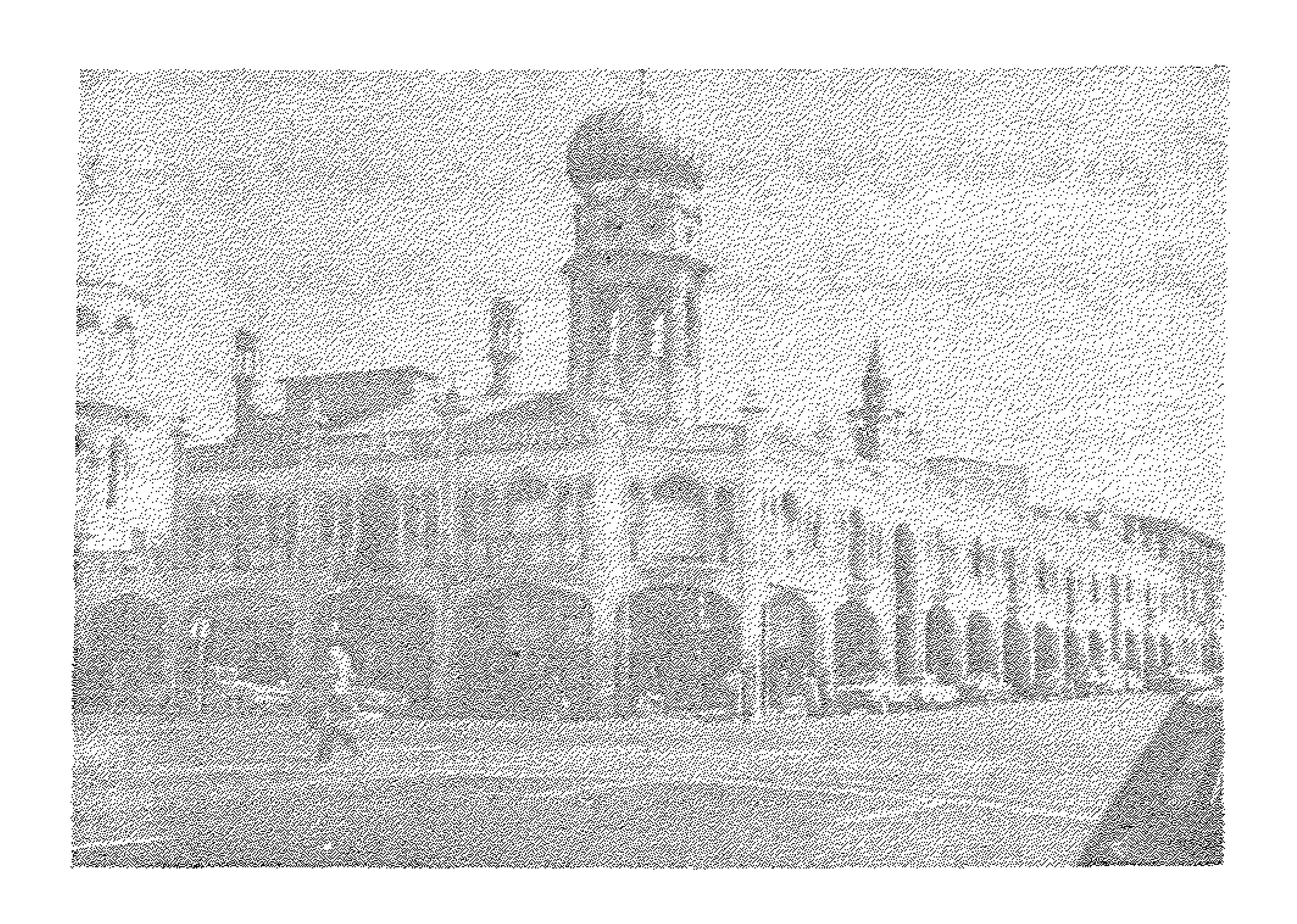
ولذلك إذا رأيتهم لم أكد أفرق في بعض الحالات بين بعضهم وبين الأفريقيين السود من قبيلة الزولو غير حالكة السواد لقرب ألوانهم من ألوان هؤلاء الإفريقيين .

وربما كان هذا هو الذي جعل الأوروبيين يصنفونهم في بعض الأحيان مع السود مثل السماح لهم بركوب الحافلات المخصصة للسود ، والدراسة في الجامعات المخصصة للسود ، وذلك بخلاف الهنود الموجودين في إقليم الترنسـفال الذى عاصمته مدينة جوهانسبرج فأغلبهم من منطقة كجرات في الهند ، وهم أكثر بياضا بل هم يعتبرون من حيث اللون لا يبعدون عن العرب الجنوبيين كثيراً .

وأغلب الهنود الموجودين في هذه المدينة (دربن) هم من الهندوكيين ، ويقل بينهم المسلمون بخلاف الهنود الذين في جوهانسبرج فإن نسبة المسلمين فيهم عالية .

في هذا الحي الهندى لايري المرء أجناساً أخرى غير الهنود من المارة إلا نادراً لامن الإفريقيين ولا من البيض ، وإن كانوا موجودين .

أما الحي التجاري الأوروبي فإنك ترى الهنود والسود والأوروبيين .



مسجد الجمعة في مدينة دربن

أما مساكن هذا الحي الهنـدي وحوانيته فإنها قريبة من المحلات الراقية في الهند نفسها غير أنها أنظف وأغنى .

ومن أجل ذلك كان ترتيب السكان في مدينة (دربن) كالآتي :

الهنود هم الأكثرية يليهم السود فالبيض فالملونون .

مسجد الجمعة في دربن :

كانت الجولة هذا الصباح مع الأخ (يوسف باتل) وهو مهندس وعضو فعال في إتحاد الطلبة المسلمين وهو شاب نشيط متوثب الحركات .

أرانا مسجد الجمعة في هذا الحي الهندى من المدينة فإذا به واسع كبير قال : إنه أكبر مسجد في إقليم الناتال كله ، وأنه يتسع لخمسة آلاف مصل .

ومما يسر أنه أرانا محلات تجارية كبيرة على شكل صفين وقال : إن هذه المحلات والحوانيت التجارية كلها وقف على

المسجد وإنها تدر عليه من الربح ما يكفي لتعميره وصيانته .

وقال: إنه رغم أن أكثرية السكان في هذا الحي الهندى هم من الهنادك أى غير المسلمين فإن أكثرية التجار في السوق هم من المسلمين ، ولفت نظرى إلي عدد من الأسماء التى تعلو الحوانيت التجارية فإذا بها أسماء إسلامية مألوفة مثل محمد وإبراهيم ويوسف واسماعيل . لأن معظم الهندوكيين عمال ومستخدمون .

ودخلنا المسجد فقابلتنا منه بركة حولها أماكن للوضوء وهي غير أماكن قضاء الحاجة بطبيعة الحال فتلك بعيدة وهي عادة موجودة في أكثر مساجد الشافعية في الهند ولذلك سألته عن مذهب المسلمين هنا فقال : إنه مختلط بعضهم شافعية وبعضهم حنفية .

وهذا طبيعي إذ أهل جنوب الهند هم من الشافعية وأهل شماله هم من الحنفية .

وعند الباب الداخلي كتب الدعاء التالي بالعربية (اللهم افتح لي أبواب رحمتك) .

والمسجد عريض جدا عرضه أكثر من طوله وربما كان ذلك بسبب طبيعة الأرض ، وهو مؤلف من طابقين يصلى في الأعلى الجمعة إذا إمتلأ الأسفل ،

وهو نظيف ومفروش بالسجاد الغالي . وبجانبه الغربي مدرسة للبنات مؤلفة من عدة طوابق .

وقد خرجنا من المسجد إلى جولة في السوق الهندى فإذا بى أرى حانوتا كبيراً كتب عليه (إسلامك بوكس) أى : أننا نبيع الكتب الاسلامية .

في مقر اتحاد الطلبة المسلمين :

وهو المقر الرئيسي لاتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية كلها ويقع في طابق من عمارة نظيفة جيدة في الحي الهندى مقابلا لمسجد الجمعة الكبير .

فالتقينا فيه بعدد من الإخوة العاملين في الإتحاد وعلى رأسهم أخونا الدكتور (شوكت على توكان) رئيس الإتحاد ، وبعض

إخواننا من الطلبة الأفارقة ومنهم سليم جيكيو من مالاوى .

ورأينا كيف أنهم قد قسموا المكاتب فيه على الموضوعات فهناك مكتب للجريدة التى يصدرها الإتحاد وهي (القلم) بهذا اللفظ العربي وليس معناها بالإنكليزية .

ومكتب فيه دائرة العلاقات مع المسلمين في دول جنوب إفريقية مثل روديسيا وملاوى وموزمبيق ، والمكتب الوطنى لجباية الزكاة وصرفها على الفقراء وقسم الكتب والطبع .

ثم انطلقنا من هناك إلى ضاحية للبيض إسمها (أمبيلو) وهي معتادة غير فاخرة .

ومنه إنتقلنا إلي حي لسكنى الهنود إسمه (كليروود) وهو نظيف جيد ، وينبغي أن يتذكر المرء هنا أن قولنا حي للهنود (وللبيض) أنه لايشاركهم فيه غيرهم ولا يجوز لهم أن يسكنوا في غيره إلا في حي مثله آخر لهم وحدهم إن وجد . وذلك طبقا للسياسية العنصرية التى تسير عليها حكومة جنوب إفريقية كما هو معروف .

وفي هذا الحي الهندى مسجد مشرف المنارة متوسط البناء ويتجلي كثرة التجار من إخواننا المسلمين في هذا الحي في الأسماء الإسلامية التى على المتاجر ظاهرة من بعد .

رفقاء الجولة :

كان رفقاء الجولة هم الدكتور (شوكت على صوكان) رئيس إتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية والمهندس يوسف باتل والشيخ (سليمان عمر) وهو هندى يعرف شيئاً قليلا من العربية كان قد تعلمه منذ سنين طويلة في مصر ولكنه نسي الآن أكثره .

في موبيني هايت :

هذا الحي من أحياء الهنود وقد ذهبنا إليه لزيارة أخينا الدكتور (غلام محمد حسين) وهو طبيب جراح ماهر في جراحة المسالك البولية مشهور بذلك ، ولكننا لم نجده وقالت زوجته إن المستشفي استدعاه بسرعة لإجراء عملية جراحية عاجلة في المسالك البولية .

وبيته يقع في ربوة جميلة بجانب مسجد قام على بنائه هو وإخوانه من المسلمين في أعلى مكان في هذا الحي وبنوا منارته على طراز يقرب من الطراز العربي الذي يجعلها عالية منفردة لا قبة بجانبها فبدت المنارة ظاهرة من مسافات بعيدة .

ويبعد هذا الحي عن قلب مدينة (دربن) سبعة عشر كيلا .

إلى منطقة الزولو :

قبيلة الزولو هي أكبر قبيلة إفريقية في إقليم (ناتال) وكان لهم ملك كبير حارب الأوروبيين عندما وصلوا إلى هذا الإقليم الذي كان مستعمرة إنكليزية حتى أخضعوه بعد ذلك ، ولا يزال لهم أي للزولو ملك بمثابة شيخ يرجعون إليه .

وقد خصص البيض لهم منطقة أسموها (زولو لاند) أى أرض الزولو إلا أنها تبعد عن دربن بحوالى مائتى كيلو متر فهي بعيدة وهي خالصة لهم .

إلا أن هناك منطقة تبدأ من مسـافة (٥٠) كيلا من

دربن تعتبر من المنطقة التى يباح لأفراد الزولو أن يسكنوا فيها غير أن الأراضي الزراعية فيها كلها أو أغلبها للبيض ومع ذلك ففيها مساكن لقبيلة الزولو .

وقد حرصت على زيارة أرض هذه القبيلة والإطلاع على طريقة حياة أفرادها فضلاً عن أشكالهم وألوانهم وإن كنت قد رأيت أعداداً منهم في مدينة دربن .

ذهبنا من حي (موبيني هايت) جهة الجنوب قاصدين (مسجد السلام) الذي يقع في منطقة قبيلة الزولو وأسسه بعض إخواننا المسلمين لغرض بث الدعوة الإسلامية بين أفراد هذه القبيلة الإفريقية الكبيرة .

وقد سمى إخواننا المسجد بل المركز الإسلامي هناك بالسلام إشعاراً بالهدف من إنشائه وأنه سيكون سلاماً للجميع وليس مع عنصر ضد عنصر وإنما هو مع الإسلام فقط .

وعندما خرجنا من منطقة مدينة (دربن) أخذنا نسير قرب شاطيء البحر فاعترضـــنا نهر اسمه (أمازم تونى) قالوا :

إن كلمة أمازم مأخوذ من كلمة (مازى) في لغة الزولو بمعنى الماء وتوني بمعنى الشرب فيتبادر إلي ظني أن هناك علاقة بين كلمة (ماجي) بالسواحلية التي تعني الماء الذى يشرب وكلمة مازي بالزولوية لنفس المعنى مع العلم بأن البعض يقول : إن كلمة (ماجي) السواحلية مأخوذة من كلمة (ماء) العربية أو(ماي) كما ينطق بها أهل الخليج فسألت مرافقي عن ذلك ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عنه .

وكان الطريق يخترق ريفا معشبا ذا تربة حمراء جميلة ومعظم الأراضى فيها ملك للبيض .

وقد اعترض الطريق أيضا نهر قادم من المرتفعات على اليمين ذاهب إلي البحر على الشمال ماراً تحت جسر على الطريق .

والأنهار هنا لكثرتها لاتافت النظر ولا يرى اخواني أنها مما يستحق التنويه وذلك لكثرتها إلا أنى لاحظت أن معظمها هنا ليس بالكبير .

وقد أخذ الطريق يسير بجانب شاطيء البحر وهو طريق جيد

إلا أن الساحل هنا غير جميل ، وغير منسق ربما كان ذلك بسبب عدم إرتفاع التلال التى تليه عن سطح البحر ارتفاعا مباشراً .
وترى وأنت سائر أعداداً من الإفريقيين وخاصة من نساء قبيلة الزولو الممتلئات الأجسام يمشين على الطريق لا أدري إلي أين يذهبن لأنه ليس هناك مساكن ظاهرة وربما كانت مساكنهن في داخل الأشجار أو في أسافل التلال ، أو كن يخدمن عند الأوروبيين .

كما كان هناك بعض الصبية والفتيات من الإفريقيين الحسنى الصحة والمظهر معهم بعض السمك الذي اصطادوه من البحر . وهم يمشون يهرولون .

أم غبابا :

ولايظن القاريء الكريم أن المقصود (أما غباوه) كما تقول العامة في مصر فيظن أنى اتهمته أو هو اتهمنى بالغباوه وإنما هذا اسم سوق إفريقي خالص مررنا به فأوقف الإخوان السيارة ونزلوا مثل عشرات من أرباب سيارات البيض الذين ربما كان بعضهم

من السياح الذين يأتون لقضاء الشتاء في منطقة (دربن) الدفيئة بالنسبة إلي جوهانسبرج وكيب تاون .

وكان أكثر مافي هذا السوق هو الفاكهة المحلية التى من أكثرها (أبو كاتو) وهي فاكهة عرفتها في مدغشقر وأكلتها هناك تؤكل قبل الطعام فيحالة وتؤكل بعدهفي حالة أخرى. ولكنها هنا ليست رخيصة مثل أكثر الأشياء في هذه البلاد بسبب ارتفاع المعيشة . فالسلة المتوسطة التى تزن حوالى خمسة أكيال تباع بعشرة راندات ومثل ذلك السلال المصنوعة من أعواد بعض الأشجار وهي كثيرة الأنواع وكلها من صنع قبيلة الزولو والغالب أن النساء هن اللاتي يصنعنها وقد رأيت طائفة منهن وهن يفعلن ذلك في ركن من السوق .

وجميع البائعات في السوق هن من نساء هذه القبيلة اللاتي يمتزن بامتلاء الأجسام بل بفرط إمتلاء الأجسام في بعض الأحيان وقل أن يجد المرء منهن حتى نحيفة واحدة .

وهن لسن حالكات السواد وليست التقاسيم الإفريقية الزنجية

فيهن مفرطة الوضوح وإن كانت موجودة فالشفاه الغليظة جداً والأنوف القصيرة جداً ليست كثيرة وإن كانت موجودة واللون يقرب إلى اللون البنى ، وتراهن وبخاصة الشابات منهن ينظرن إلى من يسمونهم البيض أمثالنا نظرة لها معنى في أكثر الأحيان بخلاف نساء الزنوج الذين تحت خط الإستواء فهن ينظرن في أكثر الأحيان إلى الرجل الأبيض نظرة عدم المبالاة .

فيحس الأبيض أن بعض نساء القبيلة ممن يريد أن يكرر النظر إليهن ، ويشعر بأنهن يبادلنه النظرات .

أما السلال فإنهم قالوا : إن ثمن السلة المتوسطة المصنوعة من أوراق الأشجار هو راند ونصف أي : حوالى سبعة ريالات سعودية .

وقد اشترى أحد الإخوان هاونا من الخشب براندين اثنين أي حوالى تسعة ريالات ونصف مصنوع هو ويده من الخشب .

وهناك أوان من الفخار أي الطين المطبوخ من صنع قبيلة الزولو لأغراض مختلفة ، منها ماهو للطبخ ومنها ماهو لخزن

الأطعمة والسوائل مثل السمن . قالوا : إن الكبيرة بإثنى عشر راندا والمتوسطة بعشرة .

أما أواني الطبخ الصغيرة الفخارية فهي بخمسة راندات .

وأما الفاكهة فلم أرها كثيرة هنا بل هي قليلة من حيث الكمية والتنوع رغم أن المنطقة ريفية خضراء كثيرة الأنهار وهي في أغلبها مؤلفة من الموز والبوكاتو والباباي وهناك ثمار صغيرة من الأناناس ولكنها قليلة وغير جيدة ربما كان ذلك لأن هذه المنطقة ليست من المناطق الإستوائية التى يجود فيها الأناناس .

الأرض الكثيرة للأقلية :

قال لي اخواني المرافقون : إن أكثر هذه الأراضى هي للأوروبيين ، وأن الأمر في جنوب إفريقية هو تسعون بالمائة من السكان – وهنا أكثرهم السود – يملكون عشرة بالمائة من الأراضي ، وعشرة بالمائة من السكان – وهنا أكثرهم البيض – يملكون تسعين بالمائة منها .

وذكروا ماسبق أن أسمعته من أن البيض عندما دخلوا إلى هذه البلاد ووجدوا فيها الأفريقيين وكانوا فيها قبل وصولهم أمدوا إليهم إحدى اليدين فيها الإنجيل – رمز للديانة النصرانية – يعطونهم إياه واليد الأخرى يأخذون بها مابأيديهم من الأراضى حتى أصبحوا على ماهم عليه الآن هذا ما قالوه ، ولاشك في أنه إذا كانوا لم يقولوا ذلك قولا أو لم يرتبوا الأمر فيه ترتيباً فإنهم قد فعلوه حقا .

فقد انتشر دعاة النصرانية وقاموا بتنصير طائفة من أهل البلاد الأصليين من الأفارقة أو من السود كما يسمونهم في الوقت الذى كان فيه المغامرون والمستثمرون منهم يستحوذون على ثروة البلاد ، ومنها الأراضى الزراعية بالشراء وعن طريق احتكار التجارة والاستغلال بشتى الطرق .

وإن كان كل واحد من العملين منفصلا عن الآخر .

على ساحل المحيط :

قال لي إخواني : إن المسافة مابين (دربن) ومسجد السلام هي تسعون كيلا أكثرها سيكون على ساحل البحر وهذا مما يجعل الرحلة ممتعة .

وقد كان بالفعل إذ صار الطريق يسير بجانب المحيط جاعلا التلال الخضر إلى اليمين والبحر إلى اليسار ومن أهم ما لفت نظري منظر كان يوجد في بلادنا وافتقدناه الآن وهو منظر النساء اللآتي يحملن حزم الحطب على رءوسهن وهن يسرعن به إلى بيوتهن التي لا نراها لأنها ليست على الطريق الاسفلتي .

ثم بدأت التلال ترتفع وتزداد خضرة والمناظر تصبح أكثر روعة ومررنا بقرب بلدة اسمها (مزنتو) وكنا نسير مع طريق جيد عريض قالوا : إنه يمتد إلى مدينة الرأس (كيب تاون) وأن طوله من (دربن) هذه إلى (كيب تاون) ألف وثمانمائة كيل ، وأنه يمتد على ساحل المحيط أيضا بعد (كيب تاون) إلى مسافة بعيدة .

هذا وقد انطلق طريق فرعي جيد السفلتة من هذا الطريق أخذنا ذات اليمين فسلكناه مع رواب خضر تغطيها كلها نباتات قصب السكر بصورة كثيفة وتكاد تمتد حتى لا يدرك البصر لها مدى .

وقال لنا مرافقونا إن مزارع السكر تمتد لمسافة تزيد على أربعمائة وخمسين كيلو متراً ، ولذلك تعد جمهورية جنوب إفريقية من الدول المصدرة للسكر . وقالوا : إن زراعة السكر إبتدأها الأوربيون قبل ١٣٠ سنة وأنها هي كانت السبب في إحضار بعض الهنود للعمل في هذه البلاد من الهند وأكثر عملهم الذى جلبوا من أجله هو حصد قصب السكر لأن الإفريقيين يعتبرون أعداء للأوروبيين في ذلك الوقت .

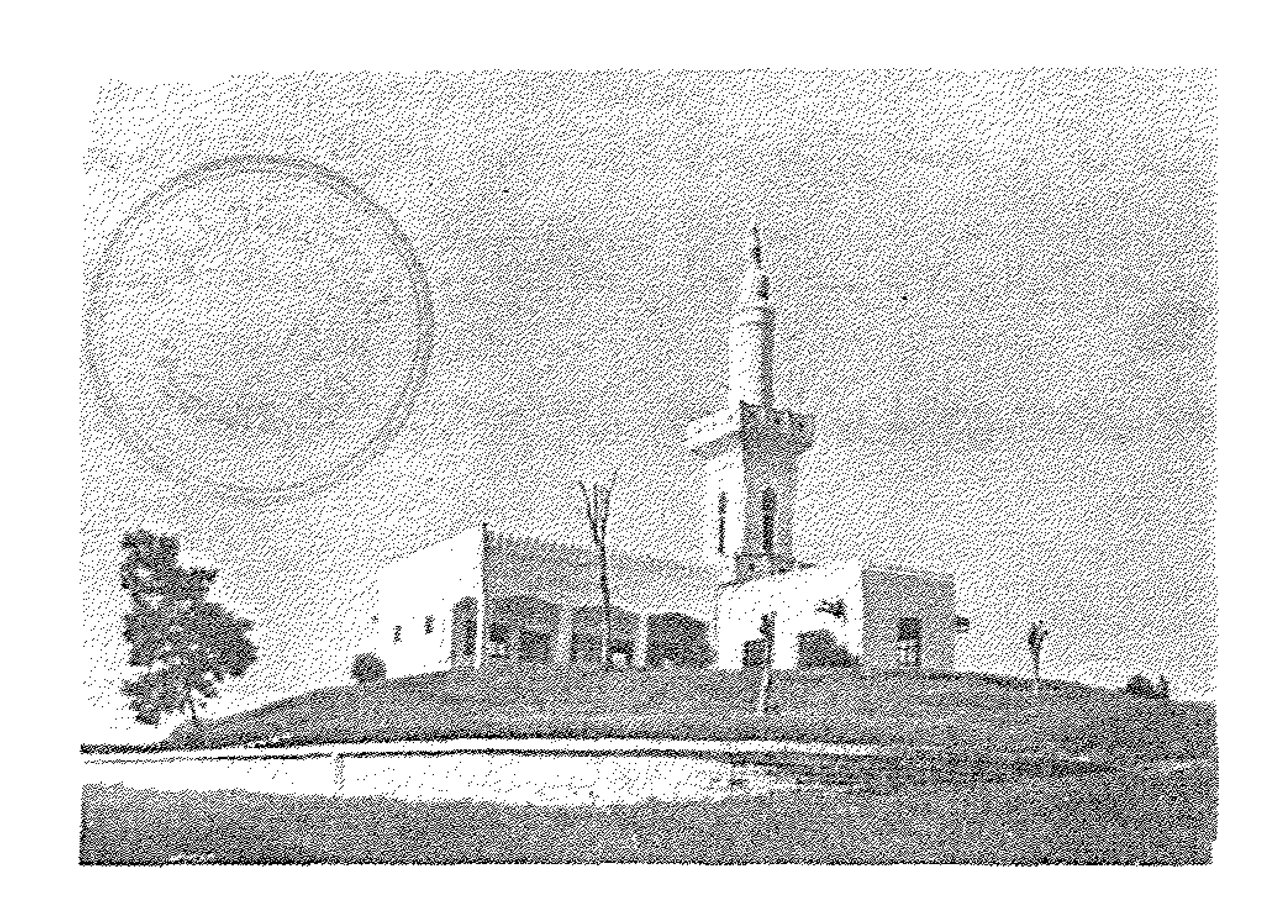
وسرنا بين تلال أكثرها خضر محللة بقصب السكر الأخضر وبعضها صفر من قصب حصيد كنا نلاقي بعد الحين والآخر سيارات الشحن الضخمة الطويلة محملة به ذاهبة إلى مصانع التكرير والتصفية . وقال لنا إخواننا :إن محصول السكر هنا يكون

بين مرتين وثلاث مرات في السنة . وقالوا إن معظم هذه الأراضى الجيدة لزراعة السكر يملكها البيض . مع أن المنطقة تعتبر منطقة لقبيلة الزولو من حيث السكنى .

مسجد السلام :

ومن الطريق الرئيسية المسفلتة لفت أصحابنا نظرى إلى تلة عالية وقالو : انظر ، هاهو مسجد السلام فرأيته عالي المكان ، رفيع الشأن ، ذا منارة مشرفة مهيبة في هذا الجو الذى قلنا إن الأوروبيين قد انفردوا بالعمل فيه دون المسلمين مدة طويلة ، وأنهم قد أوصدوا الأبواب دون الدعوة إلى الله ، وهذا صحيح من حيث الأمر الأول غير أن الأمر الثاني غير صحيح (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وتركنا الطريق الأسفلتي متجهين جهة مهب الشمال مع طريق خاص للمسجد ضيق لا يتسع إلا لسيارة واحدة ، وقال



مسجد السلام

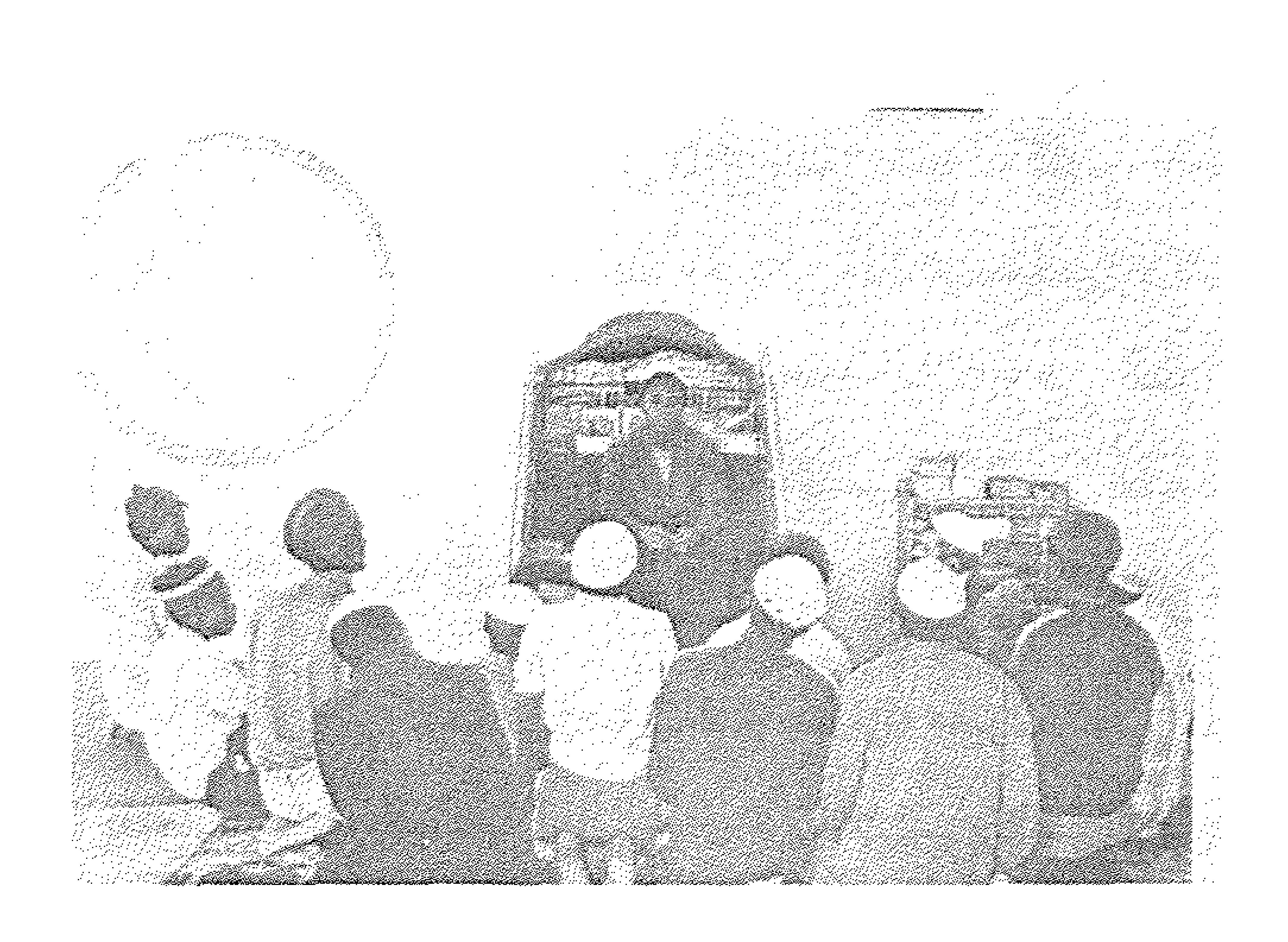
إخواننا إنهم هم الذين أصلحوا هذا الطريق الموصل إلى مسجد السلام بنفقتهم لأنه يوصل إليه ليس غير .

وقد أخذ الطريق بين النزول الشديد إلى ما يشبه الوادي والصعود الشديد إلى المرتفع وذلك لأنه طريق خاص كما قلنا ، وقد عبدوه بالطين ، ورأينا بعض العمال السود لايزالون يعملون فيه ويصلحون ماقد يذهب من الطين الذي وُضع عليه وكلهم من قبيلة الزولو .

ومن ألطف ما شاهدنا في هذه المنطقة التى فيها بيوت أو على الأصح أكواخ عديدة لقبيلة الزولو أننا ما أن نمر بشخص منهم وبخاصة من الرجال والفتيات إلا ويرفع يده لنا يبدأنا بالتحية ، وقال لنا أصحابنا إن الزولو مهذبون يحيون القادم إليهم .

رأينا المسجد بعد أن تم ما قطعناه من المسافة تسعين كيلا .

وعند الوصول إلى القمة التى عليها المسجد وجدنا إمام المسجد وعدة من الطلاب هم ٢١ طالبا قد تحلقوا حوله على



طالب يحاضر في إخوانه من الطلاب الجدد في المسجد

بســاط من العشب الأصفر والأخضر وهو يعلمهم القرآن والشمس غير صاحية تماما .

وإسم الإمام والمرشد الذي في المسجد أو المركز (يوسف محمدى) وهو من أصل هندي وقد تعرفنا على الطلبة الذين عنده وأكبرهم يدعي (عمر مبيلا) وهو ملتح وكلهم حديثو عهدبالإسلام أسلموا هم بأنفسهم ولم يكن آباؤهم مسلمين وكلهم قد لبسوا شعار المسلمين في اللباس في هذه البلاد وهي الطواقي كل واحد منهم على رأسه طاقية أما اللباس فأكثرهم عليه مع السروال (البنطلون) المعتاد قميص أطول من القميص الإفرنجي

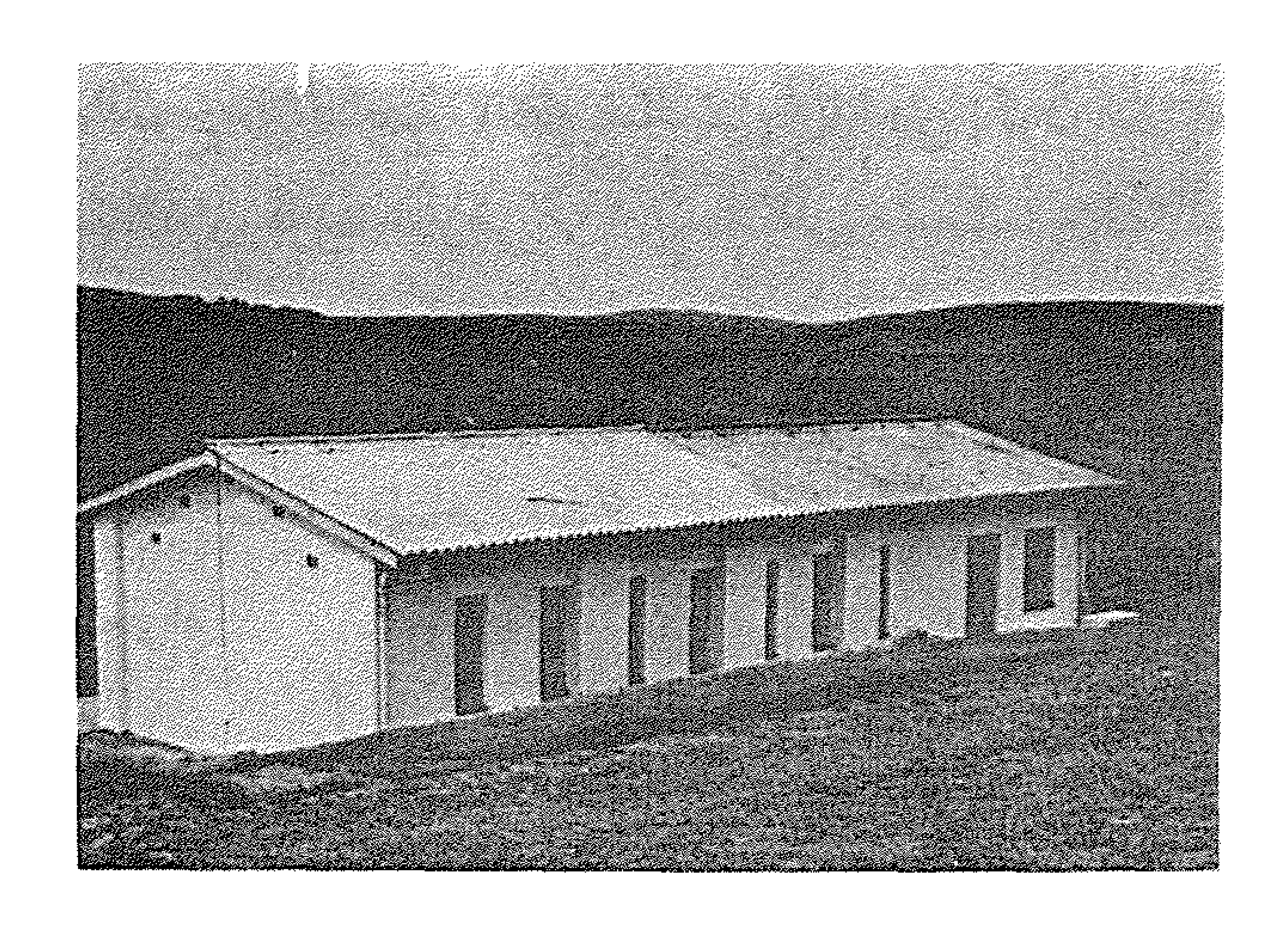
أما الجو فرغم كوننا في فصل الشتاء هنا فإنه مقبول يمكن المرء أن يقتصرفيه على القميص والسروال لأن الشمس كافية للدفء .

وفي المسجد المرتفع على أعلى قمة من التلال وهي تلال طينية خصبة وليست حجرية كنا نشاهد منازل لأناس من قبيلة الزولو متفرقة في مجموعات صغيرة العدد قال بعض إخواني ربما كان ذلك لكون المجموعة لأسرة واحدة أو لزوجة إضافية لأن هذه من عاداتهم كما يقولون .

وهي أكواخ مستديرة مبنية من الطين على شكل غرفة واحدة وفوق ذلك مايشبه القمع المقلوب أي سـقف هرمي الشكل ذو جوانب زائدة على الجدران الطينية لتقيها المطر والسقف من القش وأعواد الأشجار إلا أنهم يطلون خارج المنزل أو الكوخ على الأصح بمادة بيضاء شبيهة بالجص تكون أسفل من السقف إلى قرب الأرض .

وإذا رأى المرء على البعد هذه الأكواخ الإفريقية الهرمية الشكل المحجلة بالبياض تذكر بيوت الأعراب المتفرقة في الصحراء .

إلا أن هؤلاء القوم من الإفريقيين قد ينزلون فوق التلال، ويتكلفون النزول إلى أسـفل الوادي المنخفض ليحضروا ما يحتاجون إليه من الماء من المستنقع أو النهر الصغير . وفي حالتهم التي شاهدناهم عليها لايوجد نهر وإنما هو غدير متخلف من مياه الأمطار غير نقي الماء وهـذا الفصل هو فصل الجفاف في هذه المنطقة .



أحد مساكن الطلبة

وهم هنا في هذه المنطقة كانوا في القديم يرعون مواشيهم غير أن طائفة من هذه الأراضى أو كلها أصبحت في الوقت الحاضر مزارع للسكر وغيره فأصبح هؤلاء الأفريقيون عمالاً فيها .

أما الماء الذي يحتاجه المسجد ومايتبعه وأصح تسمية له هي المركز لأنه مؤلف من المسجد ومنازل للطلبة ولإمام المسجد والخدم ، ومدرسة صغيرة .

فإنهم يحضرون الماء من مستنقع في أسفل الوادي يرفعونه بواسطة آلة رافعة للمياه تعمل بالديزل ويمر الماء من مصفى (فلتر) قبل رفعه ، فيصب في خزان مقام على الأرض بجانب المسجد الذى هو في أعلى قسم من التلة ومن هناك يسير إلى أماكن الوضوء ومهجع الطلبة فيستعملونه شبه نقي لغير الشرب أما الذى منه للشرب فأخبرني الإمام أنهم يغلونه غلياً .

وماء المستنقع كاف لهم طول السنة وقد أقاموا سداً ترابياً حتى

يحجز أكثر الماء لئلا يتسرب إلى الأسفل وهو يأتي من التلال القريبة بل المجاورة وذلك لكثرة الأمطار في أكثر فصول السنة .

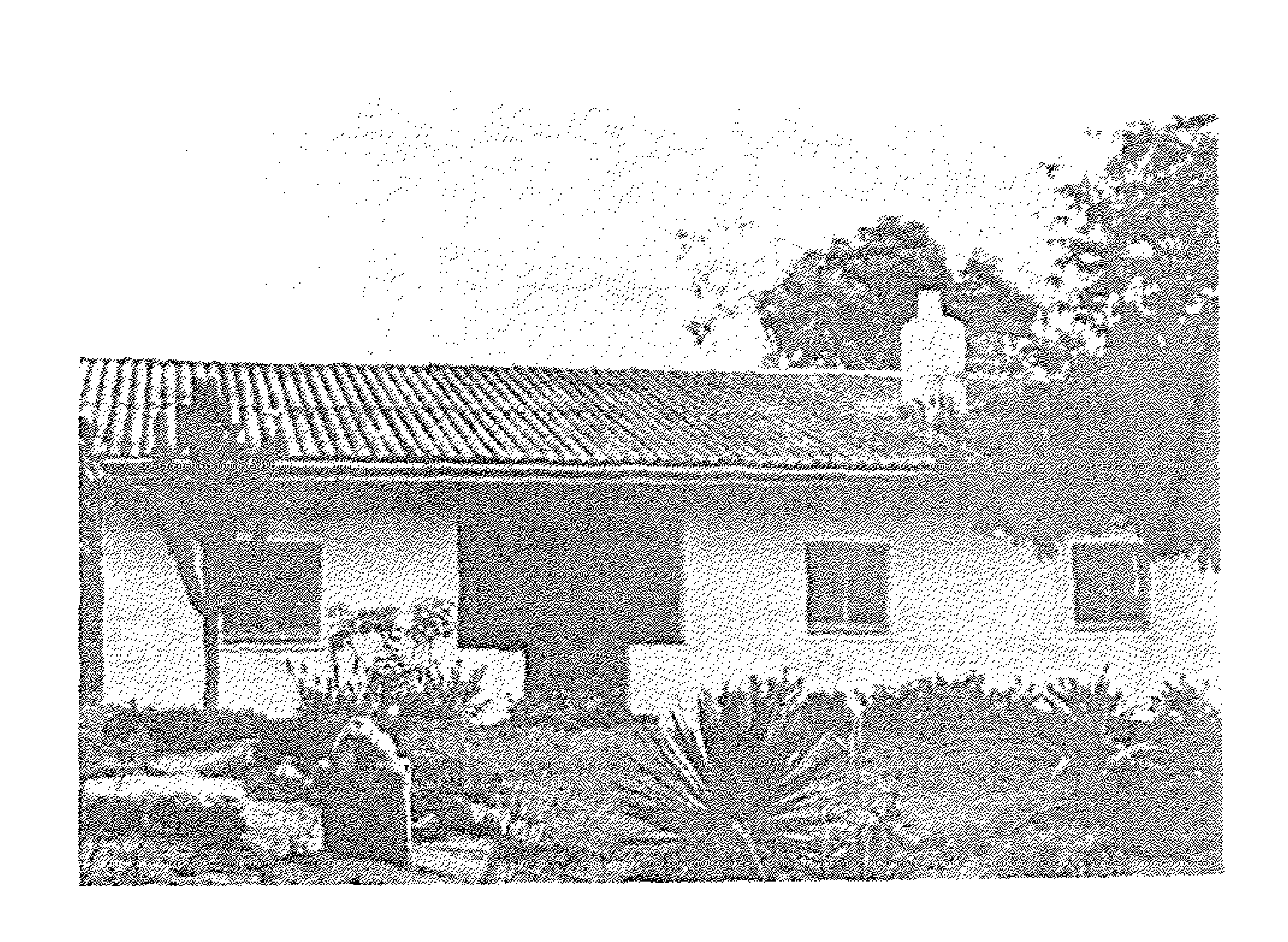
أما الكهرباء فقد أحضروها من مسافة بعيدة لأجل مركز السلام لأن المنطقة ريفية ليست مسكونة إلا من بعض بيوت الزولو المتفرقة وليس فيها كهرباء إلا أن الحكومة ساعدتهم بتحمل نصف النفقات لأن هذا المشروع ديني خيرى والنصف الآخر دفعوا ثمن تكاليفه .

ولهذا المشروع قصة تتلخص في أن هذه الأرض التى هي رغم كونها مؤلفة من تلة عالية وأرض منخفضة تشبه الوادى العميق وسفوح تلال فإنها كانت لأحد إخواننا المسلمين من أهل الهند بنى فيها بيتا في سفح إحدى التلال جعله مسكناً ريفياً له يأتى إليه في بعض الأحيان ويستغل الأرض التى لا تحتاج زراعتها إلى سقي في موسم الأمطار حتى لو غرست فيها أشجار الغابات للأخشاب لكانت من ذلك غلة لا بأس بها .

ثم رأى أن يهبها لله فأعطاها منذ عشرين سنة لجماعة من المسلمين ألفوا جمعية لعمارة المسجد بل المركز وبنوا المسجد منذ عشر سنين ، وقد بدأ العمل به بمثابة مركز إسلامي ليكون نواة لتعليم بعض أبناء قبيلة الزولو الدين الإسلامي حتى يكونوا دعاة إلى الله وينشروا الإسلام بين قبائلهم .

وقد أخذنا إخواننا يتقدمهم الشيخ (يوسف محمدي) إلي مبنى أسفل من المسجد في سفح التلة الخضراء فكنا نسير على العشب الذى هو كالفراش الذى يجلس عليه المرء إلا أنه ليس كامل الخضرة بسبب الجفاف ، أما الطريق الذي جعلوه للأقدام فهو أرض سوداء بخلاف سائر الأرض الإفريقية التى رأينا بعضها عندما خرجنا من (دربن) فهي حمراء .

رأينا مهجع الطلبة نظيفا ذا سرر مؤثثة بأثاث وخزائن للطلبة غير أن شكوى الإمام كانت من ضيق هذا المهجع وأنه لولا ذلك لكان بالإمكان زيادة الطلبة لأنه لا مجال لأن يعلموا طالبا عندهم ويذهب لينام ويعيش مع أهله وذلك لبعد المسافة



غرفة الادارة

وتفرق المنازل لأنهم كما قلت في أراضٍ ريفية تعتبر من الخلاء .

أما المسجد فهو نظيف حقا رغم أنه ناءٍ قد زرعت جهة منه بالزهور الجيدة ومنها زهور تسمي زهور الاكريسماس أو زهر عيد الميلاد وفيه محلات للوضوء منسقة وأرض مفروشة بالسجاد المعتاد .

ومن أجمل ما فيه نخلة لا تثمر مغروسة فيه ربما كان ذلك لتكون بمثابة الرمز للتعلق بالمدينة المنورة ذات النخيل .

المساواة حتى في الإمامة :

صلينا الظهر خلف أحد الإخوة الإفريقيين من قبيلة الزولو ومعنا الشيخ المرشد في صف ونصف من صفوف المسجد المتوسط الإتساع أقدر أن عدد المصلين كان (٣٥) ولكن المهم أن الإمام كان يصلى صلاة مطمئنة خلاف عادة أكثر إخواننا من أهل الهند ذوي المذهب الحنفي الذى لايرى أن الطمأنينة شرط في



حلقة تدريس في المسجد

الصلاة فيراهم يوجزونها في بعض الأحيان ، وقد أعجبني ذلك منه فسألته عن إسمه فقال (إبراهيم على) .

وكان الشيخ يوسف محمدى قد أخبرني أنهم كلهم قد أسلموا بأنفسهم فسألته إذاً كيف يكون إسم أبيه على وهو لم يسلم ؟ فأجاب : أن الإسمين كليهما له لأنهم لا يريدون أن يذكروا الاسماء غير الإسلامية لآبائهم .

وقد استصغرت سنه عن الإمامة فسألته — وكل ذلك بالإنكليزية — عن سنه فأجاب بأنها ثمان عشرة سنة .

وكان في الطلاب من هو أكبر منه مثل الأخ عمر مبيلا الملتحي فضلاً عن الشيخ يوسف محمدى فأجاب هو بما أوضحه الشيخ يوسف بعد ذلك بقوله :

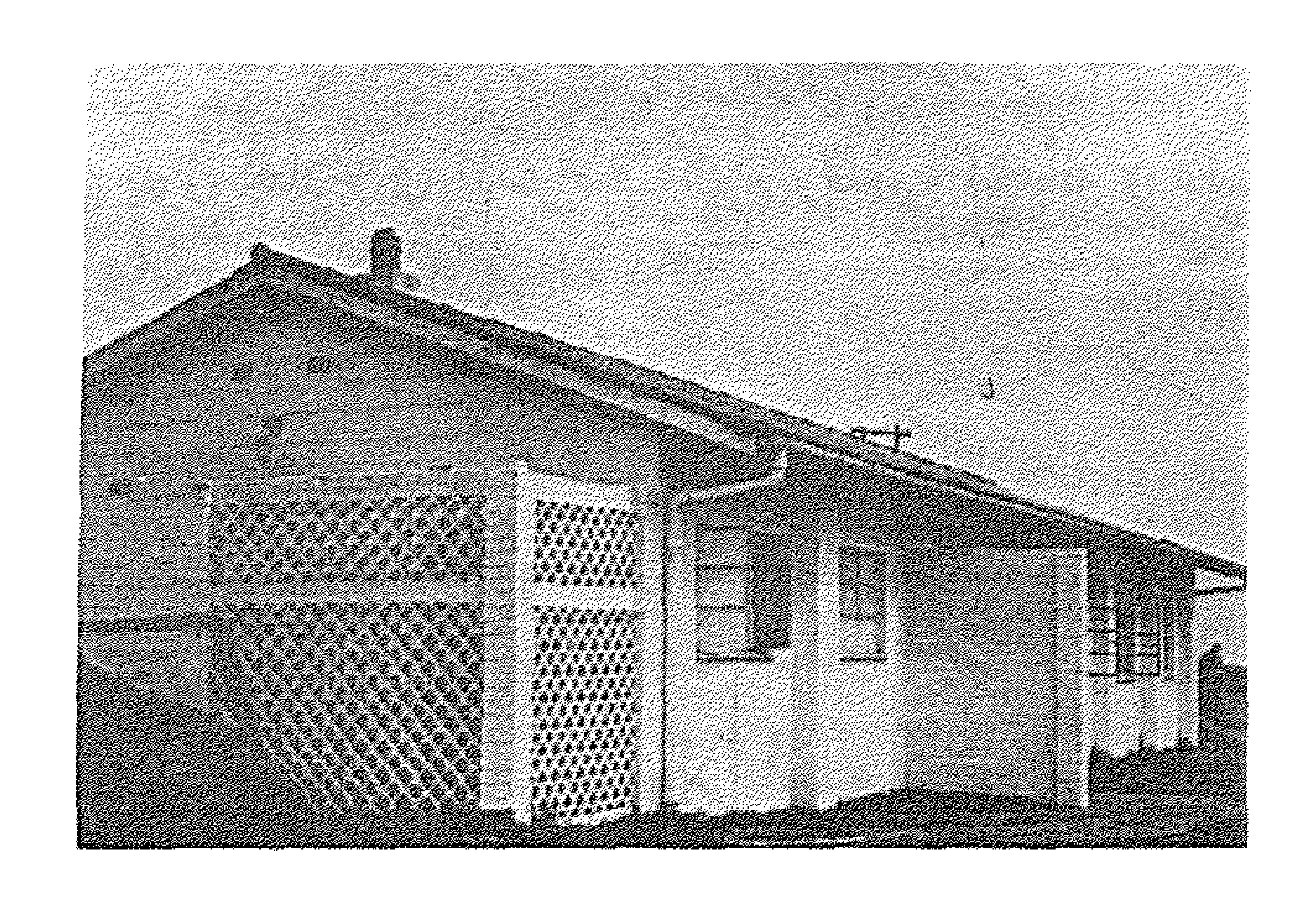
إن الإمامة دورية كل واحد من الطلاب والإخوان الافريقيين يؤم إخوانه وقتا تكون الإمامة بعده لأخ آخر وهكذا . ونحن نفعل ذلك لكي ندربهم على الإمامة والإرشاد ونؤهلهم على أن يكونوا

أئمة لمن يسلم من قبيلتهم أو ذوى قومهم في المستقبل . والواقع أنى كنت مع إخوانى أؤدى الصلاة خلف هذا الأخ الأفريقي المسلم الحديث الإسلام وأنا في غاية التأثر من طريقة صلاته والخشــوع الظاهر فيها ومن نطقه الذى لم يمرن حتى الآن على إخراج الحروف العربية من مخارجها المعتادة فهو يرقق اللام في (الله أكبر) (سمع الله لمن حمده) .

وينطق بالحاء بما لا يبعد عن مخرج الهاء . فأكبر ذلك وأعظمه من هــذا الدين الذى وصل إلى أقاصى الدنيا وعلى أيدى أناس من إخواننا المسلمين من غير العرب فأعرف أنه دين الإنسانية ، وليس دين العنصرية أو القومية .

والتطبيب بالمناوبة :

الإمامة في الصلاة هنا بالمناوبة ، وكذلك التطبيب فقد أنشأ إخواننا في جمعية مسجد السلام مستوصفا صغيراً سيأتى الحديث عنه ولم يستطيعوا بطبيعة الحال أن يوجدوا أطباء مقيمين فيه



مستوصف السلام

فاتفقوا مع عدد من الأطباء المسلمين على أن يخرج كل واحد منهم إلى مسجد السلام وأن يتولى علاج من يراجعه بشكل دوري حسب فراغه في الوقت .

وقد قابلنا في المسجد وصلى معنا الأخ الدكتور (محمد خان) الذي يتولى العلاج في المستوصف اليوم وقدموه لنا بأنه (عضو لجنة الأطباء) للمسجد .

حلقة قرآنية :

بعد الصلاة جمع الشيخ يوسف محمدى تلاميذه من الإخوة الإفريقيين في حلقة في المسجد وأمر أحدهم بالقراءة فقرأ من قصار السور سورة من المصحف قراءة جيدة ثم أعقبه آخر فقرأ سورة قصيرة عن ظهر قلب ، وذلك كله من جزء عم . ثم قرأ آخر من وسط المصحف مقداراً من الآيات الكريمة وقد عجبت من صحة قراءة هؤلاء الإخوة الذين لايزالون يجاهدون في إخراج الحروف العربية التى لم يتعودوا عليها من مخارجها

الصحيحة في فن التجويد ومن صبر أخينا الشيخ يوسف محمدي على تعليمهم بل تقبله ذلك برضاء وسرور كما هو ظاهر عليه .

ثم ألقيت كلمة فيهم ذكرت لهم فيها أنهم جزء من كل من العالم الإسـلامي وأنهم الآن أقلية في بني قومهم ولكنهم ينبغي أن يقتدوا ببلال بن رباح مؤذن رسول الله (ص) الذي كان في وقت من الأوقات هو المسـلم الإفريقي الوحيد بين قومه ، ومقامه في الإسلام مع السابقين الأولين من أفاضل الصحابة .

برنامجهم اليومي :

وقد حدثني الأخ الشيخ (يوسف محمدى) عن البرنامج اليومي للطلبة فقال : إنه يبدأ بقراءة القرآن الكريم ثم بصلاة الفجر ثم يخرج الطلبة لتنظيف محلات سكناهم ونومهم يقومون بذلك بأنفسهم . ثم يعودون للمسجد لحفظ القرآن الكريم . ويدرسون بعض حديث الرسول (ص) ثم السيرة النبوية ، ودرس ديني

ثم التمرين على ما يلزم الداعية عند قوم لايعرفون من الإسلام شيئاً من كيفية الإمامة في الصلاة والخطبة في الجمعة ، وكيف يكون عقد النكاح وغسل الميت والصلاة على الجنازة .

أما بعد الظهر فإنهم يخصصونه للأطفال من غير المسلمين الذين يجلبهم الطلبة المسلمون إلى هذا المكان لكي يحاولوا أن يجعلوهم قريبين منهم ثم يقومون بالذكر .

وقد يخرجون مرة واحدة في الأسبوع على شكل جماعة إلى أطراف هذه المنطقة للدعوة إلى الله .

مستوصف السلام :

من المسجد إنتقلنا إلي مستوصف السلام فإذا به صغير إلا أنه نظيف في كل شيء وفيه صيدلية جيدة غنية بالأدوية التى بعضها مستورد وبعضها مركب في جنوب إفريقية . وقد أخبرونا أن متوسط العدد الأسبوعي الذى يراجع هذا المستوصف هو ما بين

ثلاثين إلى أربعين شخصاً وذلك لقلة السكان في هذه المنطقة وأخبرونا أنهم يعالجون الجميع من مسلمين وغير مسلمين مع أن المسلمين أقلية جدا لاتكاد تذكر في العدد وأن العلاج شبه مجاني فهو بأجر رمزي لئلا يتردد على المستوصف غير المحتاج إذا كان مجانيا كامل المجانية .

فندق السلام :

قال إخواننا من باب المداعبة : سنريك فندق السلام إلا أننا نخشى أن تترك فندق (القيني) في دربن وتسكن هنا ! .

ولما استفسرت منهم عن ذلك أسرعوا ينحدرون بي من قمة التلة إلى أكواخ في السفوح ثلاثة أحدها قارب أن ينتهي والآخران تحت الإنشـــاء وهما كأكواخ قبيلة الزولو تماماً مبنية من الطين الذي لم يخالطه مخالط من الأعواد أو غيرها . وسقوفها من القش المدعم بالخشب .

وقالوا : إن غرضهم من إنشائها أن تكون بمثابة الاستراحة

لمن يريد أن يخرج بأسرته من المسلمين لقضاء بعض الوقت في هذا المكان الريفي الجيد الهواء خلال صيف (دربن) الشديد الحرارة والرطوبة . وربما يدفع رسما رمزيا ينفع المشروع أو على الأقل يعرف هذا المكان فيحمله ذلك على أن يساهم فيه بما يستطيع من مساهمة وكانت فرصة لكي أرى منازل الافريقيين هنا من الداخل إذ بناها الزولو بأنفسهم بالأجر بطبيعة الحال فإذا بها غرفة مدورة أشبه بالخيمة المتوسطة لها نافذتان متقابلتان جعلهما أصحابنا من الزجاج تفتحان وتغلقان حتى لا تغلقا النظر ، والمضنون أن ذلك بارد في الصيف لأنه من الطين والقش العازل للحرارة المبعد لتأثير أشعة الشمس .

وبعد تفقد هذا الفندق ذي الغرف الثلاث المتباعدة ذات السقوف القشية المخروطة الشكل ذهبنا إلى منزل الإمام الشيخ (يوسف محمدى) وفيه زوجته وخادمة إفريقية وهو يسكن هنا وليس له أولاد لأنه حديث عهد بالزواج وإلا لكان من الصعب عليهم البقاء هنا بدون مدارس نظامية .

فوجدنا الغداء علي مائدة شبيهة بالهندية من حيث وجود الفلفل الحار فيها رغم أن الجيل الهندى هنا هو الجيل الثالث ، وكان الأهم من ذلك هو مادار على المائدة من أحاديث أفادتنى كثيرا عن وضع المسلمين في هذه البلاد خاصة ، وعن أوضاع المسلمين بعامة لأن إخوانى المرافقين كلهم اشتركوا في الحديث فهم من قادة العمل الإسلامي في هذه البلاد .

العودة إلى دربن :

في الرابعة بدأت العودة إلي مدينة (دربن) مع الطريق نفسه ، ولكننا لن نذهب إلي الفندق لأستريح أنا ويستريح مني إخوانى المرافقون وعلى رأسهم الدكتور (شوكت علي صوكان) فيذهبون إلى أولادهم وذويهم وإنما كان الذهاب إلى :

حى مالاقازي :

وهو حي إفريقي سيء جداً ليس ببعيد من قلب المدينة ذي العمارات الحديثة الفاخرة ولا من الأحياء الآسيوية المهذبة

الجيدة ومع ذلك فقد رأيت فيه من الأشياء السئية ما لا أذكر أنني رأيته في كثير من البلدان الإفريقية الفقيرة وبخاصة من حيث قلة النظافة وتآكل البيوت الطينية التي بدت من خلال طينها الأعواد التى جعلت بينها لتمسكها كماهي العادة في بناء الأكواخ في بعض البلاد الإفريقية الزنجية . أما سقوفها فهي من الصفيح الذى أسود حتى صار كالح المنظر .

وليس في الحي ماء فضلاً عن أن يدخل البيوت التى فيه ، وإنما رأينا جماعة كثيرة أكثرها من النساء يبلغ عددها أكثر من الخمسين متجمهرة حول صنبور للمياه في ساحة بين الأكواخ وكل واحدة في يدها إناء تنتظر دورها أن يحين لكي تملأه :

أما باحاته وأسواقه الخارجية فإنها قذرة قد اكتظت فيها أكوام الزبالة ولما سألت إخوانى قائلا لهم : أين البلدية ؟ قالوا : إنه لا يوجد فيه بلدية . لأن خدمات البلدية تكون للأحياء التى يستطيع سكانها دفع ضرائب أكثر ! وفي مقابل هذا الحي بيوت حديثة متناثرة على شكل الأكواخ إلا أنها جميلة البناء مبنية من

الآجر الأحمر والصفيح اللامع أو المدهون ذكروا لنا أن الحكومة قد ابتدأت الآن تنقل السكان من هذا الحي القذر إلى مثل هذه البيوت الجديدة التى بنتها هي .

والسكان هنا من قبيلة سويتو التى يمتاز نساؤها بإمتلاء الأجسام وقلة الرشاقة وقد رأيتهن وهي يجلبن الماء لذلك يجاهدهن في حمل الماء على قلة مقداره ولكنهن أيضا كن يجاهدهن في حمل أجسامهن .

جماعة خانه :

بنت حركة الشباب المسلم في هذا الحي (حي مالاقازي) مكانا اسمته (جماعة خانه) ليكون مصلى مؤقتاً ، ومستوصفا صغيراً ، وغرفة كتب عليها (المدرسة الحسينية) للأولاد وأقامت أماكن للوضؤ غير أننا وجدنا ذلك كله خاليا ليس فيه أحد حتى المسجد أوخان الجماعة كما أسموه لم يستعمل منذ مدة ولذلك أسرعت جارة مسلمة من جنوب الهند إلى كنسه وإبعاد

القامة من أرضه وقد ذكروا أنهم أقاموه بصفة مؤقتة ولذلك لم يسموه مسجداً .

مع أن هذا الحي من أحوج الأماكن إلى مركز إسلامي ولكن أين العاملون ؟ .

وقد رأيت أعداداً من نساء هذا الحي من قبيلة الزولو يذهبن إلى بيت الرجل المسلم هذا ومعهن أوعية يأخذن بها الماء قال إخواننا : إن الأخ المسلم يتصدق عليهن بالماء .

ونساء الزولو كسائر نساء الإفريقيين يحملن أطفالهن في خرق على ظهورهن وهن إلى ذلك ممتلئات الأجسام ، قصار القامة ، في الأغلب ، ولكن ليس ذلك إلى حد مفرط .

وهن من الزنجيات اللآتي ليس على رؤوسهن شعر طويل ، وإنما الشعر فيها مفلفل ..

إلى موبيني هايت :

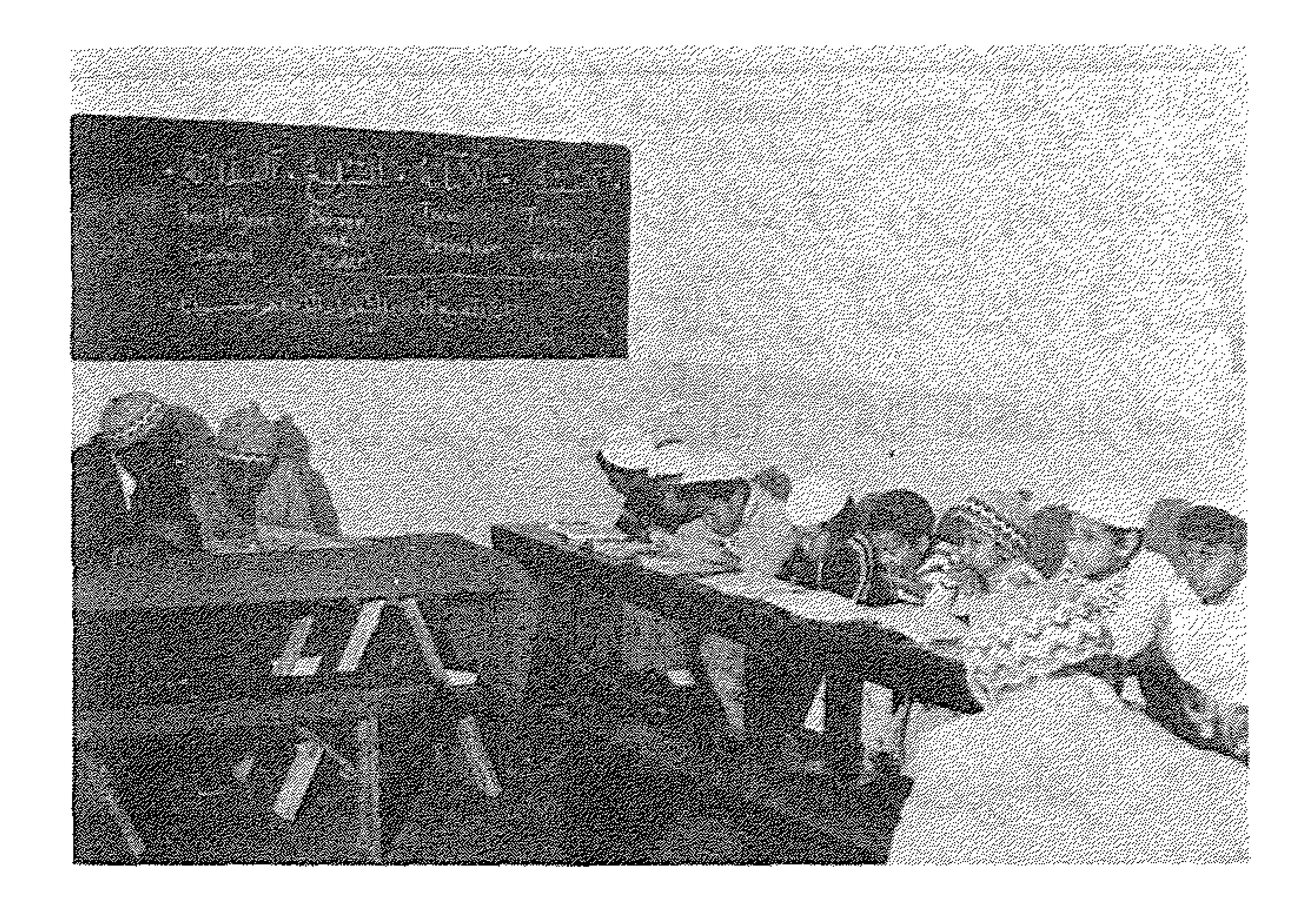
وهو الحي الهندي الذى ذكرته عدنا إليه للإلتقاء بأخينا الطبيب (غلام محمد حسين) الذي لم نستطع اللقاء به في الصباح بسبب انشغاله في إجراء عملية جراحية .

وكان وقت المغرب قد أزف فقصدنا مسجد الحي ذا المنارة العالية التى تشبه المنارات العربية الشرقية ومن إنفراداته أنهم وضعوا النجمة التى في الهلال الذى في أعلا المنارة في وسطها مصباحاً كهربائياً يضيء بحيث تراها في هذا المكان المرتفع إلى مسافات بعيدة .

أما المسجد فإنه نظيف جداً مفروش ببسط من السجاد البسيط النسيج فوق أماكن الصلاة فيه سجاد صغير آخر .

وقد أذن لصلاة العشاء بمكبر الصوت فذهب صوت المؤذن عاليا في هذا المكان العالى إلى مسافات بعيدة .

ويتبع المسجد مدرسة إسلامية لتعليم القرآن الكريم وتقوم



مدرسة إسلامية

على العناية به جمعية خاصة ، وقد بدأت البناء فيه منذ خمس سنوات ولا يزالون في ملحقاته التى تقع إلى الشرق منها قاعة للمحاضرات .

ومن هذا المسجد ذهبنا إلى بيت أخينا الدكتور (غلام محمد حسين) فوجدنا أباه وأخاه (أنورحسين) الذى كان الأمين العام لاتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية لسنة انتهت أمس عندما حل محله غيره في مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين حسب المتبع لديهم . وثلاثة من إخواننا المسلمين الأفارقة .

وكان مجلساً إسلاميا جيداً ضم المذكورين إلى جانب الإخوان الذين كانوا معي وبخاصة عندما قدم الدكتور غلام محمد حسين عليه معطف العمل في المستشفى فألقى به جانبا وشارك الجميع الحديث .

ثم انتقل القوم إلى مائدة الطعام التى كان عليها عدد من الكراسي إلا أنه لم يكف الحضور لكثرتهم وكان عشاء هنديا رغم بعد الهنود المقيمين في هذه البلاد عن الهند وأهله .

فكان الفلفل يشوي الحلوق ، وإن كان يحمل على الأكل ، وكان الدسم الكثير في المرق هو الغالب .

وكانت النساء يذهبن ويجيئن في إعداد المائدة يراهن الضيوف إلا أنهن لا يسلمن عليهم حتى ولا يرمين بالسلام من بعيد فهذه هي من عاداتهم المحافظة ولو كانت المرأة غير محجبة وتخرج إلى الشارع كذلك .

وقد حان وقت صلاة العشاء قبل شرب الشاى فخرجنا جميعا للصلاة في المسجد الذى ذكرته ، ووجدنا المصلين فيه أكثر من صلاة المغرب لأن بعض المسلمين الذين كانوا يعملون بعيداً عن بيوتهم قد عادوا في هذا الوقت .

الدرس السريع :

بعد صلاة النافلة أكثر من ركعتين أردت الخروج حيث كان معظم القوم يتحركون إلى جهة الباب الخارجي إلا أنهم لم يخرجوا فهمس في أذني الأخ (غلام حسين ابراهيم)

قائلا ســـنقرأ القرآن وبيده ترجمة معانى القرآن لعبد الله يوسف علي فظننت أن المراد قراءة شيء من القرآن فقلت : أنا أقرأ من حفظي .

غير أنني عرفت الأمر بعد ذلك إذ تحلق القوم على غير شيخ حلقة واسعة وأكثرهم معهم المصحف فقرأ أحدهم آيات غير كثيرة من سورة الشورى ، ثم ابتدأ آخر بقراءة ترجمة معانيها باللغة الإنكليزية ثم التعليق أو التفسير من الكتاب بالإنكليزية وانتهوا من ذلك في غير إبطاء ابتدأ بعده أخ آخر فقرأ حديثا واحداً من أحاديث رسول الله (ص) وتفسيره بالإنكليزية .

وهكذا انتهى هذا الدرس المختصر المفيد .

وعدنا إلى بيت أخينا الدكتور (غلام محمد حسين) لشرب الشاى الهندي وتكملة السهرة الممتعة التى امتدت إلى العاشرة مساء وللعاشرة مساء معنى عندهم في هذا الفصل من السنة لأن الشمس تغيب بعد الخامسة بقليل .

وقد أخذ القوم يلقون علي بالأسئلة يفضون بها عما في نفوسهم من حسرة وألم على حال العرب ولماذا ينادون بالقومية العربية ولاينادون بالإسلام مع أن الإسلام نفسه قد حارب القومية والعنصرية ، وبسبب الإسلام نال العرب مانالوه من فضل وشرف جعلهم في مصاف الأمم المذكورة بذلك في التاريخ . بل في مقدمة تلك الأمم .

وقال أحدهم : إن ذلك الشرف الذي ناله العرب بالإسلام قد أخذ يتناقص بسبب أخذ بعضهم بالقومية العربية ، لأن ذلك معناه في نظر المسلمين من غير العرب شيئان هما كون أولئك العرب قد استبدلوا بالإسلام شيئاً آخر وكونهم أرادوا أن يبعدوا المسلمين من غير العرب عنهم ، لأن لأولئك المسلمين قوميات أخرى غير العربية كانوا قد تركوها من أجل الإسلام فيخشى إذا عاد العرب إلى قوميتهم العربية أن يعودوا هم إلى قومياتهم الأخرى المتعددة . وبذلك ينفرط عقد المسلمين ، ويحل التفرق بينهم على أساس مذهبي .

يوم الأربعاء ١٩ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
الموافق ١ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ م

كنت قد نظمت تذكرتي للسفر من الرياض فجدة فنيروبي فجوهانسبرج فكيبتاون فدربن ثم جوهانسبرج ثم مابوتو عاصمة موزمبيق فالمرور بدار السلام فنيروبي فجدة .

وقد طلبت من الخطوط السعودية أن يجعلوها مفتوحة حتى أتمكن من تغييرها وأزور أماكن أخرى في هذا الجنوب الإفريقي إذا أمكن ذلك . غير أن الوقت كان في جوهانسبرج ضيقا فقطعت تذكرة محلية إلى (دربن) وبقي أن أغير تذكرتي فذهبت مع الأخ غلام حسين إبراهيم إلى مكتب لشركة جنوب إفريقيـــة للطيران فوجدت جميع من في مكاتبه من النساء البيض واخترنا واحدة هي أكبرهن سنا وعرضنا عليها التغيير بحيث تمر التذكرة إلى (وندهوك) عاصمة ناميبيا وبتسوانا وشوازي لاند ولوسوتو ثم زمبابوى .

إلا أنها قالت إن تغييرها يحتاج إلى وقت طويل فقال لها إن هذا رجل سياسي يريد أنني أحمل جواز سفر سياسيا فوافقت على التغيير وأن تجعل ما قد يلزم من الزيادة في مقابل الفرق بين الدرجة الأولى والسياحية لأن التذكرة كلها بالدرجة الأولى وضربت موعداً لإنتهائها الثالثة بعد الظهر غير أننا اشتغلنا عنها فلم نراجعها إلا في الرابعة والنصف فقالت إنه يلزم لذلك زيادة خمسمائة وأربعين دولاراً وأنهم أيضا لا يقبلون الدولارات ، والبنك مغلق فاضطررت أن أشترى تذكرة محلية أيضاً من دربن إلى كيب تاون بتسعين رانداً . . وهو أغلا من سعر التذاكر المحلية في بلادنا . .

الإجتماع الرئيسي :

عقد اجتماع مشترك بين قادة حركة الطلبة المسلمين وحركة الشباب المسلم في جنوب إفريقية وبيني في مقر اتحاد الطلبة المسلمين في دربن ، ضم الأستاذ فؤاد هنديكس رئيس

حركة الشباب المسلم ... والدكتور شوكت على توكان رئيس اتحاد الطلبة المسلمين والأخ غلام حسين إبراهيم والأخ إقبال جاكوت من مجلة القلم ، وفاروق عامور رئيس المكتبة وعمر داوابهاي من مجلة القلم ، وحافظ دوكرات من المكتبة . وحسن نتوم بيلا من الموظفين النشطين .

وبحثت فيه الأمور المتعلقة بالعمل الإسلامي في هذه البلاد والتعاون المطلوب بين الجهات الإسلامية في جنوب إفريقية وبين الدوائر العاملة في الحقل الإسلامي المتعلق بمساعدة المسلمين في خارج البلا د وبخاصة في المملكة العربية السعودية .

وقد دام الإجتماع فترة طيبة .

في جمعية العلماء :

ومن المقر الرئيسى لإتحاد الطلبة المسلمين ذهبنا إلى مكتب (جمعية علماء الإسلام) في إقليم الناتال ويقع المكتب في البناية نفسها دخلناه فاستقبلنا فيه أخونا الشيخ (محمد يونس محمد

يوسف) وهو سكرتير الجمعية شاب هندي كان قد تعلم شيئاً من العربية في الهند غير أنه يصعب عليه التكلم بها ويظهر عليه وعلى من في المكتب من إخوانه التمسك بالمظاهر الإسلامية جيداً كما هو مشهور عن جمعية العلماء في الترنسفال والناتال مثل العلماء الذين في الهند أو ربما أشد تمسكا ومن ذلك التشدد والتشديد في اللباس الذي من أهمه أن يكون على ائرأس طاقية تميز المسلم عن غيره فيعرف الجميع بها أنه من المسلمين .

وكما كان الرجل محافظاً في مظهره كان محافظاً في مخبره حتى إنني عندما استفسرت منه عن بعض الأشياء وماتكلفه بعض المشروعات قال : إننا نخبركم بالتكاليف المالية ولا نسألكم أن تساعدونا فنحن عندنا ما يكفينا . فقلت له : إن هذا مبعث سرورنا واعتزازنا أن يكون إخواننا المسلمون أو بعضهم أغنياء عن الآخرين .

وقال : إن رئيس جمعية العلماء الشيخ عبد الرحمن الأنصارى غائب عن دربن وإلا لاستقبلكم ولما سألته عن عمل جمعية العلماء ؟

أجاب بأنها تعتني بالمساجد والمدارس الإسلامية وتثبت هلال دخول رمضان وخروجه وتقوم بفتوى الناس ، وبتقسيم المواريث على الشريعة الإسلامية وأجابني عن سؤالي عن عدد أعضاء هذه الجمعية بقوله : إنهم خمسون عالما تخرج معظمهم من الهند وبعضهم من البلاد العربية .

ولما سألته : أيوجد في جمعيتكم عالم من السود ؟ أجاب : لا

فقلت له : إنه ينبغي أن يكون فيها منهم عالم لأنهم أكثرية السكان وهم أهل البلاد الأصليون فقال : هذه حقيقة ولكن المسلمين فيهم قليل والتعليم الإسلامي فيهم قليل . ولكن يمكن أن يتخرج من المدرسة الإسلامية عندنا أحد ويكمل تعليمه في الخارج فقلت إن شاء الله .

ولما سألته عن نفقات كل هذه الأعمال التي يقومون عليها قال إنها من المسلمين في هذه البلاد فهم يثقون بالعلماء ، ويدفعون إليهم الأموال لهذه الأغراض . وقال : إن المدارس الإسلامية التي نشرف عليها تبلغ (٣٥) مدرسة في إقليم الناتال .



الأخ غلام حسين فنكر

ثم أحضروا الشاى بدون حليب في فناجين زجاجية كالتى نستعملها .

في مركز الدعوة الإسلامية :

من هناك انطلقنا بالسيارة نخترق شوارع الحي التجارى الهندي الجميلة في هذه المدينة البعيدة عن الهند قاصدين إدارة المركز الإسلامي فوجدنا فيها الشيخ (غلام حسين إبراهيم واكد) فذكر لي اسمه هذا كله وذكر بعده إسما جديداً على خلاف أهل الهند الذين لايعتنون بذكر اسم العائلة أو حتى إسم الأب وإنما يقتصرون في التعريف في الغالب على الإسم الشخصي أو الإسم الأول كما يسميه الأوربيون .

وهو رجل جم النشاط سريع الحركة ملم بأحوال الدعوة الإسلامية في هذه البلاد وبخاصة مايتعلق من ذلك بمقارعة المبشرين ودعاة النصرانية والجوانب الحديثة في الدعوة .

أما المركز فإنه مليء بالأوراق والأدراج الممتلئة بالاضبارات وعلى جدرانه لوحات بالعربية بخطوط مختلفة وبأشكال تزيينية .

وليس هذا بالمهم في طبيعة الحال وإنما المهم هو ما أطلعنا عليه الأخ غلام حسين من بيانات ونشرات وإحصاءات وكتب ورسائل كلها مليئة بالإحصاءات عن الدعوات النصرانية في هذه البلاد .

ومن بين ما أرانا إياه طبعة خاصة لترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية لعبدالله يوسف علي إلا أنه قال والأسف باد على قسمات وجهه التي كانت تتحرك مع كل كلمة يقولها : إن محمد أشرف وهو صاحب مكتبة في باكستان رفع علينا قضية يطالبنا فيها بمبالغ كبيرة من المال مقابل حقوق الطبع مع أننا لم نطبعه لنبيعه ونربح منه ، وإنما لنوزعه على المحتاجين إليه في هذه البلاد من مسلمين وغير مسلمين بأسعار معقولة .

وقال إن هذا المركز أنشيء قبل (٢٠) سنة وإن رئيسه

السيد (أحمد ديدات) خارج البلاد في إندونيسيا وكنا ننتظر قدومكم عندما سمعنا به .

ثم أرانا بيانات أيضا عن الشيوعية التى هي العدو الأول للإسلام كما يراها .

وقد كان يتكلم كلاما مفيداً بشكل حماسي متواصل إلا أن ضيق الوقت منعني من الإنصات إلى كل ما يقوله مع أن كلامه مفيد وفي محله .

ولذلك أسرعت مع عدد من الإخوان المرافقين للفندق لننقده بقية الحساب حتى لايحتسب علي هذه الليلة التى سأغادر الفندق فيها . ولما قلت للإخوان : إننى إذ أخذت الحقيبة أريد أن أبقى في أي محل كان حتى يحين موعد الخروج إلى المطار أجابوا وهم يضحكون : إننا لن ندعك تجلس وإنما سنقضي الوقت كله في عمل لنريك من معالم (دربن) مالم تكن رأيته ، حسب رغبتك فشكرتهم على ذلك غير أننى قلت إنني أخشى أن أكون ضيعت

عليكم أعمالكم الهامة وأنتم ما بين طبيب وصاحب عمل فأجابوا : هذا لا يهم .

وهكذا خرجنا من الفندق نتفرج على شاطيء البحر الذى كنت أراه وأرى ما فيه من الملاعب والمشارب ، ولم استطع التمشى فيه من قبل لضيق الوقت .

وهو شاطيء جيد منسق مهيء للسباحة إلا أنه مخصص للبيض لا يجوز لغيرهم أن يدخلوا فيه ، وكل مايباح لهم منه أن يروه من الخارج وقال إخوانى : إنك من البيض فلتدخل فيه إذا أردت فقلت : لا أريد .

وأما البيض فإن أكثرهم بلباس البحر مع أن الشاطيء في ضاحية هامة من المدينة يسميه بعضهم منطقة العطلات لأن الناس يأتون في هذا الشهر من السنة وهو شهر يوليو حيث شدة البرد عندهم إلى هذه المدينة الدافئة (دربن) يستمتعون ببحرها وشمسها وبخاصة أهالى (كيب تاون) التى يكون الجو فيها ماطراً في الغالب .

وسألتهم أين (بلاج) السود لأراهم كما رأيت (بلاج) البيض ؟ فقالوا : إنه بعيد من هنا وإن كان يكاد يكون متصلا ببلاج البيض ، لأن الأخير ممتد طويل .

وبينما كنا نتمشى على الرصيف المطل على البحر الذي يعج بالناس وكلهم من البيض إذا بنا نسمع صوتاً أجش من مكبر للصوت، أخبرني إخواني أنه يبلغ الناس أن سمك القرش قد شوهد يقترب من الشاطيء ولذلك يحذر الناس جميعاً من السباحة والخوض في الماء .

وقالوا : إن هذا السمك المفترس المتوحش كثير في هذه البلاد ولذلك لايستطيعون القضاء عليه وإنما يبعدون الناس من المنطقة التي هو فيها حتى يذهب أو يحتالوا عليه بطريقة أخرى .

حديقة الحيات :

دفع إخواني رسم الدخول رانداً وثلثا للشخص الواحد وكان أول مارأيناه حفرة عميقة في الأرض يدور مع جدارها ماء في

مجرى عميق شبيه بالخندق فيها حيات صغيرة وزواحف ثم إنتقلنا إلى بيوت الحيات وهي على شكل الخزائن في جدار دائر مع دائرة منزل الحيات أو حي الحيات لا حديقة الحيات كما كتبوا لأنها في الحقيقة سجن لها ولتلك الخزائن أو البيوت واجهات زجاجية حتى يتفرج منها الناس برؤية الحيات دون خطر .

كان من ألطف ما رأيناه منظر حية تأكل فراخ طير في العش فقد جعلوا معها شجرة شبيهة بالأشجار التي تكون فيها في البيئة الطبيعية وجعلوا في غصن مرتفع منها عش طائر وفيه طائر حقيقي صغير رأينا الحية تأكله بعد أن صعدت إلى مكانه .

ثم بيت فيه حجارة دهماء وفيها زوجان أدهمان كذلك من الحيات لونهما كلون تلك الحجارة ، ثم حية رقطاء كالتي تكون في بلادنا إلا أنها هنا أغلظ قليلا من تلك ، ثم حية صفراء جدا شديدة الصفرة دقيقة الجسم .

ثم واحدة ضخمة غير سامة وهي ساكنة كأنها في سبات عميق خلاف الحيات السامة التي رأينا أكثرها في تحرك واضطرب

ثم رأينا بيوتا صغيرة لأنواع من الزواحف والحرابى: جمع حرباءة . وهي كثيرة الأشكال . ومن أغرب ما فيها ما يشبه الضب وليس به ، ومايشبه الورل الموجود عندنا غير أن ذيله طويل دقيق .

ومن أغرب مارأيناه أيضا نبت فيه أغصان من الحشائش خضراء وبينها زوجان من الحيات خضر الألوان تماما كالأغصان الخضر لاتكاد تفرق بينهما .

وكل هذه الحيات محلية غير أنهم جلبوا حيات أخرى من الخارج منها واحدة من الكوبرا مصرية وأخرى هندية . وحية كتبوا عليها أنها إفريقية ضخمة جدا رأيتها في أماكن من إفريقية ورأيت جلدها يباع كثيراً واعتقد أن وزنها لايقل عن وزن الخروف ، وقد انطوت على نفسها دون حراك وهي تنظر إلى الآدميين من طرف عينها وكأنها تهزأ بهم أو تتظلم منهم .

ثم صِل أي ثعبان أسود اللون ضخم فسلحفاة سوداء . ثم

انتقلنا إلى بيت فيه حية دقيقة وطويلة نسمي مثلها في بلادنا الزاروق لأنها تنطلق بسرعة .

ثم ثعبان أصفر قالوا إنه من (كيب تاون) ثم بيت فيه عدد من الحيات الصغيرة المختلفة الأشكال ثم حيات من التى تعيش بين الصخور من داخل القارة الإفريقية .

ثم حوض في الأرض نازل يطل عليه المرء من بعيد فيه تماسيح غريبة قصيرة ضخمة رمادية اللون كأنها جذوع الأشجار البالية الملقاة في الأرض .

تعيش بين الحيات :

ثم رأينا منظراً عجبا وهي فتاة قد مددت رجلها فوق سرير يرتفع حوالى نصف متر عن أرض إحدى حجرات الحيات وفي أرضه عدة حيات غليظة .

وتلك الفتاة جالسة هناك على سرير للنـــوم ، وهي

تشغل وقتها بترتيب بعض الصور الشمسية وأحيانا تقص بعض المناظر من الجرائد ، وقد كتب عليها أنه أمضت حتى الآن في هذا المكان في بيت الحيات (٣٤) يوما متواصلة : تنام معهن وتصحو على رؤيتهن ، لا يفصل بينها وبين الحيات فاصل إلا ارتفاع السرير الذى ليس له أرجل وإنما هو يتصل بالأرض .

أما الناس فإنهم كانوا يتفرجون برؤيتها وهي لاتبالى بهم ولا تنظر إليهم غير أننا عندما كنا في زاوية مقابلة لها ابتسمت ابتسامة لطيفة وبينها وبين الناس الزجاج الذى يكون بينهم وبين الحيات .

وهي فتاة بيضاء ممتلئة الجسم أقدر عمرها بخمس وعشرين سنة ، وقد سلطت عليها آلة تصوير (تلفزيونية) تصورها طول الوقت بما في ذلك إنفعالاتها وتصرفاتها تريد أن تكسر رقما قياسياً كان قد سجله رجل قبلها في الجلوس مع الحيات مدة سبعة وأربعين يوماً متواصلة .

ولم ألاحظ على مظهرها شيئاً غير معتاد إلا أن على أذنيها

سماعتين لا أدرى لماذا إلا إذا كان ذلك لسماع ما تصدره الحيات من حركة إذا كانت حركتها تسمع . وشيئاً آخر هو أنها كالذى فقد مشاعره فلايبالى بما حوله ؛ وليس له هدف إلا أن يحقق ما أراد .

وكان منظر هذه الفتاة البيضاء الشابة التى جعلتها الحالة التى هي عليها بمثابة التمثال هو مسك الختام في هذا المجال ، ونهاية المقال ، عن بيت الأهوال .

إلى حديقة الأحياء المائية :

وهذا اسمها وإلا فهي ليست بحديقة ، وإنما هي بيوت للسمك في بيئة شبه طبيعية ومكانها على شاطيء البحر ولذلك أجروا أنابيب للمياه الطازجة تأخذها من البحر وتمر بها على هذه البيوت تجدد فيها الماء المليء بالأكسجين الذى تستخلصه الأسماك من الماء مثل ما نستخلصه نحن من الهواء .

ونقدنا ثمن الدخول للتذكرة الواحدة ثلاثة راندات ونصفاً

وهو مبلغ كبير إذ يساوى خمسة عشر ريالا ولكننا عندما دخلناها شعرت بأننا قد غبناهم وأن هذا المنظر الرائع لعالم الأسماك العجيب الغريب بألوانه وحركاته وسكناته ، وأشكاله وأحجامه هو قليل جدا بجانب المتعة التى يحصل عليها المشاهد المحب للاطلاع .

وبخاصة أنهم في بيئة سمك بجانب المحيط بحيث لا يجد الماء الذى يجاورهم من جهة الجنوب حداً دون القطب الجنوبى الذى هو حد العالم من تلك الناحية .

وكان عند المدخل في الخارج إحدى الحيتان بالحجم الطبيعي وقد طلوه بمادة تمنع تحلل الجسم وعندما دخلنا حديقة السمك رأيناهم قد أعدوا للسمك بيوتاً كالخزائن ذات واجهات زجاجية ملؤها بالمياه وجعلوا بيئتها بيئة كالطبيعة في البحر ومايحيط بها من صخور وأعشاب إلى أن أرضية البحر الرملية في أكثر الأحيان المليئة بالأصداف وبقايا القواقع .

وأول بيت منها تسبح فيه أسماك زرقاء شديدة الزرقة ، من أحجام مختلفة وأنواع متغايرة إلا أن الذى يغلب عليها هو

عدم الكبر الشديد حتى لا تضيق بها هذه البيوت إذ الأسماك الكبيرة لها مكان آخر .

ثم حوض آخر فيه من الأسماك الصفراء الفاقعة الصفرة ما يعجب ويطرب ، وهي مختلفة الأنواع إلا أن الجامع ما بينها صفرة اللون .

وبعده إلى آخر فيه الأسماك الرمادية وهي كلها حية تسبح وتتصرف وكأنها في أماكنها الطبيعية من البحر وقد ساعد ذلك طريقة علمية اتبعوها في إضاءة هذه البيوت بحيث يبدو أسفلها وهي مليئة بالماء خافت الضوء كما يكون قاع البحر وأعلاها أكثر إنارة كما يكون أعلى ماء البحر الذى يتعرض لضوء الشمس ، مع أن الإضاءة كلها صناعية .

ومن ألطف ما رأينا فيها أصناف رمادية اللون مع ميل إلى البياض كأنها الفراشات التي لها عدة أجنحة على شكل طبقات إلى جانب الزعانف الأخرى إلا أن زعانفها أصغر من المعتاد ،

ولم أر مثيلها من قبل ، ولا أعتقد أنه يوجد منها في العالم إلا القليل .

ثم بيوت السرطانات ـ جمع سرطان ـ مختلفة الألوان والأحجام .

وهي تذهب وتجيء على قوائمها التي لا تكاد تعرف في بعض الأحيان أيديها من أرجلها ، وبعضها لها أطراف كالعصي الصغيرة وبعضها لها في ظهورها كالحراب الدقيقة ثم الأعجب والأغرب من ذلك وهو أخطبوط صغير يتنفس من رئة له تكاد تكون منفصلة عن باقي جسمه وهي ليست كذلك .

الحياة البحرية بين يديك :

وكيف ذلك ؟

ذلك بأنهم قد أقاموا بيتاً يشبه الخزان الضخم من الأسمنت المسلح ذي الشكل المستدير وجعلوا فيه نوافذ من الزجاج السميك القوي دائرة مع إستدارته ، وهـــو في إستدارته وضخامته

يشبه البرج المستدير الضخم من أبراج القلاع الكبيرة ، وقد ملأوه بمياه البحر التى تتجدد بإستمرار من عدة أماكن تراها كالنافورة في وسطها التى يتطاير منها الزبد.

وقد حبسوا كبار السمك في هذا الخزان الضخم من سمك القرش المفترس ، إلى أسماك أخرى أكبر منه إلى سمك كأنه الفراش له ذيل دقيق جدا وطويل مع أن شكله مستدير وهو دائم التحريك لعينيه إلى سمك متوسط وصغير.

وسلحفاة وحشية بيضاء تميل إلى الصفرة وسلحفاة ضخمة أخرى رمادية يبلغ حجمها أكبر من حجم خروفين إثنين.

وقد جعلوا في القاع صخوراً ومخابىء وفي أرضه أصداف ورمال بيضاء كالتى تكون في قاع البحر في البيئة الطبيعية والسمك كباره وصغاره سابح فيه دائم الحركة ، تشاهده من النوافذ في الأسفل وكأنك تشاهد قاع البحر.

وقد صعدنا إلى الطابق الثانى من المتحف لنرى هذا الحوض

من النوافذ التى فيه ونشاهد السمك وهو يسبح مرتفعا ليس بينك وبينه شيء إلا هذا الزجاج .

وفي الطابق الثالث الذى هو سطح المتحف تستطيع أن تطل عليه وكأنك تنظر إلى حوض عادى ضخم وفيه السمك أيضا .

وقد جعلوا مقاعد في الدور الثانى عند النوافذ حتى يجلس عليها من يريد أن يستزيد من رؤية السمك أو يدرس سلوكها لمدة يصعب عليه أن يقضيها كلها في الوقوف .

ولم أشبع من رؤية هذا العالم العجيب الجميل إلا أن الوقت والأخوان المنتظرين جعلاني أسرع في استعراض باقيه وهي أنواع من السمك الدقيق الخلقة كالعصي ، وأسماك أخرى خضر شديدة الخضرة وسود شديدة السواد حتى لا تكاد تميزها من بعيد إلا إذا تحركت لأنها إلى ذلك صغيرة الحجم .

ثم انتقلنا إلى أماكن فيها أسماك وأحياء بحرية محنطة من الأنواع النادرة .

وعندما خرجنا أشار إخواني إلى مكان غير بعيد منه ، وقالوا : هنا معهد التجارب على الأحياء البحرية ، ولكن الوقت لا يتسع لدخوله .

الزولو بملابسهم الوطنية :

كنا نمشي على رصيف الشاطيء الذى أسموه أبيض وخصصوه للبيض غير أن السير على رصيفه مباح للجميع ، فرأيت منظرا استرعى انتباهي إذْ رأيت خمسة من رجال قبيلة الزولو الأقوياء الأجسام الذين يندر فيهم النحيف أو صاحب القوام الضعيف وقد لبسو اللباس التقليدى المميز لزعمائهم وملوكهم من الجلود أو الريش والقرون الكبيرة وأخرجوا بطونهم ومع أحدهم عربة يضعها على رأسه ويركب السائح فيها ويحملها كما كانوا يفعلون بملوكهم وكبرائهم . وواحد منهم عليه ما يشبه لباس الحرب عندهم فاعترضني أحدهم يريد أن أركب فوق رأسه في هذا الكرسي المزخرف بالجلود الملونة والريش فرفضت ذلك فقال إذاً أعطني نقوداً فأعطيته القليل .

وقال آخر غيره وهو ممسك برباط عنق كنت ألبسه إن هذا جميل فأعطنى إياه إننى لم أر مثله في هذه البلاد .

فقلت له : إننى سوف أعطيك إياه بشرط أن تعطينى لباسك هذا (الزولوي) الجميل الذى لم أر مثله في هذه البلاد فضحك وضحك إخواني الذين جذبوني وأبعدوني عن هؤلاء القوم لئلا يضيع الوقت .

ثم انطلقنا في البلدة فاخترقنا الحي التجارى الأوروبي الفاخر ومن انفراداته أنهم وضعوا في رصيفه مقاعد خشبية مطلية بطلاء سكرى اللون حتى تكتسب لون الحجارة يجلس عليها الناس مع أنه سوق تجارى مزدحم بالناس .

ومنه إلى الحي الهندى التجاري . ومن الغريب الذى لاحظته في هذه الأسواق أن البيض وخاصة من النساء يقفون عند مفارق الطرق ولايسيرون إلا إذا كانت الإشارة خضراء لهم ، ولايقطعون الطريق من غيرها أما الهنود وبخاصة الهنديات فإنهم

يقطعون الشارع من غير موضع الإشارة بل من وسطة يلتفتون يمينا ويساراً وقد يهرولون إذا رأوا سيارة مقبلة غير بعيدة منهم .

وهذا دليل على فرق التعليم والتربية بين الفئتين .

حديقة البلدية :

هي حديقة واسعة أراد أخونا الدكتور (شوكت على توكان) أن يريني إياها وهي مفتوحة للجميع من دون رسم فيها مقصف كان وقفاً على البيض لا يجوز لغيرهم أن يدخلوا إليه ولكنه الآن أبيح للجميع .

وهي حديقة عادية التنسيق فيها أشجار باسقة أكثرها من نباتات المنطقة نفسها ومن أجمل ما رأيته فيها غرفة يمكن تسميتها بغرفة الزهور فقد سقفت بسقف ينفذ منه الضوء وزرعت فيها أنواع من الزهور من أهمها زهرة العقرب ، وزهور كبيرة ونبات قد نبت أو استنبت في الحائط الذى هو مبنى من لبن الفخار وقد ازهرت وهي كذلك ولا أدري كيف يسقونها .

وقد سلطوا على الغرفة شلالا صناعيا من المياه يسمع لجريانه صوت جميل غير عال ، وفي هذه الغرفة حارس من البيض أغلقها إذ انتهى وقت الزيارة وخرج .

وأجمل مافي الحديقة ميدان واسع قد غرسوا حواشيه بالزهور ونثروا المقاعد في أطرافه .

ومن أطرف مافيه أو لنقل من آغربه منظر فتاة هندية فاحمة السواد لاشك في أنها قدمت في الأصل من جنوب الهند قد قرب منها رجلها الذى لا نستطيع أن نقول إنه زوجها أو حبيبها في منظر نادر الحدوث من أهل الهند والمنحدرين من أصل هندي ولكن حتى في هذه الحال التى يظهران فيها قد تخليا عن بعض التقاليد الهندية العريقة التى تحافظ على العادات ، ولا تجيز الظهور بمثل هذا المظهر فإن الفتاة لم يفارقها فضولها فما أن حاذيناها ورأتني متعجباً من ذلك الذي لا يكثر في أهل الهند تركت حضن رجلها وجعلت تتابعنا في النظر

مسجد كلين رود :

كان وقت العصر قد أزف فذهبنا لأداء الصلاة في مسجد هناك اسمه (مسجد كلين رود أو فربوت) وهو حي هندي أو آسيوي على حد اطلاقهم .

والمسجد قديم البناء ذو منارة ظاهرة ، وفي محلات الوضوء منه كما في أكثر هذه البلاد المناشف والصابون،وبجانبه مدرسة إسلامية قالوا :إن طلابها يبلغ عددهم(٦٠٠) طالب وهو مفروش بالسجاد الفاخر الذي رسم عليه شعار الهلال والنجمة في كل نصف متر تقريبا مما يدل على أنه صنع خصيصا للمسجد .

وقد بنى هذ المسجد رجل محسن اسمه (صوفي صاحب) قدم من حيدرآباد في الهند فقام على بنائه واستعان ببعض المسلمين على ذلك ، وتقوم الآن جمعية خاصة به على رعايته من الناحية المادية .

في حي أشوفل :

وهو حي أسيوي يبعد ثلاثة كيلات عن المدينة ويقع فيه بيت صديقنا ومرافقنا الدكتور (شوكت على توكان) وقد أخذنا لتناول طعام الغداء في بيته جزاه الله خيراً وهو بيت مستأجر قال إن إجرته مائتان وأربعون رانداً في الشهر وفيه ثلاث غرف ولكنه نظيف وفيه حديقة صغيرة .

ومن الطريف أنه أحضر إبنة له اسمها (سعدية) عمرها ثلاث سنوات ونصف ولكنها ذكية تحفظ آيات من القرآن تلتها علينا منها آية (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية و (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

وعندما إنتهينا من الغداء في الرابعة والربع أسرعنا إلى شركة جنوب إفريقية للطيران لنأخذ تذكرتي لأنه لم يبق على موعد السفر إلا ساعة ونصف فوجدتهم لم يغيروها بحجة أن قيمتها

متدنية كما قالوا وقالوا : إن الحل أن تشترى تذكرة محلية ولكنهم لم يقبلوا الدولارات والبنوك مغلقة ، فذهبنا بسرعة إلى أحد الإخوة المسلمين وصرفنا دولارات منه ومن ثم إلى المطار وأنا مشفق ألاّ أدرك الطائرة إذْ لم يبق على موعدها إلا نصف ساعة وأنا لم أشتر تذكرة فأسرع اخوانى يشترونها من (دربن) إلى كيب تاون بتسعين رانداً . أي اربعمائة وخمسين ريالا .

وودعتهم ودخلت إلى مكتب الترحيل فيه حيث لايسمح لغير المسافرين ، وكانت إجراءاتهم في غاية السرعة والسهولة وقلت لموظفة الترحيل البيضاء : إننى أريد أن أكون بجوار النافذة فقالت : لك ذلك .

من دربن إلى كيب تاون :

قامت طائرة خطوط جنوب إفريقية في السابعة إلا ثلثا ولا أدرى أهذا تأخر منها أم أن أخوانى قد فهموا الوقت على غير وجهه وهي طائرة من طراز بوينج (٧٢٠) وكانت مليئة

بالركاب تقريباً الذين أكثرهم من البيض وفيهم نسبة لا بأس بها من الهنود والملونين لأننا ذاهبون إلى كيب تاون التي يكثر فيها الملونون بالنسبة إلى باقي مدن جنوب إفريقية الرئيسية . كما كان فيها اثنان من السود وقد أعلنت المضيفة باللغة الإفريكانية التي هي قريبة من الهولندية وليست بها ثم بالإنكليزية أننا سنمر بمدينة بورت اليزابيث ، وسيكون الطيران إليها لمدة ساعة واحدة . ولم يكن في هذه الطائرة درجة أولى بل كانت كلها درجة سياحية .

أما المضيفون والمضيفات فيها فهم كما في الطائرة الضخمة التي أقلتنا من جوهانسبرج إلى دربن كلهم من البيض على غاية من اللطف مع الركاب ، والأدب في معاملتهم .

وحالما استوت الطائرة في الجو جاءوا بالطعام في صحن صغير فيه اللحم مع قليل جدا من الأرز معه شيء من البطاطس ومقدار من الفاصوليا الخضراء في طبق من القصدير

المغلف بالقصدير أيضا وإلى جانبه طبق صغير آخر من اللدائن ومغلف باللدائن فيه الحلوى .

ثم جاء المضيف يدفع عربة محملة بالمشروبات الباردة يبيعون منها ماكان مسكراً أو الإكثار منه يسكر ويبيحون منها ماكان طيباً غير مسكر كعصير الفاكهة واخترت الأخير وسألت المضيف أتاخذون مقابله مالا ؟ فأجاب : كلا .

وبعد ساعة من الطيران نزلت الطائرة في مطار بورت اليزابيث وهي ميناء صغير على آخر البحر الزنجي من جهة الجنوب من دربن .

وأعلنت المضيفة أنها ترجو من الركاب الذين سيواصلون السفر إلى (كيب تاون) أن يبقوا في الطائرة لأننا لن نلبث في المطار أكثر من نصف ساعة .

وجلست مع الجالسين اكتب في هذه الأوراق وكان بجانبي إثنان من البيض صديقان كان يتحدثان معاً طول الرحلة فقال لي

أحدهما يريد بذلك أن يفتح الحديث : إنى أعجب من كثرة ما كتبته ومنك كيف تستطيع أن تفهمه . فقلت له : إن هذه اللغة كانت لغة العلم والعالم الممتدن لقرون طويلة فهل تستطيع أن تعرف ماهي ؟

قال : أظن أنها العربية ، فقلت : نعم ، فقال وانت من البلاد العربية ؟ قلت : نعم .

ثم تحدثا معي مدة بعد ذلك وكتبا لى أسماء فنادق في (كيب تاون) وجرى بيني وبينهما حديث في المستقبل السياسي لهذه البلاد . ملخصه :

أنه لا مفر من استمرار الإضطرابات العنصرية ، وعدم الإستقرار السياسي في جنوب إفريقية إذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن . وإنه لابد في المستقبل غير البعيد من أن يركز البيض على منطقة معينة من البلاد تكون لهم بمثابة المنطقة المستقلة ويكون للجماعات السوداء الكبيرة مناطق أخرى بمثابة الدول ذات الاستقلال السياسي الداخلي ، هذا إذا لم يصل الأمر

إلى حد التقسيم السياسي الفعلى للبلاد وأنه بدون هذا لن يكون هناك استقرار أمنى للناس في جنوب إفريقية على المدى البعيد .

وبعد نصف ساعة بالضبط استأنفت الطائرة الطيران مولية وجهها شطر الجنوب الغربى حيث مدينة الرأس (كيب تاون) فاستمر طيرانها (٥٥) دقيقة ثم حطت :

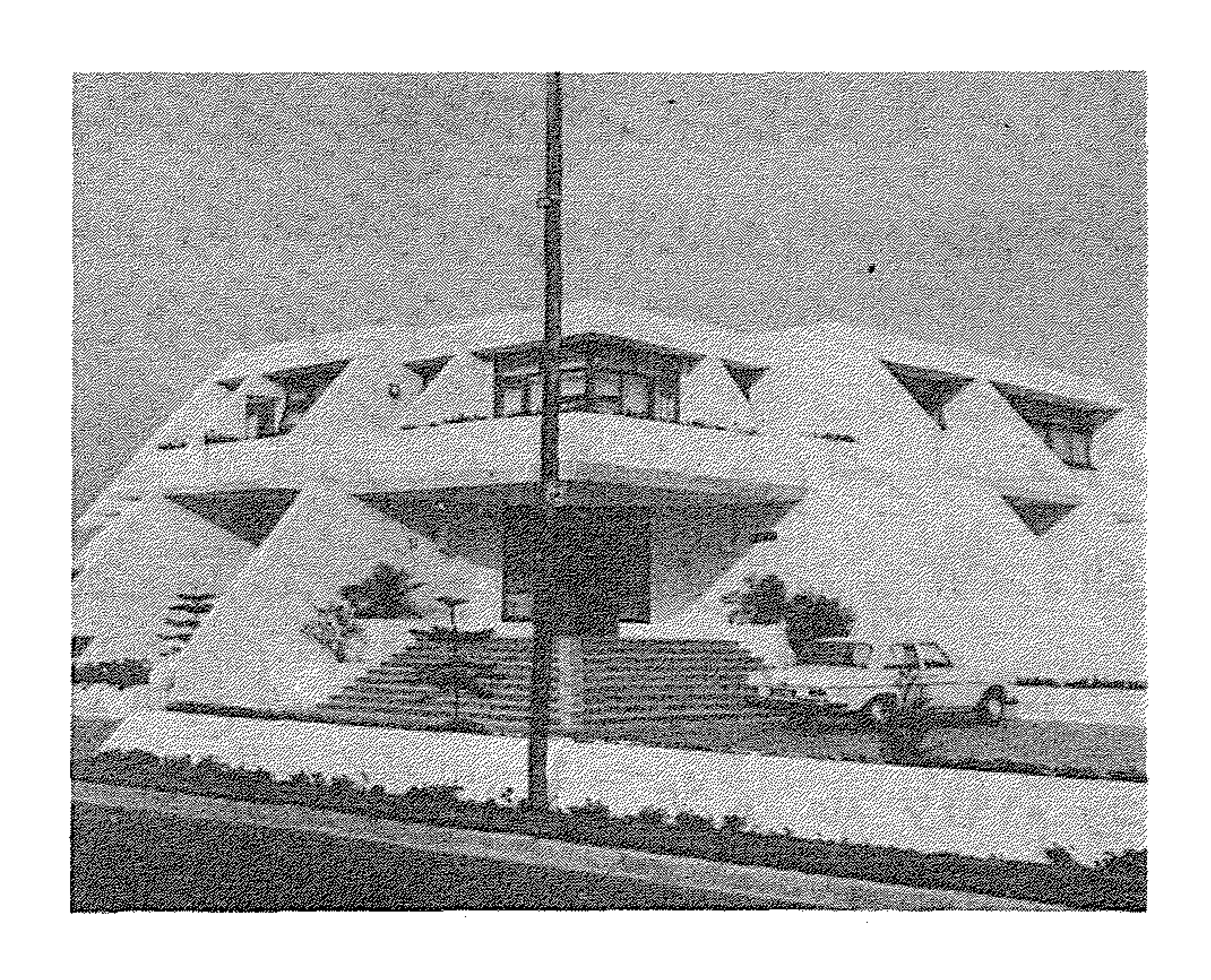
فى مطار كيب تاون :

كان الطيار قد أعلن أثناء الرحلة أن الجو في (كيب تاون) حسن ويعنى هذا أنه لامطر فيه وأن درجة الحرارة (١٣) درجة مئوية فسر الأوروبيان وقالا : حظك حسن فليس هناك مطر الآن.

وكان منظر مدينة كيب تاون عندما أقبلنا عليها من الجو منظر المدينة المزدهرة إذ هي ساطعة الأنوار ، ممتدة واسعة . ولكن المطار لم يكن عند النزول بالمكانة التى كنت أظنه عليها فقد ظننته أكبر وأوسع إلا إذا كنت لم استطع أن أراه على حقيقته في الليل .

نزلت من الطائرة وأنا لا أعرف أن أحداً سيكون في إستقبالى فقد طلبت من إخواني في (دربن) أن يعطوني بعض العناوين لبعض الإخوان الذين ينبغي أن أقابلهم وأبحث معهم في الشئون الإسلامية في هـــذه البلاد ، ورغبت إليهم ألا يخبروا أحداً بقدومي وقد استجابوا لرغبتي وحذرونى من اللصوص والمحتالين في كيب تاون وقالوا : إنهم كثيرون .

غير أن أحدهم وهو (أنور حسين) أخبر أحـــد الأخوة بالهاتف بعد سفرى فوجدت في المطار طائفة من الأخوة الكرام منهم الشيخ عمر خبير عضو جمعية العلماء في كيب تاون وهو من أوائل الذين سافروا للتعلم في الأزهر عام ١٩٤٧م ويتكلم العربية بطلاقة وهو يعتبر من الملونين مع أنه أبيض اللون . والشيخ محمد أمين فقير ماليزى الأصل ، والأخ يان حسن سليمان ماليزى الأصل أيضا . وعضو في مجلس القضاء الإسلامي .ومعهم الأخ أحمد جوهان الذى كنت قـــد لقيته في المؤتمر في جوهانسبرج جاء إلى هنا لقضاء عطلة الشتاء لأنه من أهالى



بيت الأخ محمد صالح محمد من زعماء المسلمين وتجارهم في (كيب تاون)

(كيب تاون) فرحبوا بي واخذوني بالسيارة إلى بيت أحد أثرياء المسلمين المحبين للاخوة المسلمين وخاصة العرب ، ولما ألححت عليهم في أن يكون سكناي في الفندق أجابوا : إن ذلك سيكون بعد اللقاء به ، واللقاء بوفد الجامعة الإسلامية المؤلف من الدكتور عبد الله بن زايد والدكتور صالح السامرائي والأستاذ ماهل الردادي وقالوا : إنهم كلهم ضيوف في بيت (صالح محمد) المذكور وينتظرونك فيه .

فذهبت إليهم فاستقبلنا هذا الرجل الكريم ، ووجدت عنده بعض الاخوان المسلمين من أهل هذه البلاد إلى جانب الوفد السعودي

وقضينا فترة من الوقت في حديث إسلامي ممتع أخبر أخونا (محمد صالح محمد) الإخوان في دربن بالهاتف بوصولي ، ثم استاذنته في الذهاب إلى الفندق فأذن بعد ممانعة .

ونزلت في فندق أوروبي من منطقة بيضاء في الحي التاريخي

من مدينة كيب تاون اسم الفندق (تولبرخ هوتل) وتولبرخ هو أحد الهولنديين سمى على اسمه هذا الجزء من المدينة ومنه هذا الفندق وهو فندق من الدرجة الأولى غير أنه قديم الطراز عجيب التكوين ، وذلك كله قد يعجب كثيراً من الناس ربما أكثر مما تعجبهم حداثة الفندق فالغرف فيه أشبه بالشقة لأنها مؤلفة من غرفة سفلى على هيئة (صالون) استقبال فيه مقاعد وثيرة وطاولة كبيرة وجهاز للتلفزة ملون . وفي ركن منها درج مفروش بالسجاد صاعد إلى الطابق الأعلى حيث يوجد سريران متباعدان للنوم وبها كل مايلزم فنادق الدرجة الأولى والحمام الخاص . وجهاز لتكييف الهواء حاراً وبارداً :

لذلك يستطيع أن يسكن فيها المرء مع أسرته ويكون لديه ضيوف كثيرون مجتمعون فلا يتضايق منهم ولايضايقهم .

ووصلت إلي هذا الفندق المريح في الساعة الحادية عشرة ليلا .

الخميس ٢٠ ــ ٨ ــ ١٤٠٠هـ

الموافق ٢ ـ٧ـ ١٩٨٠ م

جولة فى كيب تاون :

لعل أول مفاجأة عندما أبصرت عيني مدينة (كيب تاون) في النهار أن رأيت طيور النورس البيض تطير في الشارع وتقع في مياه نافورة في ميدان قرب فندقنا يسمي (ميدان تولبرخ) وهو الرجل نفسه الذي سمي به هذا الحي ومنه الفندق الذي أنزل فيه (فندق تولبرخ) وهذا عجيب لإننا لم نعتد على رؤية طيور النورس إلا في المياه أو قرب المياه . إلا أن العجب قد يخف إذا عرف أن مدينة كيب تاون هي نفسها مدينة بحرية وليس ذلك فقط وإنما هي موغلة في هذه الصفة لأنه لا يحول بينها وبين البحر حائل حتى يصل البحر إلى القارة القطبية الجنوبية .

وقبل ذلك كانت مفاجأة أخرى إذْ أزحت ستارة النافذة

في الساعة السابعة لأنظر إلى الشمس فرأيت القمر إذْ الشمس لم تطلع إلا في الساعة الثامنة الا ربعاً وذلك لأن مدينة كيب تاون ذاهبة إلى جهة الجنوب والفصل فيها هو فصل الشتاء .

الحي الإسلامي القديم :

من حي (تولبرخ) هذا انتقلنا رأساً إلى الحي الإسلامي القديم في مدينة (كيب تاون) واسمه (بوكاب) ومعناه : أعلى الجبل . ولايزال حياً إسلاميا متميزاً يقصده الناس لرؤيته لهذا السبب وللمسلمين من أهالي كيب تاون قصص شيقة عن كيفية محافظة المسلمين على دينهم عند ما وصلوا لأول مرة إلى كيب تاون من منطقة الملايو بصفة أرقاء أوعبيد لا يملكون حريتهم . وكيف قاوموا الهولنديين الذين كانوا جبابرة متعصبين حتى إنهم لم يكونوا يسمحون للمسلمين أن يصلوا جماعة فضلاً عن أن يسمحوا لهم بأن يبنوا لهم مسجداً .

وهي قصص لم نكن نسمع عنها أوحتى يتيسر لنا قراءتها في

البلاد العربية وأكثرها من القصص الذي يدل على صبرهم على دينهم وتمسكهم به وتضحيتهم في سبيله حتى استقام لهم الأمر بأن استطاعوا أن يبنوا المساجد ، ويؤسسوا المدارس .

ويقولون : إن معركة كانت على وشك أن تنشب بين الإنكليز والهولنديين فأرسل الإنكليز سراً إلى المسلمين يستعينون بهم على الهولنديين فوافقوا على ذلك بشرط أن تكون لهم الحرية في بناء المساجد وإقامة الجماعات فيها .

فوافق الإنكليز وعندما قامت المعركة وشارك فيها المسلمون إنهزم الهولنديون فكان أن حصل المسلمون من ذلك الوقت على حرية إقامة المساجد وتعليم أبنائهم الدين الإسلامي في منطقة (الكاب) .

ويقال : إن القائد الإنكليزى في المعركة أهدى العلم الإنكليزى لزعيم المسلمين اعترافاً بما أبدوه من شجاعة .

وصارت لهم الحرية منذ ذلك الوقت في بناء المساجد وتعليم أطفالهم الدين الإسلامي .

وقيل لي : إن السبب في سكنى المسلمين في أعلى الجبل هذا أنهم كانوا قبل وجود مدينة كيب تاون الحالية جاءوا إلى هذا المكان وكانوا يمتهنون صيد السمك لأن ذلك أمر عرفوه في بلادهم في جنوب شرقي آسيا قبل أن يقدموا إلى هذه البلاد كما أنه أمر طبيعي بالنسبة لمن يعيشون في بيئة ساحلية في الزمن البعيد وهو القرن السابع عشر الميلادى فكانوا نزلوا في أعلا الجبل حتى يشاهدوا أنواعاً جيدة للصيد من الأسماك تسير في جماعات هائلة يسهل صيد الكثير منها بنصب الشباك فإذا رأوها أسرعوا بالنزول إلى البحر وصادوها واليوم أصبح الساحل أكثره بمنازله الجميلة المنسقة منازل للبيض يمنعون الملونين الذين أكثر المسلمين هنا منهم حتى من السكنى فيها لو استطاعوا إلى تملكها سبيلا .

وهذا الحي يجزم المرء من أول مايراه بأنه حي إسلامي لأن بيوته مسطحه وليست مسنمة السقوف كأغلب البيوت في جنوب إفريقية كما أن شوارعه ليست واسعة ولكنها مرصوفة بالحجارة مثل الموجود في الشوارع الضيقة في الأحياء القديمة من المدن

الإسلامية ، وفيه وحده تسعة من المساجد . وأقرب شبه بهذا الحي هي بعض الأحياء الشعبية في مدينة تونس والمراد هنا الحي دون سكانه .

والنساء والفتيات فيه وإن كن يخرجن سافرات فإنهن لا يزال الحياء والخفر هو الطابع الظاهر على وجوههن .

أما وجوه الناس إذا شاهدتها فيه وهذا هو الأهم في نظرى فإنك لا تستطيع إذا كنت لاتعرف الأمر أن تقول : هؤلاء من الأوروبيين لأنهم ليسوا كذلك في اللون ولا من الإفريقيين لأنهم ليسوا بالسود ، ولا بالهنود لأن تقاسيم وجوهم ليست تقاسيم وجوه الهنود المميزة وإن كانت ألوانهم ليست ببعيدة عن ألوان الهنود الذين يعيشون في شمال الهند . فتعرف بذلك أنك في حي ذي طابع معين .

وقد حرصت الحكومة على بقائه كذلك حتى البيوت التى تنشأ فيه حديثاً لايسمحون لها إلا بأن تكون على هذا الطراز الإسلامي المتميز .



مسجد الجامعة في (بوكاب) : كيب تاون

أما إذا أردت أن تلحق في ذهنك وجوه هؤلاء القوم من حيث اللون والتقاسيم فإنك تستطيع أن تقول: إن ألوانهم ألوان العرب الجنوبيين من يمانيين وحضرميين وتقاسيمهم أظهر مافيها قربها من الجنس (الجاوي) ولكن ذلك ليس في أغلب الوجوه مع أن أكثرهم في الأصل قد جاءوا من جنوب شرقي آسيا غير أن اختلاطهم بالتزاوج مع الأوروبيين والإفريقيين قبل بدء السياسة العنصرية ، وكون بعضهم كانوا يحملون شيئاً من الدماء العربية جاءتهم من الحضرميين الذين كانوا إلى عهد قريب يذهبون إلى جنوب شرقي آسيا تجاراً ودعاة ويتزاوجون معهم ، كل ذلك أبعدهم عن أن يظلوا من الجنس الملايوى الخالص .

والمساجد في الحي كما قلت هي تسعة وأينما توجهت تلاقي مسجداً في أطرافه ومنها :



مسجد برهان الدين في حي (بوكاب)

مسجد برهان الدين :

وهو على طراز مختلف عن الطراز العربى وعن الهندى الذى يكون غالباً مختلطا بطراز فارسي بل هو على طراز ملايوي يظهر ذلك في شكل محرابه ذي الأقواس الضيقة .

ومن أغرب مافيه ثلاثة أمور :

أولها : لوحة للاعلانات عن الأموات وهي أن فلان بن فلان قد توفي في ساعة كذا وسيصلى عليه في مسجد كذا أو سيقرأ القرآن على روحه لمناسبة مرور أسبوع على وفاته .

وثانيها : أن في ركن منه ملابس نظيفة معلقة قد أعدت لمن يأتى من العمال يريد الصلاة ولكن عليه لباس العمل غير النظيف فإنه يستطيع أن يخلع ذلك اللباس غير النظيف ، ويلبس هذا الموجود في المسجد ويصلى فيه .

وثالثها : أنهم رسموا في سقف المسجد حلية على شكل زهرة في طرفها سفينتان .

إشارة إلى السفينتين اللتين حملتا أوائل المسلمين الذين جاءوا إلى هذه المنطقة منطقة (كيب تاون) من جنوب شرقي آسيا مع الهولنديين أو لنقل الذين جلبهم الهولنديون معهم من هناك ولايزال إسم السفينتين معروفاً لهم وهما هولنديتان بطبيعة الحال . وذلك فيما قالوا لنا في عام ١٦٥٢ م .

والمسجد نظيف جدا ومفروش بسجاد فاخر .

وقد واصلنا السير في هذا الحي صاعدين مع شوارعه وأزقته إلى قمة الحي في أكتاف هذا الجبل المرتفع فإذا به يطل على منظر رائع إذ ترى البحر تحتك فيه الميناء ثم مساكن جميلة ممتدة مع إمتداد الشاطيء يمنعها ارتفاع الجبال ذات القمم الشامخة من أن ترتفع ويمنعها البحر من أن تتسع فهي تساير الشاطيء بين خضرة ماء البحر وخضرة الجبال التي لاتستطيع أن تصل إلى قمم الجبال وإنما تقف إلى حد معين منها فتبقي أعاليها واقفة بادية الصخور

كأنها قمم بعض الجبال في الصحراء مع أنها تتلقى كميات وافرة من مياه المحيط بل المحيطين غير أنه ليس فيها تربة كافية بسبب وقوفها الحاد .

وهناك بعض القمم المتطامنة التى جللتها الخضرة برداء أخضر نزركشه أشجار غير كثيرة ، وتوشح حواشيها الدنيا من الأرض بيوت بيض .

ويطل الجبل أيضا على الحي الأوروبي التجارى ذي العمارات الشاهقة التى تشبه العمارات الموجودة في المدن الإمريكية الرئيسية .

ثم تركنا الشارع المرصوف وخرجنا نخوض في أعشاب ندية بللت أحذيتنا وذلك لرؤية مقبرة المسلمين ومشاهدة بعض شواهد القبور الموجودة فيها المكتوبة باللغة العربية ، وباللغة (الافريكانية) ولكن بالحروف العربية .

وكان الجو صاحيا والشمس ساطعة في هذا الفصل من الشتاء الذى هو فصل الأمطار عندهم فكان ذلك مما زاد المنظر جمالا

وبهجة . وزاده كذلك إمتاعا حديث مرافقنا الشيخ عمر خبير وعدم استنكافه من الإخبار بالأشياء الصغيرة . وقد قال لي إخوتنا : إن الجو كان قبل قدومكم بارداً ماطراً تضايق منه الناس ولكنه تبدل قبل أن تقدموا إلى هـــذا الذى هو عليه فقلت الحمد لله .

فى مقبرة المسلمين الأوائل :

لقد درست أكثر القبور فيها إلا أن الحكومة قد منعت البناء فيها أو أن تمس بأي تغيير على اعتبار أنها منطقة أثرية تاريخية تنبغي المحافظة عليها وذلك لقلة الآثار التاريخية عندهم لحداثة مدنيتهم بل لحداثة تاريخهم كله في هذه البلاد التى لم يكونوا يعترفون بأنه كان لها تاريخ يذكر قبل وصولهم إليها لأنهم لم يجدوا فيها إلا أقواما من البوشمن والهتنتوت وهم أقوام يعيشون معيشة بدائية بل يصفها بعضهم بأنها كمعيشة مايسمونه العصر الحجرى فلا مدنية لديهم ولا دين ولا لغة تكتب وليس لهم تاريخ معروف .

وتتناثر عدة أحجار من شواهد القبور في هذه المقبرة التى قد غطت الحشائش الخضراء الندية أكثرها إلا أنهم يجمعونها حول قبور بعض المشاهير أو ذوي الشأن عندهم ومنها حجر كتب عليه بالحروف العربية مايلى :

(صاحب هذا القبر باي رخان صمت كاو)

وآخر كتب عليه بالعربية نص هام من جهة التاريخ لأنه يظهر عليه القدم غير أنه قد انكسرت فيه أجزاء هامة مثل تاريخ الوفاة الذي يظهر من بقاء الميم فيه أنه في القرن الحادى عشر أو الثانى عشر الهجرى . وهذا مابقي منه :

(وكان وقته ... ودفنه في يوم ثلاث وعشرين أيام في شهر ذا القعدة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .. ألف وم) .

وهناك من القبور المعروفة قبر الشيخ (أبو بكر أفندي) وهو عالم تركي أرسله سلطان تركيا لإرشاد المسلمين في هذه البلاد بناء على اتفاق مع الإنكليز طلبوا فيه أن يعتني بمن في السلطنة

العثمانية من النصارى فقال : ذلك بشرط أن تعتنوا بمن في مستعمراتكم من المسلمين . ومنهم مسلمو جنوب إفريقية . وذلك في القرن التاسع عشر الميلادى كما يتضح ذلك من تاريخ الكتاب الفقهي الذي طبع في تركيا باللغة (الإفريكانية) وبالحروف العربية في عام ١٨٧٧م وتقدم ذكره .

وقد قيل إنه لبنت لأحد الحكام من الأوروبين أحبت أحد المسلمين فهربت معه وتزوجت منه وذلك قبل القوانين التى تحتم التمييز العنصري وتمنع التزاوج بين الطوائف اللونية حسب اصطلاحهم .

سبب كتابة اللغة الإفريكانية بالحروف العربية :

اللغة الإفريكانية هي إحدى اللغتين الرسميتين في جنوب إفريقية والثانية هى الإنكليزية ولكن أهل البلاد وبخاصة البيض والملونين يعتبرون هذه اللغة هي اللغة الوطنية لأنها كانت موجودة مستعملة في البلاد قبل وصول الإنكليز إلى جنوب إفريقية، ولأن

عامة الشعب لايزالون يعرفونها ويستعملونها أكثر مما يستعملون الإنكليزية .

وعمادها في الأصل من اللغة الهولندية ولكنها ابتعدت عنها الآن حتى اصبحت مختلفة عنها وإن لم يكن الإختلاف كبيرا ، فقد دخلتها مفردات وتعبيرات محلية وماليزية من أثر الإحتكاك ما بين الهولنديين الأوائل والسكان في هذه البلاد ولغير ذلك من العوامل .

والسبب في كتابتها بالحروف العربية أنها في أول نشأتها لم تكن لغة ذات كتابة لأنها نشأت في هذا الجزء من إفريقية بين الطوائف المختلفة التي كانت موجودة فيه وإن كان عمادها من اللغة الهولندية فإنها ليست بالهولندية ، فكان أول من احتاج من السكان إلى كتابتها هم المسلمين لأنهم يريدون تعليم أولادهم التوحيد كما هي عادة المشايخ وعلماء الدين فكتبوها بحروف عربية واستمروا على ذلك حتى وصل الأمر بهم إلى طبع كتاب بها سبق الكلام عليه .

هذا وقد استمر تطوافنا في مقبرة المسلمين الأوائل في كيب تاون فرأينا قبراً مكتوباً عليه مايظهر منه أنه لامرأة وإن كانت الكتابة غير فصيحة اللفظ وهي (صاحب هذا القبر حاج خلات أم جامود ... ربيع الآخر ...) ومثله لامرأة (صاحب هذا القبر هجرا بنت خطيب عبد الرحمن بنج ....) .

وقبر كتب عليه تاريخه بالعربية (١٢٩٥هـ) ..

وهناك قبر محفوظ تماما أحدث من هذه كلها ولذلك كانت الكتابة عليه بالعربية واضحة جدا رغم اللحن فيها ونصها : (هذه تربة المرحوم توان برو الحاج السيد بدر الدين المتوفى ليلة الجمعة المدفون ليلة الجمعة تاريخ ١٤ في شهر صفر ، وكان عمره ست وثمانين سنة ١٣٣٢ هـ) .

وقد كتب ذلك بخط عربي جميل . وتدل كلمة توان التي تعني السيد في اللغة الملايوية على أن صاحب هذا القبر هو من ذوي الأصول الملايوية أما كلمة (برو) فإنها تعني الكبير .

وقد مررنا بعدة أشياء تثير الانتباه في هذا الحي منها مدرسة الشيخ (عبادي) للقرآن الكريم ولديه طلاب فى بيت اسمه بالعربية (الزهرية) لأن فيه زهوراً .

مسجد النخلة :

سمي بذلك لوجود نخلة طويلة بجانبه ، وهو واقع في الحي التجارى الأوروبى الذي وصلته العمارات الحديثة ، وكان قبل ذلك مسكنا لرجل من المسلمين لديه محلات يؤجرها للسكن فسكن عنده أحد الهولنديين أو لنقل الأوروبيين الأفريقيين من أصل هولندي فرأى ابنته فأعجبته وخطبها إلى والدها فامتنع عليه إلا بعد أن يسلم وذلك قبل سن قوانين التفرقة العنصرية فأسلم وتزوجها ، ومات أبو زوجته وآل اليه المكان وحسن إسلام هذا الهولندي فأنشأ هذا المسجد في هذا المكان ، وكان ثاني مسجد يقام في مدينة (كيب تاون) وأخبرنى الشيخ عمر خبير وهو من علماء المسلمين في هذه البلاد وعضو في المجلس القضائى الإسلامي



مسجد النخلة في كيب تاون

أن الأوروبيين بذلوا للمسلمين ثلاثة ملايين راند قيمة لهذا المسجد ليبيعوه عليهم كي يقيموا عليه وعلى ما حوله عمارة كبيرة فلم يوافقوا لئلا يفتح الباب لهدم المساجد الأخرى ولأن هذا المسجد مع مسجد مجاور له يسمي مسجد الأحناف ، أو مسجد النور المحمدى كليهما يمتلىء بالمصلين في يوم الجمعة من المسلمين العاملين في المتاجر في السوق التجاري ويبقي مظهراً من مظاهر النفوذ الإسلامي في هذا السوق وإلا فإنه لا يفصل بينه الآن وبين أسفل الحي الإسلامي المسمى (بوكاب) الذى تكثر فيه المساجد إلا قليل .

وقال : إنه في الأحوال المعتادة لاتساوي أرض المسجد هذا أكثر من مائة ألف راند .

وقد كتب على هذا المسجد باللغة العربية العبارة التالية على المدخل الخارجي (مسجد شجرة النخلة) .

وقد قابلنا إمام المسجد واسمه (عباس كمالي) يتكلم شيئاً من العربية بلهجة حجازية ويسكن في بيت تابع للمسجد ولكنه

يقع أسفل منه وهو يعتبر بيتا أثرياً في هذه البلاد لأنه مسقف بالخشب وبنى عام ١٧٧٧م أى منذ أكثر من مائتى سنة .

وجاءت إمرأة شابة جميلة كأنها من نساء الحجاز تسلم من بعيد كما هي عادة المسلمات في بعض أنحاء هذه البلاد اللآتى يسلمن على البعد من دون مصافحة ، مثل نساء المسلمين من أهل الهند لا يسلمن على الأجانب في بيوتهن ، وإن كن يرينهم في الشارع .

وتصلى الصلوات الخمس كلها في هذا المسجد ويمتلىء يوم الجمعة . . وقد أخبرنا الشيخ عباس كمالي أن اسم الهولندي الذى أسلم ثم بنى هذا المسجد هو (يان فان بوخي) أما النخلة فقال إنها غرست أولاً منذ أكثر من مائة وخمسين سنة وأن الأولى سقطت . وهذه الباقية هي غيرها وإنما كانت أصغر منها وقال : إن النخلة لا تثمر ، . وإنها من المدينة المنورة .

ولما سألته عن كيفية غرسها ونقلها في ذلك الزمن الذي كان

الحجاج يحجون فيه على المراكب الشراعية ويغيبون مدة طويلة أجاب بأنهم لم يغرسوها وإنما غرسوا نواة من تمر المدينة فأصبحت هذه النخلة .

الخان والحان :

كان المسجد في الأصل القديم منذ أكثر من مائتى سنة (نزلا) أوفندقا ويظهر أن المنطقة كانت للفنادق ، والانزال . لذلك لا يزال يوجد بجنب هذا المسجد نزل صغير إسمه خان النخلة (بالم هاوس) وكلمة (هاوس) للبيوت التى تؤجر للنوم ليست بعيدة من معنى كلمة خان باللغة الفصحى التى كانت تعنى المكان الذى يوجد فيه غرف تؤجر للمسافرين للنوم .

أما كلمة : حان النخلة :

فهي موجودة بجانبه أيضا واسمها بلغتهم (بالم واين) وتعنى حانة النخلة أو بالترجمة الحرفية (خمر النخلة) .

وكل هذه الأسماء من أجل نخلة لا تثمر لأنها واقعة في محل

هام من هذا الحي التجارى في مدينة (كيب تاون) . ولأن النخالة غريبة في هذه البلاد، فتلفت النظر وإن كانت ليس لها ثمر على أنه توجد نخيل في أماكن أخرى من هذه المدينة ولكنها نخيل الزينة ومن نوع آخر يشبه نخيل الزيت كالتي تكون في بعض المدن الأوروبية للزينة وليست بالنخل العربى المشهور أما هذه فإنها عربية صميمة ، بل من أرومة كريمة حسبما قالوا لأنها من المدينة المنورة .

وتجدر الإشارة إلى أن المحلين المذكورين (نزل النخلة) و (حان النخلة) هما لغير المسامين .

يطوّف النصاري :

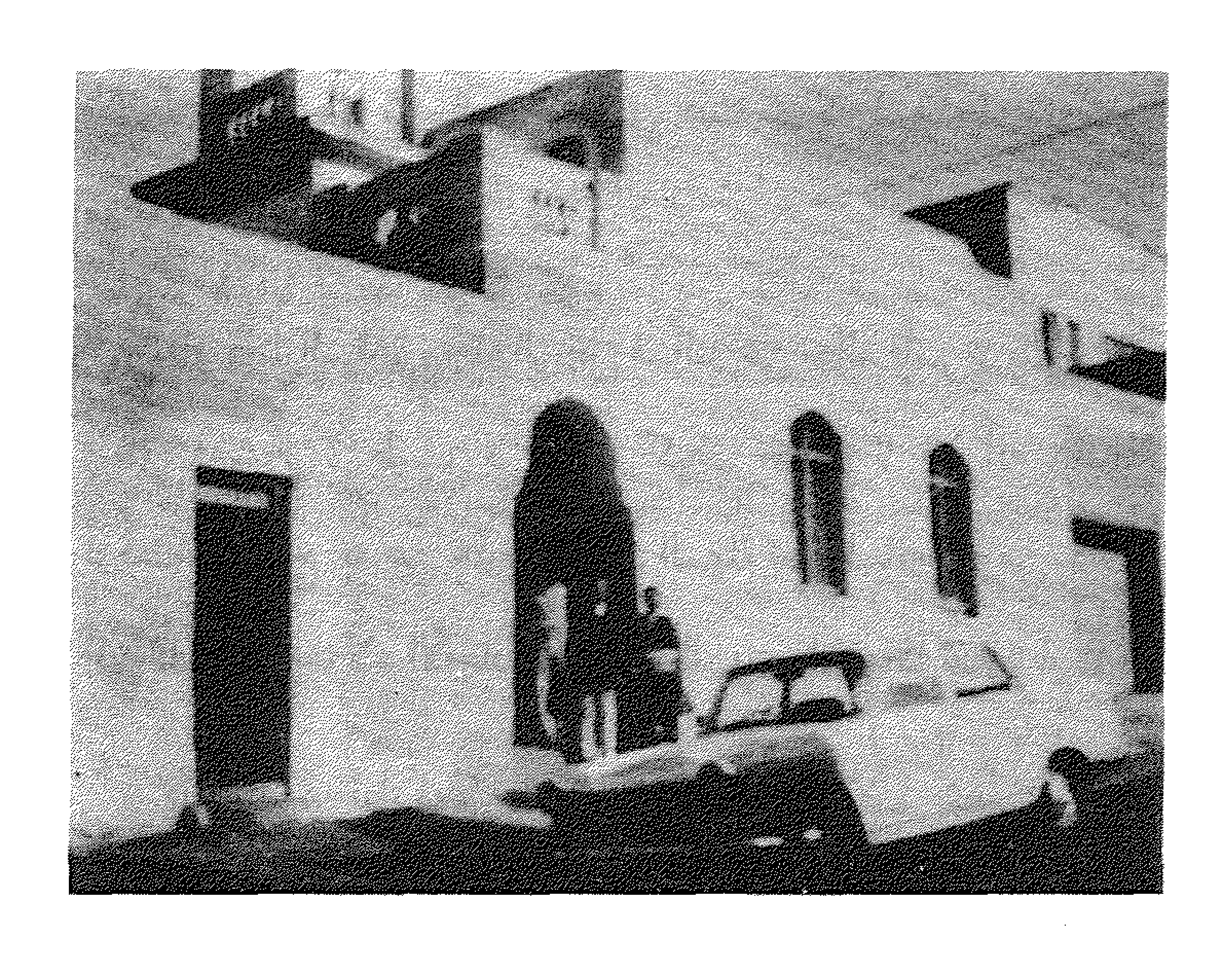
يذكر أن بلادنا العزيزة لن تغيب عن أذهاننا ولا عن ألسنة إخواننا وبعض الناس هنا من ذلك مع حديث النخلة هذه أننا لما كنا نطوف فى هذا الحي الإسلامي القديم (بوكاب) أو رأس الجبل رأينا على البعد رجلاً من المسلمين على رأسه طربوش أحمر وبدلة عادية ، وهو أسمر اللون ، عربى التقاطيع ومعه طائفة من

الأوربيين فقال لي الأخ الشيخ عمر خبير إن هذا الرجل هو من أصل ملايوي إسمه اسحاق بن إبراهيم وأنه كان عربي الأصل هناك ، وأنه تعلم بعض العربية في مكة المكرمة غير أنه لم يكمل تعليمه ، وهو مرشد للسياح يعمل عند شركة للسياحة ويريهم معالم هذا الحي الإسلامي .

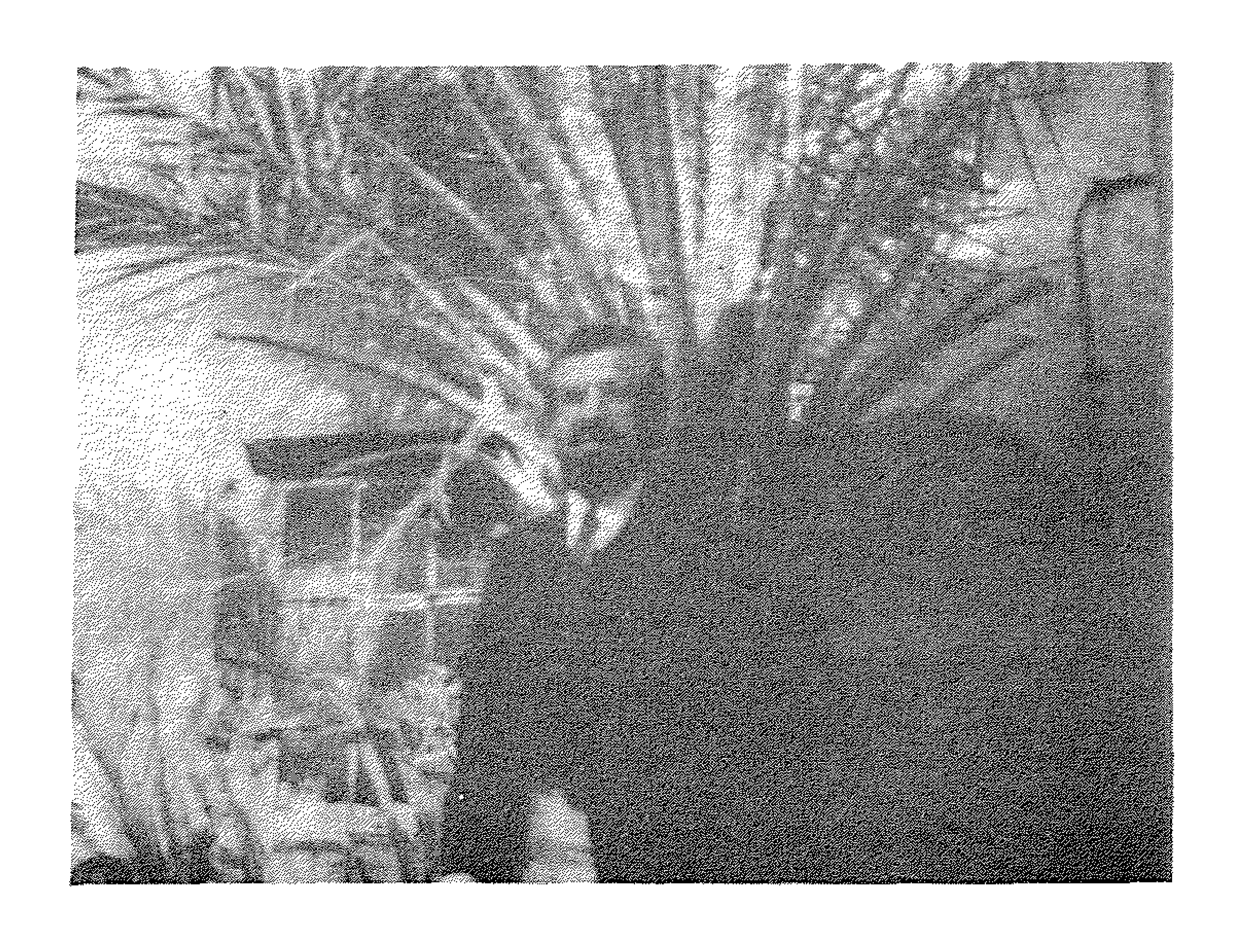
فأوقفنا السيارة وجاء الرجل فسألته عن حاله فأسرع بالإجابة بنطق فصيح : طيب ، وأنت كيف حالك ؟ إلا أنه عندما أردت الخروج به عن هذه الألفاظ السهلة تعثر لسانه ، ومن ذلك أنني قلت له : هؤلاء الأجانب البيض الذين معك ماذا تفعل لهم ؟ .

فأجاب : نطوّفهم . أخذ كلمة التطويف بمعنى ارشاد في الطواف بالكعبة المشرفة إلى هذا المعنى الذي هو إرشاد السياح .

وقد التقينا به في المتحف الإسلامي وفي (أول مسجد) بعد ذلك ثم التقيت به مرة أخرى بعد يوم ومعه طائفة أخرى يطلعهم على معالم هذا الحي الإسلامي من مدينة (كيب تاون) .



منظر خارجي لأول مسجد في كيب تاون



إلتقط الشيخ عمر خبير هذه الصورة للمؤلف بجانب النخلة الموجودة
في (أول مسجد) عند ما رأى إهتمامه بها

أول مسجد :

(أول مسجد) : إسم وصفة فهو إسم المسجد الأول الذي أسسه المسلمون بعد وصولهم إلى كيب تاون بمدة .

وهو معروف بهذا الاسم (أول مسجد) .

ذهبنا إليه في حي (بوكاب) . فإذا به بالفعل قديم المظهر عربي الطراز ، ليس كبير المساحة وليس مزخرف البناء .

وقد قابلتنا في بيت ملاصق له امرأة عجوز من ذرية القائمين الأوائل على هذا المسجد اسمها (حايمة حمزة) والبيت أثرى بالفعل ، ولذلك تحرص الحكومة على بقائه دون تغيير وهو مع المسجد من المعالم الهامة في الحي الإسلامي في (كيب تاون) غير أنه صغير .

وفي فناء هذا البيت الصغير نخلة ليست بطويلة قالت العجوز لنا : إنها أي النخلة قديمة وأنها تعرفها في مكانها منذ ٤٤ سنة . مع أن عمر مثل هذه النخلة لايزيد على ٢٥ سنة في الأغلب في بلادنا .

ومن أعجب ما رأيته فيها وأغربه أن فيهاقنوانا طلعها بسر أحمر يميل إلى الصفرة ولكنه قريب من أن يكون في الحجم الطبيعي للبسر الذى قد أزهى أي لون مع أنه لم يلقح ، وقد أكلت وأكل منه من كانوا معي فوجدت طعمه جيداً .

ومع وجوده في النخلة في عدة قنوان — أي اعذاق — فيها فإن هناك قنوانا جديدة حوالى السبعة قد انفلقت لتوها ربما من مدة أسبوع فاجتمع في هذه النخلة البسر المكتمل والطلع الحديث .

وهذا أمر لا يحدث في بلادنا ولاشك في أن سبب ذلك هو الجو أو هو شيء في طبيعة هذه النخلة الغريبة التى أعتقد أنها لو لقحت لكان لها شأن ، وربما يكون لها ثمر يصلح للأكل ويستحق أن تزرع في هذه البلاد التى يشبه جوها جو البحر الأبيض المتوسط لأنها واقعة على الخط الذى تقع على مثله بعض البلاد التى تنتج التمر .

غير أن هذه في جنوب خط الإستواء وتلك في شماله وإن كانت الظروف الجغرافية تختلف في كلا الموضعين .

وخرجنا من(أول مسجد) لنمر من البعد على مسجد آخر فمررنا في طريقنا بنساء جالسات على رصيف حجرى مرتفع عند باب ومظاهرهن على البعد كالعربيات فأخبرونا بأنهن عند عيادة طبيب مسلم من أهل هذا الحي .

المتحف الإسلامي :

هو متحف صغير أنشيء حديثاً في هذا الحي وإلا فإن المعتقد أنه لو كان قد أنشيء قديماً لكان أكبر وأغنى مما هو عليه الآن .

أول مايلفت نظرنا وأمثالنا اسمه المكتوب باللغة العربية فوق اللغة الإنكليزية وهو : (متحف فوقانى الكاب) . ربما كانت جملة (فوقانى الكاب) ترجمة لكلمة (بوكاب) باللغة الافريكانية الوطنية .

وعبارة باللغة العـــربية طريفة تتضمن أوقات فتحه للمتفرجين . ونصها :

(مفتوح يوم السبت ويوم الأحد ويوم الثلاثاء إلى يوم الخميس من الساعة ١٠ ق . ظ . إلى الساعة ٤ ونصف ، ب ، ظ)

وحرفا ، ق، ظ يعنيان قبل الظهر كما أن حرفي ب ، ظ ، يعنيان بعد الظهر وهو اصطلاح لا نستعمله في بلادنا العربية مع أنه مختصر مفيد ، وإن كان مأخوذاً من الاصطلاح الإنكليزي لما بعد الظهر وما بعد منتصف الليل .

ووجدنا فيه امرأة قالت إنها هي وزوجها المسئولان عن المتحف واسمها (مرضية داود) وإنه لا يشاركهما في العمل فيه أحد ، وذلك لصغره بطبيعة الحال

أول الغرف القليلة فيه تسمي (غرفة العروس) فيها تمثال عروس في ملابس الزفاف الكاملة ومما يلفت النظر في أمرها أنهم قد وضعوا على رأسها عمامة بدلا مما يشبه التاج عند الأوروبيين وطبيعة الحال أنهم قلدوا المستعمل أو الذي كان مستعملا بالفعل عند المسلمين في هذه البلاد .

ومنها فوطة جميلة المنظر براقة من صنع مكة المكرمة كانت من ألزم الأشياء التى تساق إلى الزوجة مع المهر ، وقد أخبرونا أن الحاج منهم إذا كان عنده من هو على وشك الزواج

أحضر من مكة مثل هذه الفوطة التى هي على شكل (غترة) بيضاء مزخرفة رأيتها منشورة على الحائط ولاأدري كيف يلبسونها .
وصندوق من صنع مدينة دمشق مطعم بالصدف في داخله أشياء من حوائج العروس وأثاث الغرفة ومنه سرير صنع على الطريقة الملايوية أو الجاوية كما كنا نقول في الحجاز لمثل هؤلاء القوم ثم غرفة الصلاة في البيت وهي على شكل مسجد صغير فيه محراب لطيف عليه الشهادتان (لا إله الا الله محمد رسول الله) والهلال الذى تتوسطه النجمة . وفيه حامل من الخشب قديم من الذى يوضع عليه المصحف للقراءة .

وهذه الغرفة كانت موجودة بل سائرة الوجود في هذه البلاد في القديم نشأت عندهم – فيما قيل لنا – من واقع الحالة التى كانوا عليها عندما وصلوا إلى هذه البلاد وكان الهولنديون المتعصبون يمنعونهم من الصلاة جماعة ويمنعونهم من باب أولى من بناء مسجد يجتمعون فيه ، فكان كل منهم يجعل في بيته غرفة خاصة بمثابة المسجد الصغير الخاص يصلي فيه هو وأهل بيته ،

ولعل ظاهرة الإكثار من المساجد وتقاربها في هذه البلاد ناشيء من هذه الحالة بمثابة رد الفعل لهذا المنع عندما ولى زمانه واستطاع المسلمون أن يكونوا أحراراً في بناء المساجد .

ومن غرفة المسجد يرى المرء في بهو المتحف مائدة خشبية عليها عدة قوالب نحاسية ثقيلة الوزن احضروها من الحجاز أو من مصر لكي يصنعوا عليها الطرابيش التى كانت شعار المسلمين في هذه البلاد قبل إتخاذ الطاقية شعاراً لهم .

ولا يزال بعضهم يتخذ هذا الشعار حتى الآن ومنهم ذلك الدليل ذو الأصل العربي الذي قلمت ذكره ، وقد قابلنا الشيخ (نظيم محمد) أحد علماء هـــذه البلاد وعليه الطربوش فقال : إنه ذاهب إلى حفاة لعقد الزواج وان هـــذا هو الزي الرسمي القديم ، ولونه في جميع الحالات التى رأيناها أحمر وهذا القالب بمثابة رأس الإنسان الذي يوضع عليه الطربوش ، وقد وضعوا على أحد هذه القوالب بالفعل طربوشاً أحمر حتى يتضح المقصود منه .

ثم غرفة المطبخ القديم . ومن ألطف مافيه قالب لصنع الشمع الذي كان يستضاء به قبل وجود الكهرباء .

ثم سلة مليئة بالخضروات والفواكه التى كانت موجودة في ذلك الوقت وهي فيما يظهر لي من اللدائن (البلاستيك) ثم بعض الأواني ومنها إناء من النحاس عليه كتابة عربية جميلة الخط دائرة مع أعلاه من الخارج .

وقد خرجنا من هذا المتحف الصغير نتجول في هذا الحي الإسلامي وإذا بى أسمع ضربة مدفع أجفلت منها فقالوا : إنه مدفع نصف النهار وإنه يضرب كل يوم في الساعة الثانية عشرة ظهراً تماما وأن الناس يضبطون عليه ساعاتهم ، وقال لي أحد الإخوان إنه مثل مدفع الإفطارعندكم .

ولايفصل بين هذا الحي وحي تجاري أوروبى من جهة الجنوب إلا شارع واحد .

في حديقة (الكاب) :

هي حديقة ومتحف بل أكثر من متحف وهي في منطقة بيضاء أي ، مخصصة للبيض في مدينة (كيب تاون) وأهم البواعث إلى زيارتها هو الإطلاع على نماذج من الحياة المجسمة للناس الذين كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل وصول البيض والذين يسمون البوشمن أى : رجال الشجيرات لاسيما وأنهم قد جعلوا في هذه النماذج صوتا لموسيقى البوشمن ، وحفلاتهم التى تكون في المناسبات الهامة . مثل الحفلة التى تقام لإبعاد المرض عن المريض .

ومع ذلك فإن في الحديقة نماذج من الأشجار والنباتات في هذه البلاد وغيرها تستحق الزيارة ومن ذلك شجرة (أرز) ضخمة كالتى في لبنان ، وأشجار غريبة مما في هذه البلاد ، ولم يخلوا الحديقة من تماثيل لبعض زعماء البيض في الجنوب الإفريقي من ذلك تمثال لسيسل جون رودس الذى نسبت إليه روديسيا الشمالية التى أصبحت تسمي (زامبيا) منذ استقلالها في عام ١٣٨٤ هـ وروديسيا الجنوبية التى أصبحت (زمبابوى) حين

استقلت في هـــذا العام وفيها جذع شجرة متحجر قد غدا كأنه العمود الضخم من المعابد القديمة وقدكان في الأصل مطموراً في الحجارة غير أنهم استخرجوه ووصلوا أجزاءه بقضبان من الحديد الخفية فأصبح واقفاً ضخماً عجيباً

وقد أشار أصحابنا إلى جهة مجاورة للحديقة لا يفصل بينهما إلا شارع وقالوا : إن هـــذا هو بيت رئيس الجمهورية ، فرأيته متواضعاً لا يرضى من يعد نفسه وجيهاً من أثرياء بلادنا بمثله أوهذا ماظهر لي من رؤيته من الخارج غير أن القوم فيما بينهم ديمقراطيون وحكمهم كالحكم الأوروبي بالنسبة للبيض ولكنهم بالنسبة إلى غيرهم من مواطنيهم السود والملونين أظلم حكومات العالم طراً من حيث عدم اعترافهم بتساوي المواطنين في الحقوق السياسية وفرص التعليم لأن مواطنيهم أولئك وهم الأكثرية غير أكفاء بزعمهم للأعمال التي يقوم بها البيض المتفوقون .

متحف جنوب إفريقية :

الدخول إلى الحديقة مجاني ولكن الدخول إلى المتحف الذي فيها ليس كذلك وإن كان يأخذ مقداراً رمزياً بالنسبة إلى هذه البلاد وهو ربع راند أي ريال وربع ريال تقريباً للشخص الواحد .

وهو متحف للحياة أكثر منه متحف عام لأن عناية القوم بالمتاحف جعلتهم يخصصون لكل نوع من المعروضات متحفا أو أكثر من متحف وينسقونها ويهتمون بها .

كانت أول غرفة دخلناها في هذا المتحف مخصصة لعرض الكتب والنشرات عن التاريخ المبكر لهذه البلاد وقد اشتريت منها كتباً عن البوشمن براند وربع ، وفيه لوحات للبوشمن والهتنتوت الأوائل .

ثم قسم رائع للفراشات المحنطة ومنها أنواع تأخذ ألوانها بالألباب ، وتنسي الإنسان مرور الزمن وهو يتأملها .

وقسم آخر للحشرات المحنطة ومنها أشياء كالتى تكون في بلادنا تماما مثل أنواع من الخنافس والجعلان .

وحشرة كبيرة من ذبابة التسي تسي الناقلة لمرض النوم القاتل التى كانت في الماضى ألد اعداء الإنسان والحيوان وكانت موجودة في قسم من جمهورية جنوب إفريقية هذه . غير أنه قضى عليها هنا .

ثم انتقلنا إلى قسم فيه غرف لعرض النماذج المجسمة بالألوان الطبيعية للبوشمن تصورهم وهم شبه عراة .

الذيل الطويل :

ومن أغرب مارأيته في صـــورهم أليات غير عادية لم اشاهدها في أي شعب في العالم بل لم أتصورها وهي أن أليات بعضهم أو اعجازهم كبيرة مرتخية حتى تشبه أن تكون كألية الشاة القصيرة أو هذا هو مارأيته من تماثيلهم المجسمة المعروضة ومن صورهم المرسومة . ولا أدري السبب غير أن أجسامهم



رجل من البوشمن في جنوب إفريقية

(على وجه العموم) كلها مرتخية فالرجال والنساء جميعا لهم بطون مسترخية استرخاء ظاهراً حتى تكاد تكون في بعض الأحيان متدلية وهو أمر قلّ أن يوجد عند غيرهم وقد حدثني بعض إخواننا هنا عندما سألتهم عن ذلك بأنهم مشهورون بالكسل ، وكثرة الأكل إذا وجدوه ولكنهم إذا شبعوا ناموا وبقوا لمدة طويلة حتى يجوعوا فيذهبوا يبحثون عن أكل آخر .

ومن الطرائف التي تروى عنهم في هذا الأمر أن أحدهم أكل خروفاً ونام مدة فجاء الذئب وأكله دون أن ينتبه إليه قبل أن يتمكن منه .

ويبين الكسل ظاهراً على أجسامهم المسترخية المتغضنة التي مظهرها مظهر الكهولة والهرم ولو كانت لشبان .

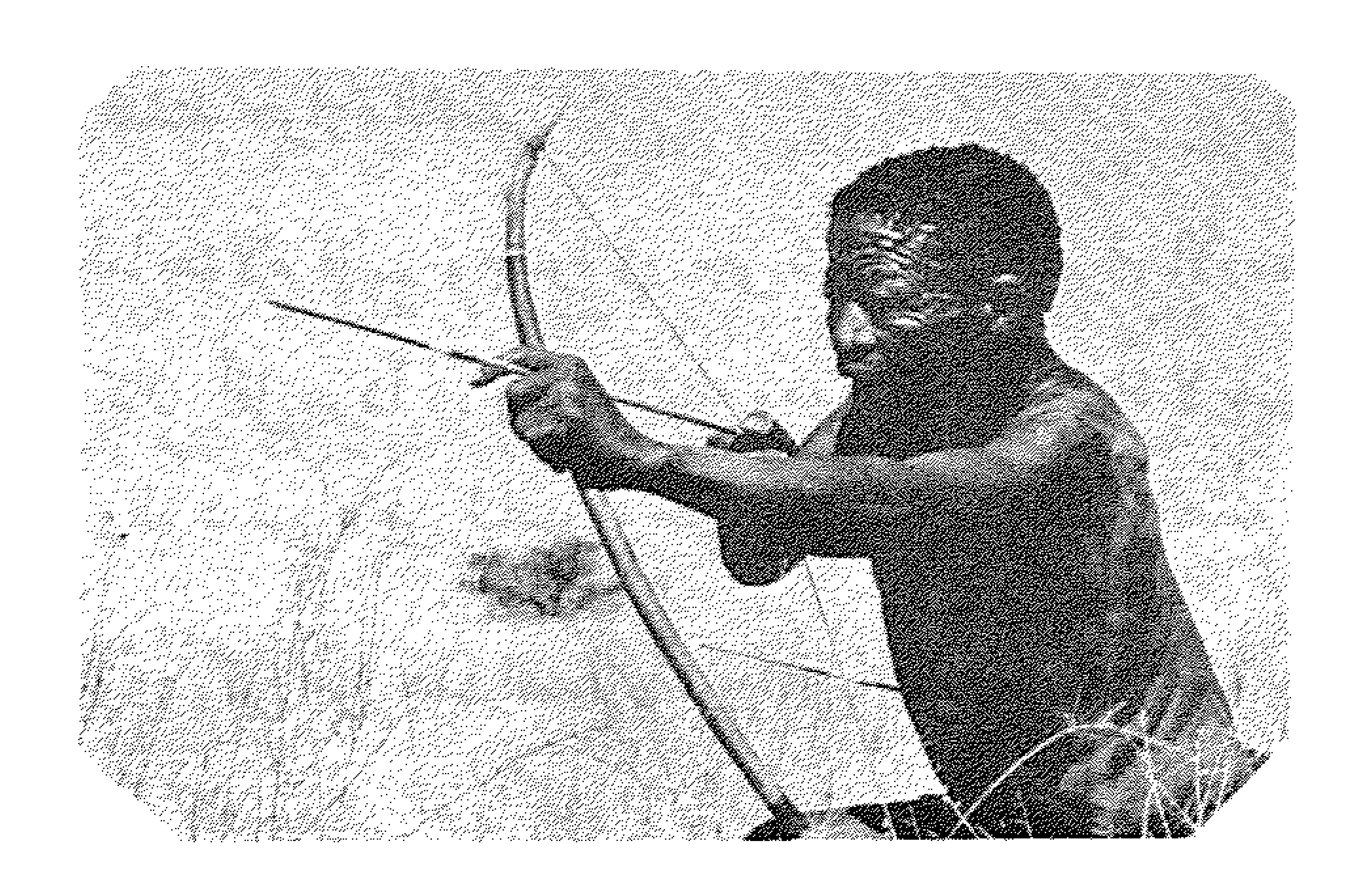
ولولا أن طول العجيزة الذي ذكرته لايبين إلا إذا صورت المرأة منهم شبه عارية لكنت أثبت صورتها هنا لتعجب منها .

وهم جميعاً شبه عراة لايضع المرء على عورته شيئاً الا شيئاً

لايكاد يذكر من ورق الشجر أو قطعة صغيرة من جلد الحيوان مثلما كان الزنوج تحت خط الإستواء وحوله إلا أن أولئك الزنوج وجدوا في جو ملائم لذلك نوعا ما نظراً لعدم تغير الطقس عن حالة واحدة في أكثر السنة ماعدا المرتفعات وبعض الأوقات التي يكثر فيها المطر فيبرد الجو ، وبعض الأوقات التي يتخلف فيها المطر فتشتد حرارة الشمس .

أما هؤلاء فإنهم وجدوا في جو شبيه بجو الشرق الأوسط وإن كان أقل برداً في وقت الشتاء ومع ذلك هم عراة لا يقيهم الحر والبرد شيء من ثياب أو حتى من المنازل الجيدة الصنع .

وفي ركن من هذا القسم رسوم على الصخور اقتطعت من كهوف كان يعيش فيها هؤلاء وقد قطعوها بآلات جيدة حتى استطاعوا نقلها بحالتها الطبيعية إلى هذا المتحف دون أن تنكسر أويذهب منها شيء وهي لحيوانات مثل الأبقار وللصيد الوحشي مثل الغزلان التي كانوا يصطادونها بقـــذفها بحربة باليد كما شاهدنا صورهم المجسمة وهم يصطادونها .



رجل من البوشمن في وضع إستعداد للصيد

ورغم أن هؤلاء كانوا يعيشون كما يعيش الزنوج أو أدنى منهم فإنهم لم يكونوا زنوجا فلون البشرة فيهم قمحي في الأكثر وقد يكون بنياً في بعض الحالات غير أن تقاطيعهم في بعضها شبه من تقاطيع الزنوج فهم صغار العيون بشكل ملفت للنظر ، وهم صغار الأنوف فطس إلا أن المنخرين لا يكونان متسعين عندهم كما هما عند أكثر الزنوج ، وشعورهم مفلفلة كشعور الزنوج .

حيـــاة البوشمن :

ينحدر البوشمن من سلالة قبائل العصر الحجرى في جنوب إفريقية وحتى القريب قد كانوا من الشعوب النادرة في العالم التى تحاشت تيار المدنية واحتفظت بنفس منهج الحياة الذى كان متبعا قبل إنتشار الزراعة واستئناس الحيوان .

قامت حياتهم على الصيد وجمع الطعام من الأراضي ، ولم يستدل حتى الآن على زمن ظهور البوشمن في جنوب إفريقية ولكن العظام البشرية التى اكتشفت في عدة أماكن تدل على أنهم تواجدوا قبل عشرة آلاف سنة على أقل تقدير .

وهم مع شعب الهتنتوت الذى هو أيضا من سلالات العصر الحجرى يكونان شعبا يعرف بإسم كويزان من كواكهوين ولايوجد اسم خاص للبوشمن وإنما سماهم بذلك المستوطنون الأوائل من الهولنديين للتدليل على أنهم الذين يعتمـــدون كلية في حياتهم على الأدغال وغيرهم من المزارعين الذين أطلق عليهم إسم هتنتوت وكل اسم منهما يدل على طريقة معيشة كل من الشعبين : البوشمن والهتنتوت .

يعتقد بعض الباحثين أن البوشمن من أصل زنجي في الماضي البعيد ولكنهم يختلفون حاليا في الشكل عن معظم الشعوب الأخرى في إفريقية فقوامهم قصير ونحيل وأقدامهم وأيديهم صغيرة لدرجة ملحوظة وجلودهم التى يختلف لونها من السواد الفاتح إلى البنى المصفر ناشفة الملمس وتتجعد في سن مبكرة .

وفي عصر ماقبل التاريخ يُعتقد أن البوشمن عاشوا مجموعات صغيرة منتشرة في أغلب مناطق جنوب إفريقية جاء الهوتنتوت ثم

الزنوج من الشمال وتلاهم البيض من الجنوب فاجتاحوا أراضيهم وعندما حصل الاحتكاك فيما بينهم وعلى الأخص بسبب الأغنام قُتل الكثيرون من البوشمن كما قتل أيضا الكثيرون بسبب تفشي مرض الجدري والأوبئة الأخرى التي جاءتهم مع المستوطنين البيض في الجنوب ولم يكونوا يعرفونها من قبل .

ويعيش البوشمن اليوم في المنطقة الغربية الشمالية من ولاية (الكاب) وفي بوتسوانا وفي جنوب غرب إفريقية (ناميبيا) وسط صحراء كالاهارى . ويقدر عددهم اليوم مابين ٥٠ و ٦٠ الف نسمة ولكنهم في طريق انقراض سريع ..

ويعيش في صحراء كالاهارى عدة أفخاذ منهم لكل منها تسمية مختلفة كالكونج ، والنارو ، والجيوى ولكنهم ليسوا بقبائل إذ يفتقرون إلى زعامة لرعاية حياتهم الإجتماعية ، والمجموعات الرئيسية منهم تشمل الصيادين ويقودها كبيرهم سنا ولا يعتبر الصيد مصدرا للغذاء فقط بل لإثبات الرجولة أيضا .

وتضع كل مجموعة يدها على مساحة من الأرض يصل مداها إلى عدة أيام من السير تحدها العلامات .

والمجموعات الرئيسية تشمل الصيادين الذين يعيشون في مجتمع متقارب غالبا بسبب القرابة ويقومون بالتعاون في المعيشة ولهم خبرة عظيمة في اقتفاء الأثر والصيد .

وكما جسموهم فى المتحف وهم يصطادون فعلوا ذلك وهم يعملون النعال البسيطة من الجلود ، كما جسموا شيئا لهم كان يفعله العرب في الجاهلية وهم أنهم يستعملون بيض النعـــام بمثابة الأواني لنقل ماء الشرب وكان العـــرب يفعلون ذلك حتى نقل عن بعض لصوص العرب أنه كان يملأ بيض النعام ويدفنه في الصحراء حتى إذا احتاج إلى الهرب من السلطان أو من أعدائه ذهب إليه ووجده حيث لا يجد أعداؤه الذين يطاردونه ماء فيرجعون عن ذلك . وقد رأيناهم صوّروهم وبعض النساء يحملن عدداً من بيض النعام المليء بالماء في شبكة صغيرة واسعة الثقوب .

وقد مثلوا سحرتهم في تماثيل بشعة قد غطوا وجوههم بالريش وبعض أجسامهم بالأشواك .

وكتبوا أن هذه المناظر أكثرها من ناميبيا في جنوب غربي إفريقية وهي المنطقة التي تديرها حكومة جنوب إفريقية منذ سنوات طويلة .

وفي قسم آخر من هذا المتحف بقايا لعظام حيتان ضخمة لايتصور المرء منا ضخامتها إلا إذا عرف أنه يمكن اثنى عشر رجلا تقريبا من الجلوس في فم الحوت دون أن يتضايقوا وأما أضلاع بعضها فإنها تبلغ سقف الغرفة التي هي لاتقل عن خمسة أمتار ارتفاعا .

ثم هناك أقسام في المتحف لأنواع الأسماك المحنطة والأحياء البحرية الأخرى ثم قسم لأنواع الحجارة نصف الكريمة وحجارة المعادن المختلفة والفلزات كالذهب والفضة .

ثم نمر ضخم لا أبالغ إذا قلت إنه كالحصان محنط قليل النظير ، ونعام كبير ، وهيكل عظمي ضخم لنعامة في ضعف

حجم النعام الحالي وقد كتبوا عليه أنه منقرض ولا يوجد منه شيء حي ، ثم طائفة من الطيور المختلفة الأنواع والأحجام والألوان لا يجمع بينها إلا كونها غريبة وهي كلها محنطة .

وفيها القرود وآكل النمل وجمل محنط كتب عليه أن موطنه صحراء كالاهاري في جنوب إفريقية وهو أرشق من الإبل عندنا وأجمل – إن صح التعبير – فهو عال القامة ضامر البطن نوعا متناسق الأعضاء أما لونه فليس فيه فرق عن لون الإبل الحمر التى عندنا .

وعندما رآني أحد موظفي المتحف أتأمل الأشياء وأبطيء في تأملي سارع إلي من دون أن يعرف من أنا ، وقال يشير إلى نوع من الغزلان غريب هذا الحيوان لا يوجد منه حي إلاّ ثمانية فقط أربعة في روسيا وإثنان في أمريكا وواحد في ألمانيا والثامن في حديقة الحيوان وهو كبير بين الوعل والغزال .

ثم هناك اليرابيع – جمع يربوع – أو جربوع عند العامة وهو أنواع حنطوه أكثرها مثل الذي في بلادنا ، ولما ذكرت

لإخواني أننا كنا نأكل اليربوع استفظعوا ذلك وقالوا : إنه كالفأر فبينت لهم الفرق بينه وبين الفأر ومن أظهر ذلك وأهمه قصر يديه وطول رجليه وذنبه .

ثم نوع من الأرانب البرية مثل الموجود في بلادنا تماما وضباع — جمع ضبع ، وعائلة من قرود الغوريلا الضخمة المفزعة المنظر .

موسم الحج :

تعتبر هذا الأيام هي أيام الذهاب للحج في جنوب إفريقية وذلك رغم كون الموسم في الحقيقة قد بقي على حلوله أكثر من ثلاثة أشهر غير أنه كان من عادتهم في الزمن القديم أن يبدأوا السفر إلى مكة المكرمة للحج في شهر شعبان بسبب بعد بلادهم وكون سفرهم لايكون إلا بالسفن التى لا تتجه في الغالب إلى جدة وإنما تتجه إلى قطر آخر كالهند أو الإسكندرية وذلك لقلة الاتصالات مابين جنوب إفريقية وموانىء الحجاز في ذلك العهد .

وهذا كله بطبيعة الحال قبل اختراع الطيران ثم انتشاره في المواصلات .

وقد اعتادوا بعد تلك الأزمنة على أن يستمروا في بدء السفر إلى الحج في أواخر شهر شعبان ولو كان ذلك بالطائرات فيصوموا شهر رمضان في مكة المكرمة ثم لايغادورنها إلا لزيارة المدينة المنورة حيث يمكثون أياما معدودة لاتقل في العادة عن سبعة أيام يعودون إلى مكة المكرمة بعد ذلك لأداء الحج .

وقد استمروا على هذه العادة أو استمر أكثرهم عليها حتى الآن ، وما رأيناه اليوم من مظاهر توديع الحجاج سواء في بيوتهم قبل تحركهم أو في المطارات عند توديعهم هو هذا الذي بقي حتى الآن .

وواصلنا السير في طريق يدع البحر إلى جهة اليد اليسرى والجبال إلى جهة اليمنى في طرق حديثة جميلة وبيوت رشيقة متفرقة غير كثيرة ، وسط حشائش خضراء كأنك في فصل الربيع مع أن الفصل هو فصل الشتاء ولكنهم يقولون : إن الربيع

والصيف أكثر زهوراً ، وأجمل من هذا الفصل الشتوى المطير .

أما التربة فإنها حمراء إلا أنها ليست في حمرة الأرض الإفريقية تحت خط الإستواء وأنت لا ترى الأرض لتعرف لونها إلا إذا ذهبت إلى مكان محفور ، أو تراب منثور لأن الغالب على هذه الأرض هو الخضرة والتنسيق في الطرق ، والباحات المرصوفة رغم أن مابين البحر والجبل من المساحة المستوية أو شبه المستوية ليس واسعاً .

وإذا ضاق الطريق ووصل إلى الجبل رأيت في سفحه أشجار الصنوبر التي يذكرك منظرها بجبل لبنان .

ثم مررنا بمكان قال الشيخ عمر إنه مصنع الألماس وقد رأيتهم كتبوا عليه ذلك بالفعل ومعنى ذلك أنه هنا يقطع ويصنف ويعد للبيع .

ووصلنا إلى حي من أحياء الملونين فوقفنا عند بيت فيه خرج منه طفلتان جميلتان بيضاواتان غير أنه ليس بياض الأوروبيين

ولكنه أجمل من ذلك فقال : إنهما لأخي ورأيت بعض الأطفال في هذا الحي الذى يقولون إنه للملونين فإذا ببعضهم في بياض العرب الشماليين غير أن تقاطيعهم وسط بين العرب وبين الملايوين أو هكذا خيل إليّ .

وقلت للشيخ عمر خبير : إنهم بيض فلماذا يعدونهم في الملونين ؟ فقال : إن القانون هكذا يحكم على الشخص بأنه ملون قبل أن يولد فاذا كان والداه ملونين أي ليسا من والدين أوروبيين عندما صدرت قوانين التفرقة العنصرية في عام ١٩٣٠ م فإنه يعتبر من الملونين ولو كان أبيض .

وذلك أنه كان الناس قد يتزاوجون فيما بينهم من سائر الأجناس فالذين نشأوا من ذلك التزاوج هم من الملونين في نظر القوانين العنصرية . ثم قال : أنا جدى الأعلى كان من البيض ولكن وباء الطاعون اجتاح البلاد مرة فمات أهله وبقي هو طفلا فأخذه جيران له مسلمون فربوه عندهم حتى كبر مسلما وتزوج

من هؤلاء الذين أصلهم من الملايو ، أو اندونيسيا ، وأصبحنا بذلك من الملونين .

ثم دخل إلى المنزل وهو ينادى (مامي ، مامي) يريد أمه وأجلسنا في غرفة الإستقبال التى تكون عند الباب مباشرة من الداخل في أكثر بيوتهم ؛ فأقبلت أمه تسلم على الضيوف وهي بالفعل بيضاء كأنها من نساء الأتراك المسنات فالشيخ عمر له ٤٨ سنة واسمها (رقية عبد الحميد) وقال : إن والده الشيخ حافظ يوسف خبير ليس موجوداً في المنزل الآن وأنه من القراء في (مدينة الكاب) .

ثم أدار جهازاً للتسجيل فيه شريط من قراءة والده فسمعنا تلاوته جيدة لا يمكن الحاقها بطريقة التلاوة في أي بلد أعرفه غير أنها أقرب ما تكون إلى تلاوة المقرئين الحجازيين .

وقاعة البيت تدلك على أنك في بيت رجل متدين محب للدين واللغة العربية من ذلك أن جميع اللافتات المعلقة فيه هي باللغة العربية .

وقال الشيخ عمر إنّ والدي كان يضربني وأنا صغير في هذه الحجرة التي تراها حتى أحفظ القرآن الكريم وإنه من حبه للعرب واللغة العربية أرسلني أنا وأخي عبد الحميد إلى القاهرة على سفينة قطعنا فيها ٣٢ يوما قبل أن نصل إلى ميناء بورسعيد ، وقد التحقت بالأزهر ثم من بعدها عملت في المركز الإسلامي في لندن ، وعدت إلى جنوب إفريقية بعد غيبة دامت ثلاث عشرة سنة .

وقال : إن والدي ووالدتي زارانا في القاهرة وأديا فريضة الحج رغم بعد المسافة ، وصعوبة الإتصال في ذلك الحين .

ثم جاء بعصير التفاح وقال : إن شيئين هنا هما من أنقى الأشياء في هذه البلاد وتحرص حكومة البلاد على بقائهما كذلك ، وتعاقب من يخالف أمرها وهما عصير التفاح والعسل .

وتركنا هذا الحي الذي يسمونه ملونا وطيور النورس البحرية البيض البطون تطير وتقع فيه كما هي في أكثر أنحاء (كيب تاون)

•واصلين السير فمررنا بحي اسمه (كلير موند) وهو من أحياء البيض ولم نقف فيه وإنما وقفنا :

فى حى للمسلمين :

وهو حي للملونين والمقصود من وقوفنا فيه هو الصلاة في مسجد فيه ، وتناول الغداء في مطعم إسلامي هناك ، واسم الحي: (واين بيرج) ومعناها : جبل الخمر بالافريكانية وذلك لأنه قبل أن يكون حيا سكنيا كان مزارع للعنب الذي يستخرج منه الخمر .

وبدأنا بالغداء فوقفنا عند مطعم قد رسموا عليه شعار المسلمين وهو الهلال والنجمة . وذلك لأن أغلب سكان هذا الحي هم من المسلمين كما أخبرني به الشيخ عمر ، وقال : إن فيه ثلاثة مساجد ومركزاً إسلاميا .

وقد استقبلتنا في المطعم إمرأة شابة في حدود الخامسة والعشرين قمحية اللون،سوية التقاسيم ، لا تستطيع أن تلحقها بأي

جنس من أجناس الناس إلا أن يكون ذلك فيمن هو عربيّ التقاسيم من الأندونيسين فسألها الشيخ عمر عن والدها ؟ فقالت : إنه ذهب للحج الليلة البارحة مع أننا في شهر شعبان .

وبعد الغداء ذهبنا إلى مسجد (اليوسفية) وإمامه الشيخ (نظيم محمد) تعلم مدة طويلة في مكة المكرمة على الشيخ علوي مالكي ولكننا لم نجده لأن جماعة الظهر قد انقضت منذ فترة فصليت الظهر والعصر جمعاً .

والمسجد نظيف غاية النظافة متسع جداً وفيه طابق ثان يصلي فيه الناس يوم الجمعة إذا ضاق بهم الطابق الأرضي ويستعمل في بقية الأسبوع بمثابة مدرسة لتعليم أبناء المسلمين القرآن ومبادىء الدين .

ورأيت أماكن الوضؤ فيه جميلة نظيفة فيها حتى المناشف .

ومن انفراداته أنهم وضعوا أماكن للوضؤ في الطابق الثانى من المسجد ولم يكتفوا بأماكن الوضؤ في الطابق الأرضي ، وأنهم

فرشوا الدرج الموصل من الطابق الأرضي إلى الذى فوقه بالسجاد الغالي النظيف فرشاً محكماً حتى بدأ كأنه درج قصر من قصور الأثرياء أو الأمراء .

أما أرض المسجد بطابقيه فإنها مفروشة كلها بالسجاد الفاخر الأخضر اللون الذي رسم عليه الشعار (الهلال الذي تتوسطه نجمة) وقد جللت أسافل جدرانه بالخشب اللامع حتى يقي من يصلون بقربه من الرطوبة والبرد .

الفاكهة فى الشارع :

خلف هذا المسجد شجرة رأيت فيها فاكهة ناضجة مما يسمي في سوريا ولبنان (اكيدنيا) ولما أبديت عجبي قال الشيخ عمر : إن صاحبها مسلم وأنه صديقنا فلنأخذ منها ولما أبديت امتناعي صعد الأخ أحمد شامنقا وهو المرافق الثاني لي مع الشيخ (عمر خير) الذى يقود سيارته بنفسه إلى الشجرة وأحضر منها شيئا من الثمرة ، وهنا حضر صاحب المنزل الذي تقع الشجرة أمامه

من الخارج في رصيف الشارع وهـــو يضحك ، وقال : إن الذى في أعلا الشجرة أكثر نضجاً فخذوا منه ، وقد جربت الفاكهة فوجدتها لذيذة الطعم ألذ مذاقاً من الذي عرفته منها في سوريا ولبنان .

وعندما انصرفنا من هذا الجامع رأيت بقربه حانوتا كبيراً رسم عليه شعار المسلمين الهلال الذي في وسطه نجمة وعلبه مكتوب أنه قصاب مسلم .

هـــذا مع العلم بأن الحـــكومة في كيب تاون كما في جوهانسبرج وجميع مدن جنوب إفريقية قد عهدت بالذبح إلى المسلمين لا يشاركهم في ذلك غيرهم ، وذلك لما يعرفون به هنا من النظافة في الذبح والحرص على ذلك .

وبينما كان الشيخ عمر واقفاً عند إحدى المحطات في هذا الحي سمعنا أذان العصر من مكبر الصوت يذهب بعيداً يجلجل في هذه البلاد التى لاتكاد تعدم فيها الأذان في أحياء الملونين ،

تكاد الجبال العالية التي تحيط بمدينة الرأس (كيب تاون) من جهة الشمال تردد أصداءه ، وتلبي نداءه لولا أن الدولة الآن ليست بدولة المسلمين ، بل ولا دولة الدين أي دين ، وإن كان للدين الإسلامي في هذه الديار أنصار وأي أنصار ولله الحمد والمنية .

وعلى صوت هذا الأذان البهيج حدثني الشيخ عمر أن شرطيا نصرانيا أخبره أنهم لا يتصورون جمال موقع أذان الفجر في أذن سامعه ولو كان من غير المسلمين وأن هذا الشرطي النصراني قال : إنه يكون في مكتب الشرطة في الليل خائفا وجلاً حتى إذا سمع أذان الفجر زايله الخوف وشعر بالطمأنينة لما له من وقع في النفس ، ولأنه يبشر بذهاب الليل ، وانبلاج الصبح .

حي الحشائش :

ومررنا ونحن في الطريق بحي إسمه (قراسي بارك) ومعناه حديقة الحشائش ورأينا فيه على بعد مسجداً ذا قبة ذات لون فضي وهو حي للملونين ولم نقف فيه .

وهناك مسجد كبير تحت الإنشاء في جانب من حي للأغنياء من الملونين إسمه إقامة .

بندقية كيب تاون :

ليس المراد هنا بالبندقية التى يرمي بها الإنسان فتقتل فتلك نسميها البندق بدون هاء ، وإنما هذا حي من مدينة كيب يمتد إليه خليج صغير من البحر . وقد بنوا بيوته في الماء حتى تكون على غرار بيوت البندقية في إيطالية التى إسمها فينيسيا عندهم . وهنا يسمونها فينيسيا تقليداً لتلك ، وقد أقاموا البيوت في الماء على دعائم ووفق لهندسة دقيقة فإذا دخلت من البوابة الرئيسية لهذا الحي سيارتك فإنك لكي تستطيع أن تصل إلى بيتك توقف سيارتك وتركب قارباً صغيراً يوصلك إليه كما يفعل سكان مدينة البندقية الإيطالية .

وهذا الحي هو للبيض من الناس لا يشاركهم في سكناه غيرهم .

حارة اليهود :

وبعدها وصلنا ونحن نسير محاذين لشاطيء البحر الذى هو إلى جهة اليد اليسرى والجبل إلى جهة اليد اليمنى إلى حي من أحياء البيض أغلب سكانه من اليهود واسمه (ميوزن بيرج) وقد يسميه بعضهم هنا من باب التجاوز (لتل اسرائيل) أي : اسرائيل الصغرى اشارة إلى دولة اليهود في فلسطين نسأل الله أن يوفق العرب والمسلمين إلى العمل الصالح حتى يستطيعوا أن يهزموها ويقيموا بدلا منها دولة للإسلام كما فعلوا مثل ذلك بالصليبيين من قبل .

وعلى شاطيء البحر بالقرب من هذا الحي رأينا ملعباً للجولف خاصاً بالبيض ، وبعده جسر كبير ضخم من الأسمنت المسلح قائم على أعمدة كالذى يكون في الشوارع لمرور السيارات إلا أنه طويل ، فسألت عنه الشيخ عمر فقال : إنه أقيم لكي يجلس عليه من يريد أن يتفرج على أمواج البحر تحته وعلى الناس في البحر ،

وإلا فإن السيارات لا تمر عليه لأنها ليست بحاجة لذلك لوجود طرق أخرى لها بجانبه .

وقلت لنقف لنراه ولما أتيت لأدخله أجفل مرافقي الأخ (أحمد تشامنقا) وقال : هذا للبيض وسوف يأتى الشرطي فيقبض علينا وهو من أصل هندي فقال الشيخ عمر إذا حاولوا أن يقبضوا علينا قلنا لهم : إن معنا ضيفاً دبلوماسيا على هذه البلاد وسيطلقوننا ، ودخلنا بالفعل ولم نصادف شرطة فيه مع أنني والشيخ عمر في مظهر البيض أو في قريب من مظهرهم وإنما المشكلة كانت في الأخ أحمد .

إلا أننا لم نجلس وإنما اخترقناه وتركناه . مع أن (البلاج) فضي الرمل جميل ، وفي ركن منه ملاعب للبيض منها ملعب حديث للجولف .

فى مناطق البيض :

بعد هذا الوقوف واصلنا السير في مناطق مخصصة لسكنى البيض وحدهم أكثرها في أحضان الجبل الممتد على ساحل البحر

وذلك لكي نصل رأس الرجاء الصالح الذي يلتقي عنده المحيطان الأطلسي والآخر المسمى بالهندي .

وقد أخذ البحر يقترب من الجبل حتى لم يبق بينهما في بعض الأحيان إلا الطريق وحتى صارت البيوت القليلة فيه أشبه بالبيوت التى في الريف منها بالبيوت التى في البلدة .

إلى أن بدأ الطريق الصعود في الجبل نفسه وترك ساحل البحر .

على ظهر الرأس :

هذا الجبل الذى نصعد فيه هو رأس الرجاء الصالح وهو رأس من الأرض أى نتؤ منها داخل في البحر إلا أنه جبل متصل بالجبل الذى بنيت أسفل منه مدينة سميت بإسمه مدينة الرأس (كيب تاون) التى كان قد أسسها الهولنديون في عام ١٦٥٢م وإن لم يكونوا أول من وصلها من الأوروبيين بل كان البرتغاليون هم أول الأوروبيين الذين وصلوها . ولكن كان هدفهم الوصول إلى الهند عن طريق الالتفاف حول إفريقية وقد تم لهم ذلك بقيادة

فاسكودي جاما حيث قام برحلتين لهذا الغرض إحداهما عام ١٤٩٧م .

وقد سرنا في ظهر هذا الجبل فوجدناهم قد تركوه غفلا دون أن يمسوا أرضه أو حتى صخره بشيء وذلك لكي يشاهده الناس كما شاهده المكتشفون الأول ما عدا سفلتة الخط الذي تسير عليه السيارة وهو خط واحد للذاهب والآيب وقبل الوصول إلى الرأس اعترضنا حاجز عليه سور فيه باب يسمح لدخول السيارة من شبك الحديد إلا أنه مغلق فلما أردنا الدخول طلب الحارس وهو شرطي أسود مبلغ راند ونصف على السيارة أى حوالى ستة ريالات ونصف وأخبرنا أن علينا أن نعود قبل تمام الساعة السادسة لأن هذه البوابة تغلق آنذاك .

ودخلنا معها وكل مافيها لم يتغير عن حالته الطبيعية الأولى حتى الحيوانات والطيور فهي لاتنفر فيها ولاتذأر وقد أتاح لنا ذلك أن نرى كيف تكون الحياة النباتية إذا لم تمس بسوء وقد اشتبكت فيها النباتات البرية وكثير منها ذو زهور مختلفة الأنواع

ولكن أكثرها اللون الأبيض وأما الأشجار فكثير منها له لون رمادي .

أما الحشائش فهي موجودة ولكنها ليست بالكثافة المنتظرة بالنسبة إلى كونها تقع فوق رأس جبلي داخل في البحر ، وربما كان مرجع ذلك إلى أننا في فصل الشتاء مع أن فصل الشتاء في منطقة كيب تاون التي سميت على اسم هذا الرأس هو فصل مطير .

وفي منطقة قرب نهاية الرأس من أعلاه وهي الجهة التي نسير فوقها وهي نهايته من جهة البحر إلا أنها ليست نهايته من جهة الإرتفاع كان هناك موقف للسيارات وكتابة بالصبغ الأبيض بأنه يمنع تجاوز العربات هذه النقطة .

فترجلنا من السيارة وأخذنا نسير على الأقدام مسافة كيلومتر واحد يصعد قليلا قليلا .

ولو كان المسير عدة كيلات لكان سهلا علينا إذ كنت أتمنى أن أرى هذا الرأس حقيقة ومن آخر نقطة فيه .

وعند القمة وقف الخط الاسفلتى ونحتوا درجاً في أعلى الحجارة في القمة أقاموا بجانبه حاجزاً حديدياً يمسك به الإنسان.

فرأينا من هناك منظراً رائعاً إنه :

ملتقى المحيطين :

فهنا في هذه النقطة بالذات يلتقي المحيط الأطلسي بالمحيط المسمى بالهندي وما يمتد منه إلى المحيط الهادى وهما يحيطان بالمعمور من الدنيا .

وهنا في هذه النقطة آخر اليابسة من الدنيا القديمة وأبعده إيغالا في جهة الجنوب من هذا الإتجاه أيضاً . وليس وراءه إلا البحر الخضم الذي لا ينتهي إلا بالقارة القطبية الجنوبية التى لا تستطيع المخلوقات أن تعيش فيها في فصل الشتاء إلا أنواعا منها نادرة لايقاس عليها .

هنا يلتقي المحيط الأطلسي القادم من الشمال يلامس شواطيء أوروبا البيضاء في اصطلاح القوم في هذه البلاد وهو الاصطلاح

الذي يقسم الناس على حسب ألوانهم وليس على حسب أعمالهم .
وبعد شواطيء أوروبا البيضاء يلامس شواطيء المغرب وموريتانيا وهي شواطيء سمراء ثم شواطيء القارة الإفريقية الغربية التى يسمونها سوداء حتى يصل هذه النقطة أسفل هذا الرأس الذي تحت أقدامنا فيعانق زميله المحيط الآخر القادم من عند الشوطيء العدنية اليمنية السمراء فالشواطيء الإفريقية الشرقية السوداء فيحتضن كل محيط منهما صاحبه ويمتزجان تمازجاً كاملا لا تحس معه وأنت تنظر إلى عناقهما حداً يميز مياه أحدهما عن الآخر :

ولكن بنى الإنسان لا يتعانقون :

ولكن في هذه البلاد بالذات التي يتعانق فيها المحيطان لا يتعانق بنو الإنسان ، ولا يمتزج فيها الألوان فلكل لون من ألوان بني الإنسان مرتبة عندهم وشأن تميزه عن بقية الألوان .

ألا ما أكثر طغيانك أيها الإنسان وبخاصة إذا استغنيت فاستكبرت : (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

أما هيئة هــذا الرأس رأس الرجاء الصالح فإنها رأس حجري داخل في مياه البحر له أنف أفطس قصير كأنوف الإفريقيين ولماذا لايكون الأمر كذلك وهــو إفريقي أصلا وفرعا رغم أنوف البيض المتعصبين الذين يزهون على الأفريقيين بطول أنوفهم .

ولهذا الرأس الجبلي حد جنوبي واقف من إحدى الجهتين وقوف الجدار ولذلك وضعوا أسلاكاً شائكة تمنع من الإقتراب منه .

والرأس مرتفع في قمته حتى إنني كنت أنظر إلى الطيور التي تحلق على ساحل البحر وهي تطير تحتنا وكأنها مجموعة من الذباب لارتفاعنا الحاد .

وأما الحيوانات البرية التي تعيش طليقة فيه فقد رأيت منها عدداً من القرود ونوعا من الحيوانات الغريبة رأيت صورها في المتحف وهي قصيرة الأرجل في حجم القطط ، كما رأيت الدجاج البري والنعام .

وقبل تمام الساعة السادسة بخمس دقائق كنا نعود قاصدين بوابة الخروج الموجودة على الطريق وقد تأخرنا لأن المنظر بهرنى ، وجعلنى ألبث مدة أطول .

وكنت أتأمل هذه الزهور والأشجار البرية العذراء في طريق العودة فأجد فيها جمالاً لا أجده حتى في الزهور المنسقة المعتنى بها وبخاصة منها زهور رمادية تتمثل فيها البراءة وعدم التصنع .

وخرجنا من البوابة وبعـــدها مباشرة هنا نشاهد نصبا أبيض واقفا إلى اليسار على هيئة لوح غير عريض وهو الموضع الذى عسكر فيه فاسكودى جاما البرتغالي لأنه أول موضع وصله أول رجل أوروبي بسفينته إلى هذه البلاد وهو الملاح البرتغالى (دياز) .

وهناك إلى الشمال منه نصب آخر له كان قد عسكر في مكانه . ولم يكن في الوقت متسع لقراءة ماكتبوا عليه ، لأن الشمس كانت قد سقطت في مياه المحيط الأطلسي الذى لا يبعد عن نده المحيط الثاني إلا مسافة قريبة من هذه المنطقة .

العودة إلى كيب تاون :

وبدأت العودة بعد غروب الشمس مباشرة في جو شاتٍ لأنه واقع في أبرد شهر من شهور السنة عندهم وهو شهر يونيو الذي هو من شهور الصيف الحارة في بلادنا .

ولكن الظلام كان قد حلّ فرأينا المنازل المخصصة للبيض بين أحضان الجبل وأذرع البحر تسبح في الأنوار .

ولفت نظرى كثرة الواقفين من البيض وأغلبهم من الشبان على حافات الطرق يشيرون بأصابعهم إلى السيارات المارة إشارة معناها : خذوني معكم وسألت عن السبب فأخبروني أن شركة الحافلات وهي شركة يهودية أي يملكها يهود من سكان جنوب إفريقية القدماء قد رفعت أجرة الركوب في الحافلة من نصف راند إلى راند واحد ويساوي أربعة ريالات ونصفا فغضب منها الركاب وقاطعوها وطلبوا مساعدة الآخرين على ذلك ، وهذا المظهر من مظاهر مقاطعتها .

وكانت نهاية الجولة في الفندق في الساعة التاسعة بعد قطع مسافة العودة (٤٤) كيلا بين النقطة من رأس الرجاء الصالح التى يلتقي عندها المحيطان وبين فندقي في القسم الأبيض من قلب مدينة كيب تاون .

*
* * *
*

يوم الجمعة ٢١ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ
الموافق ٣ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ م

الجمعة فى أحد أحياء الملونين :

كانت صلاة الجمعة هذا اليوم في مسجد في أحد أحياء الملونين من مدينة (كيب تاون) .

واسمه (كين سين ١٠) ، وتبلغ نسبة المسلمين فيه ٥٠ ٪ كما أخبرني بذلك الشيخ عمر خبير .

وهو حي نظيف الشوارع والأزقة . مظهر المنازل فيه مظهر جيد .

وكان الوصول إليه بصحبة الشيخ عمر خبير الذى مر بي في الفندق وأخذني إليه ، وكان أخبرني من قبل أنه قد قرر أن يصلي فيه الجمعة اليوم إماما لأهله بناء على طلب منهم .

وكان في الحالات المعتادة يلبس اللباس العالمي المسمى بالافرنجي تماما غير أنه في هذا اليوم لبس قميصاً طويلا أبيض كالقمصان التي نلبسها وأدار عمامة حول رأسه فوق طاقية .

وعندما وصلنا المسجد كان قد قارب أن يمتلىء بالمصلين وأفواجهم يدخلون بهدوء وسكينة وأدب في المسجد يذكرني بما رأيته من ذلك في ماليزيا غير أن الوجوه ليست بوجوه الماليزيين من كل وجه .

وبعد أن أدى المؤذن الآذان الأول بصوت رخيم ونغمات ليس فيها شيء من العجمة الأمر الذى جدد عجبي من كون هؤلاء الذين يسمون بالملونين يستطيعون إذا تعلموا العربية أن يخرجوها من مخارجها كما يفعل العرب ، ويجعل العربي المتسرع في إلقاء الأسئلة يتساءل عما إذا كانت لهم علاقة بالعرب . ؟

غير أنه ما أن يقرأ تاريخهم الإسلامي في جنوب القارة حتى يتيقن أنه ليست لهم أية علاقة اللهم إلا إذا كانت موجودة فيهم عندما كانوا في اندونيسيا قبل وصولهم إلى هذه البلاد .

بعد أن أدى المؤذن الآذان الأول أمام مكبر منصوب عند المحراب نهض الشيخ عمر الخبير فوقف على الأرض أمام المكبر المذكور فحمد الله وأثنى عليه ثم أخذ يتكلم بالإنكليزية كلمة هي خطبة أو خطبة هي بالكلمة أشبه .

وبعد أن لبث حوالى ثلث ساعة يتكلم قال بالإنكليزية إن معنا الأخ (فلان) يقصدنى وأنه سيلقي فيكم كلمة .

وكان قد طلب مني أن ألقي الخطبة أو أؤم بالناس في هذا المسجد فامتنعت من ذلك وقلت له أنت الإمام الراتب والشيخ المعتبر عندهم ولا أرى من حقي أن آخذ ذلك منك .

فقال : إذاً تتكلم فيهم ، فقلت : لابأس .

وقد وقفت أتكلم فيهم بكلمة بينت فيها من بين ما بينت قوة رابطة الدين الإسلامي بين المسلمين وأنها تتجلى في أبسط ما تتجلى فيه برابطة المشاعر في الآمال والآلام .

وضربت لهم مثلا على ذلك فيما لو سمعنا خبراً عن إنتصار إخواننا المسلمين في الفلبين فلا شك في أنكم هنا وإخوانكم في

المملكة وفي سائر أنحاء العالم ستكونون مشتركين في السرور بذلك وعلى عكسه لوحدثت نكسة فيهم .

كنت أتكلم بالعربية فيترجم كلمتي الشيخ عمر الحبير ، وكنت أثناء ذلك أتأمل وجوه القوم الذين في المسجد وقد امتلأ المسجد بهم كلية في صفوف متراصة بنظام وتنسيق كما أن طابقه الأعلى كان مليئا أيضا .

وكانت وجوههم تبدو لى قريبة من وجوه من عاشوا في الحجاز من أهل إندونيسيا أو ماليزيا جيلا أو جيلين يكونون قد تزاوجوا خلال تلك المدة من أجناس أخرى غير جنسهم فجاء نسلهم ليس إندونيسيا خالصاً ولكن فيه من صفات الاندونيسين شيء . وأحيانا لا أستطيع أن أقول ذلك في بعض الوجوه إذا اختلطت بوجوه أخرى فأصبحت تكاد تكون جنساً متميزاً قائماً بذاته .

وأما ألوانهم فإنها في أغلبهم تشبه الألوان العربية في جزيرة العرب .

وبعد أن انتهت كلمتي صعد الشيخ عمر الخبير على المنبر ، وابتدأ المؤذن يؤدي الآذان الثانى . ثم نهض الشيخ عمر الخبير فخطب من فوق المنبر خطبتين قصيرتين بالعربية .

ثم نزل وأم الناس في الصلاة .

المحاريب المنحرفة :

لم يصل الشيخ بالناس في محراب المسجد وإنما كان ذلك في الزاوية اليمنى من المسجد على جهة اليمين من قبلة المحراب وقد صنع المأمومون كلهم مثل صنيعه فمالوا عن قبلة المسجد قليلا . وقد كنت لاحظت ذلك في المساجد التى زرناها أو صلينا فيها في مدينة الرأس (كيب تاون) ولما سألتهم عنها أخبروني أن إتجاه القبلة قد صح عندهم أنه إلى اليمين من الجهة التى كانوا يصلون إليها في الماضي .

وذكرتنى هذه الحالة بواقعة تكاد تكون مشابهة شاهدتها في مدينة (ديترويت) عاصمة صناعة السيارات في الولايات المتحدة

الأمريكية . وذلك أن القوم يصلون الآن إلى جهة غير الجهة التى فيها محراب المسجد فلما سألتهم عن السبب في ذلك أجابوا : بأن الذين قاموا على بناء المسجد كانوا من المسلمين اللبنانيين من المهاجرين الأوائل الذين لم يكونوا على جانب مناسب من المعرفة بالدين ، ولم يكن عندهم من يبصرهم في أمور دينهم فجعلوا القبلة جهة الجنوب وهي الجهة التى كانوا يصلون اليها في بلادهم (لبنان) ظناً منهم أن جهة القبلة واحدة في أمريكا وفي لبنان، واستمروا على ذلك سنين حتى أتيح لهم حضور عالم مصرى أرشدهم إلى القبلة الصحيحة فتركوا الصلاة إلى الجهة التى فيها محراب المسجد وصلوا إلى جهة القبلة الصحيحة .

وبعد إنتهاء الصلاة أقبل القوم يسلمون ولكنه ليس بالسلام الكثيف الموجود عند أهل الهند أوالذين هم من أصل هندي إذا رأوا من جاء من الحرمين الشريفين ، ووجدت عادة لهم في السلام هي من العادات الموجودة في جنوب شرقي آسيا وهي السلام باليد مع ضم كف المسلم عليه باليد اليسرى فيكون الشخص الذى

يسلم عليك كأنما يقبض على يدك بكلتا يديه إلى جانب الإنحناء قليلاً إلى الأمام أو ما يقرب من أن يكون نصف ركوع .

وأعتقد أن هذا مما كان موجوداً عند المسلمين الأوائل الذين قدموا إلى هذه البلاد من إندونيسيا في أول الأمر .

ولما تعجبت من كثرة المصلين على حين أن الحي ليس مزدحما ، والمساكن فيه ليست متلاصقة قالوا لي : إن السبب في ذلك هو أن المسلمين يحرصون على أداء صلاة الجمعة حتى إن العمال منهم كلهم يحضرون صلاة الجمعة ، وفي مقابل أن يتمكنوا من ترك العمل والحضور للصلاة فإنهم يزيدون صاحب العمل نصف ساعة في غير يوم الجمعة ويذهبون إلى الصلاة عادة في الساعة الثانية عشرة والنصف . فبدلاً من أن ينتهوا من العمل في الساعة الخامسة كما هو المعتاد عند غيرهم أو في الأيام التى ليس فيها زيادة عمل فإنهم ينتهون في الخامسة والنصف .

وعند الخروج من باب المسجد لاحظت لوحة الإعلانات كتب عليها أن فلانا قد توفي في يوم كذا وسوف تحيي ليلة

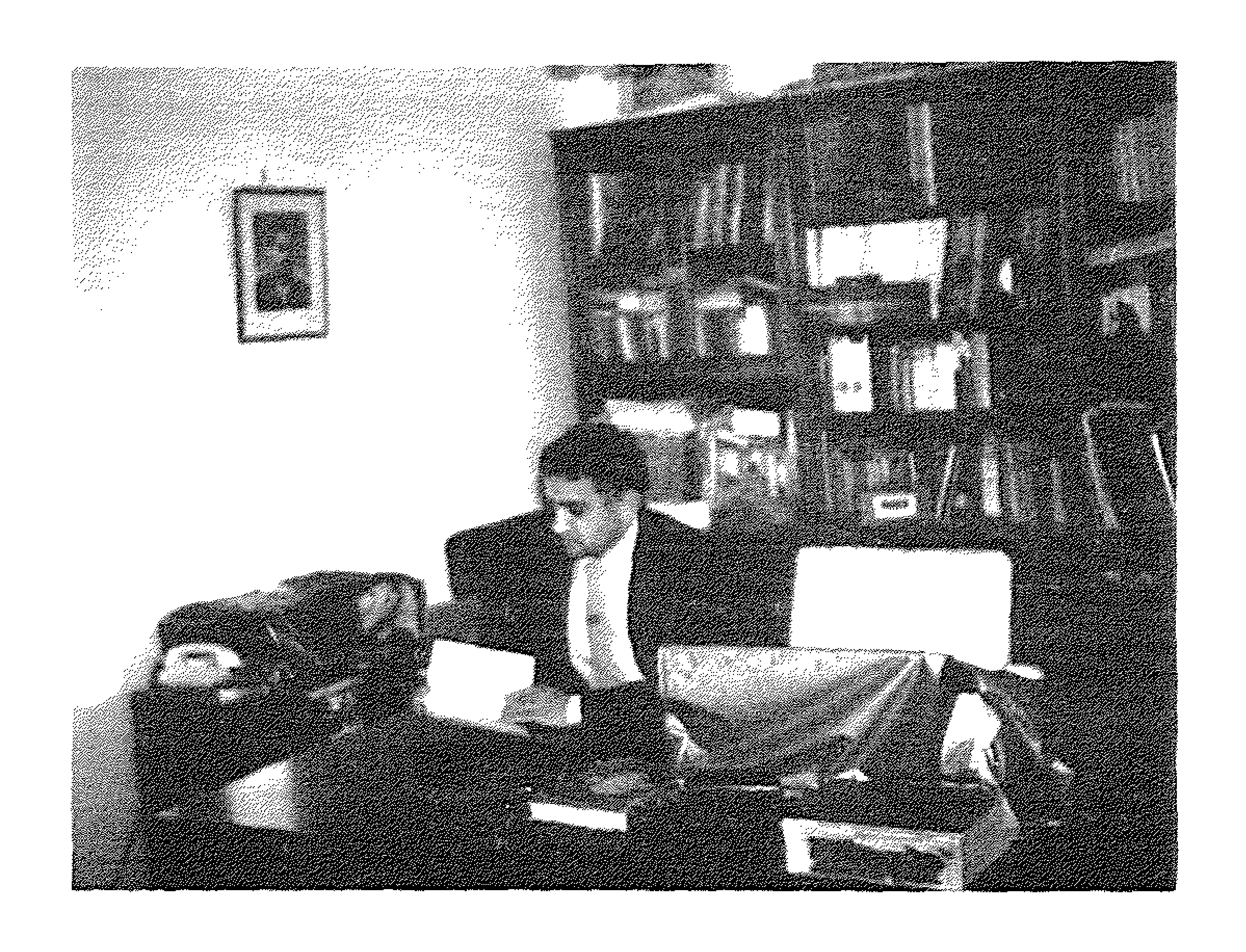
السابع من وفاته بقراءة القرآن على روحه ، والدعوة إلى سماع تلاوة القرآن عامة للجميع في بيت المتوفى .

والغداء فى حي هندى :

كما قلت القول فإن معنى أن يكون الحي هنـــديا فإنه لا يجيز القانون أن يسكن فيه الا من هم من أصل هندي جريا على سياسة الفصل العنصرى .

واسم الحي (رايلنج) وقد ذهبنا إليه لتناول طعام الغداء في بيت الأخ (محمد صالح محمد) أحد الأخوة المسلمين من ذوي الأصل الهندي وهو رجل أعمال نشـــيط يملك من بين ما يملكه ستة محلات تجارية كبيرة (سوبر ماركت) كما كتب عليها ويعمل في حقول تجارية متعددة .

وهو من أهل كجرات في الأصل ، ومن العاملين في الدعوة الإسلامية يبذل في ذلك جهده ووقته وماله ، وله بيت يصح أن يسمى قصراً في هذا الحي فيه قسم للضيافة مؤثث كما



الأخ محمد صالح يطلع المؤلف على مخطوط عربي في مكتبته الخاصة



الأخ محمد صالح محمد يطالع كتاباً مخطوطاً في مكتبته القيمة

يكون أثاث فنادق الدرجة الأولى ، والبيت كله كذلك بل هو يكاد يغلبها .

وكان بيته أول بيت دخلته في (كيب تاون) وقد ألح عليّ في النزول عنده في البيت كما فعل إخواني اعضاء وفد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى المؤتمر ، ولكني اعتــــذرت له عن ذلك . وقلت له إنني أقبل تكريمك ، ولاأستغني عن مساعدتك في الإطلاع على ما أريد الإطلاع عليه في هذه المدينة ، وأنني أريد أن أحصل على أكبر قدر ممكن من المعلومات في أقصر وقت ممكن .

فقال : لك ذلك .

ولم يقصر في وعده كما سيأتي .

وفي بيته كان أول ما أرانا مكتبة له صغيرة بالنسبة إلى البيت وإلى اهتمام صاحبها بالعمل الإسلامي وأرانا فيها مخطوطاً عربيا تاريخ كتابته في عام ٩١٤ هـ .

ومن هوايته جمع الكتب العربية من مخطوطة ومطبوعة .

جبل الإشارة :

كانت جولة هذا المساء على عدة أماكن في مدينة كيب تاون ابتدأت من بعد صلاة المغرب على سيارة الأخ (محمد صالح محمد) وكان أول الجولة الصعود إلى الجبل المطل على قلب مدينة كيب تاون القديمة الذي فيه الميناء .

ويسمى رأسه (سيجنال هل) وذلك لأن المدفع الذى يطلق عند انتصاف النهار من كل يوم في المدينة ينطلق منه حتى يسمع في أكبر مساحة منها ، وهو يعلن تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً ، وعليه يضبط الناس ساعاتهم .

وقال الأخ (محمد صالح محمد) : إن صعود الجبل هو من أجل أن نلقي نظرة على المدينة في الليل وإلا فإننا سنعاود الصعود إليه نهاراً فيما بعد .

وكان الأمر كما ذكره . وكان منظر مدينة كيب تاون وهو تسبح في بحر من الأضواء التي لايحدها الا البحر في غلالة

زاهية ينطلق منها وشاح يصل ما بين البحر والجبل من الساحل الممتد بقلب المدينة مما يبهج النفس ،

وفي هذا المكان أو منه يرى المرء مايذكره بأنه كان للإسلام هنا ذكر واسع ففي الطريق إلى قمة الجبل قبر قالوا : إنه لأحد الأولياء . وفي جزيرة مقابلة للميناء تسمى الآن جزيرة المعتقلين السياسيين لأن الحكومة تحتجز فيها المعتقلين السياسيين كانت هذه الجزيرة في الأصل مقراً لأحد مشايخ المسلمين يأتي إليه طلاب العلم والفقه في الدين فيقيمون فيها ويتعلمون عنده ولا يزال قبره معروفا بل مشهوراً فيها حتى الآن .

اليهود فى جنوب إفريقية :

ومن قمة الجبل كان انحدارنا إلى المدينة القديمة ووقفنا في مكان من سوق تجارية قالوا : إن كثيراً من متاجرها هي لليهود.

وحدثونا عنهم فقالوا : إن اليهود يسيطرون على جزء كبير من التجارة في جنوب إفريقية وفي بعض المجالات التجارية

هم يسيطرون على الجزء الأكبر منها مثل مجال المصارف وشركات التعدين .

وقالوا : إن عدد اليهود في جنوب إفريقية يبلغ قرابة مائة ألف نسمة وهم كلهم قدماء السكنى في هذه البلاد ، ولا يأتي الآن منهم جديد للسكنى فيها ، بل إن بعضهم أخذوا يهاجرون إلى الأمريكتين وكندا واستراليا .

وقالوا لنا : إن نفوذ اليهود الإقتصادي في هذه البلاد قوي جدا .

وقال لي الأخ (محمد صالح محمد) بهذه المناسبة : إن التجار في هذه البلاد الذين هو منهم يأخذون من المصارف اليهودية المال بربح خمسة بالمائة ويضيفون إليها تسعة بالمئة بمثابة مكسب لهم . وأنه يتمني اليوم الذي توجد فيه مصارف إسلامية تمنع من وقوع التجار المسلدين تحت النفوذ الإقتصادى اليهودي في هذه البلاد لأن نفوذ اليهود على التجار يحصل من اضطرارهم إلى الإقتراض منهم .

ولما سألته عما إذا كان يتوقع أن يحدث تقلص هام للنفوذ اليهودي الإقتصادي في هذه البلاد ؟ أجاب : بأنه لايظن ذلك في المستقبل القريب وعلل رأيه بقوله ، إن الحقيقة أن إقتصاد هذه البلاد تسيطر عليه شركات كبرى يملك غالبية الأسهم فيها أشخاص من أمريكا وبريطانيا ومن أولئك الأشخاص يهود امريكيون وبريطانيون .

وما حكومة هذه البلاد إلا بمثابة المدير لهذا الإقتصاد الذي يأخذ أجراً على إدارته وليس من المعقول في ظل الظروف الحاضرة أن يرضى أولئك الأشخاص ذوو النفوذ الإقتصادي في البلدين المذكورين بأن يضار اليهود في هذه البلاد .

توديع الحاج :

من هذه السوق التجارية الأوروبية في قلب المدينة اتجهنا إلى بيت الشيخ عمر الخبير في حي للملونين يسكنه عدد من المسلمين .

ولفت نظري فيه زحام عند بعض البيوت شبيه بالزحام الذي يكون على البيوت التي فيها حفلة عرس كبيرة فالناس والسيارات قد ازدحم بهم الشارع ، وليسوا خارجين بل منهم الداخل والخارج والذاهب والآيب ، فظننت ذلك عرساً غير أن مرافقي قالوا : إنه ليس بالعرس ولكنه الاحتفال بتوديع أحد الحجاج .

فسألت : لماذا يكون منهم الداخل والخارج هكذا ؟

فقالوا : لأن العادة أن يدخل المودع أو المودعة — فقسم كبير منهم من النساء — فيودع الحاج ويدعو له وقد يقدم له هدية على شكل إعانة مالية تعينه على نفقات الحج الذي يستغرق في العادة وقتاً طويلا يزيد على أربعة أشهر إلى جانب مايحتاج الحاج إلى إنفاقه في الهدايا وقد يمر على بعض البلدان الأخرى منتهزاً فرصة سفره إلى الحج .

قالوا : وهذه الهدية أو الإعانة تكون بمثابة القرض العرفي أو اليد التي ترد عندما يريد المهدي أن يحج .

وهذه عادة جميلة — كما ترى — في المساعدة على نفقات الحج الا أن كثافة المودعين وتنوع أعمارهم مما يسترعي الانتباه.

وقد تكرر هذا المنظر في أكثر من شارع في هذا الحي ، وذلك لأن هذه الأيام من آخر شهر شعبان هي أيام سفر الحجاج جرياً على عادة قديمة كانت لهم عندما كان الحج يتم بالسفن الشراعية البطيئة التي تحتاج إلى أكثر من شهر من السفر المتواصل القاصد إلى جدة ، فإن كان سفر الحاج على سفينة تمر ببلاد أخرى قبل جدة استغرق ذلك سفراً أطول بطبيعة الحال كما أن صعوبة الطريق ، وعظم النفقة فيه تجعل الحاج لايطمع في تكرار الحج فيعوض ذلك بهذا الذهاب المبكر إلى الحج .

الماء الحار فى بيت الخادم :

أخذ الشيخ عمر الحبير يطوف بي في بيته يريني إياه بينما كانت زوجته والخادمة تعدان مائدة العشاء .

وحدثني عن إنشاء هذا البيت فقال إنه بناه حديثا وأنه اشترى

أرضه بثلاث راندات للمتر المربع ثم أشار إلى ملحق صغير فيه قال : إن أصله بيت للخادم ــ والخادم في اللغة الفصحي يشمل الذكر والأنثى وأن البلدية أعطته رخصة بنائه على هذا الأساس غير أنه استغله وأجره بمبلغ مائة راند في الشهر أى حوالى أربعمائة وثمانين ريالاً لحاجته للدخل ، وأما الخادمة فإنه بنى لها غرفة أخرى وزودها بالماء البارد والحار طبقا لما تنص عليه لوائح الحكومة في مواصفات غرف الخدم في المنازل التى لابد أن تكون مستوفية للشروط الصحية وأن تشتمل على الماء البارد والحار . وألا يكتفى بتوفير الماء في مسكن الخادم دون تدفئة .

وقد كان لكلمة (الحار) في هذا الجو الشاتي أثر كبير في نفسي إذ الجو الآن يشبه جو الرياض في الشتاء ويزيد عليه بأنه نديٌ لقربه من البحر ، وكثرة أشجاره وأمطاره .

أما الخادمة نفسها فإنها من جنس مختلط مابين الإفريقيين والبوشمن أو من يقربون منهم .

وأما زوجته فإنها مختلطة ولكن من جنسين آخرين فأبوها إنكليزي وأمها صينية وهي بيضاء اللون للشيخ عمر منها ثلاثة صبيان بيض ومع ذلك يحكم القانون بأنهم من الملونين لأنهم من أبوين كانا من الملونين حسب نظامهم .

وأما المائدة فإنها مختلطة أيضا فلا هي بالشرقية ولا بالغربية وإن كانت للشرقية أقرب والشرق الذى قربت منه هو الجنوب الشرقي من آسيا ولذلك كان فيها من السمك لونان .

وكذلك الجالسون على المائدة هم مختلطون حسب تعبير أهل هذه البلاد فكاتب هذه السطور لم يصنف رسميا إلى أي جنس ينتمي من الألوان لأنه ليس من سكان هذه البلاد والأخ الثرى محمد صالح محمد من جنس هندي وكذلك الأخ الطالب أحمد جوهان . والداعي الشيخ عمر الخبير . والشيخ نظيم محمد مصنفان من الملونين وإن كان لوناهما بالعرب أشبه من الناس الآخرين .

وكانت الأحاديث على المائدة مختلطة أيضا بالعربية والإنكليزية وأحياناً بالإفريكانية كما يسمونها وحقنا أن نسميها الإفريقية لأنهم في الأصل نسبوها إلى هذا الجزء الجنوبي من إفريقية فلا ينبغي لنا أن ننسبها إلى منسوب فنقول الإفريكانية وانما ينبغي أن ننسبها إلى الأصل . ولكن هكذا كان يفعل الناس بها كما فعل بعضهم بالنسبة إلى الأمريكي أو أمريكا بقولهم (الأمريكاني) أو (الأمريكانية) .

والشيخ نظيم محمد يعرف اللغة العربية معرفة جيدة ، ويتكلم بها كما يتكلم بها أهل الحجاز لاتكاد تفرق بينه وبينهم في الكلام .

ومظهر جسمه كلغته العربية يشبه الحجازيين تماما بل لايكاد يخطر على بالك حين تراه إلا أنه منهم .

وهو رئيس مجلس القضاء الإسلامي في (كيب تاون) الذي يضم عدداً من علماء هذه البلاد المتخرجين من جامعات أو مدارس في الخارج مثل الهند والبلاد العربية .

وقد استعجل الشيخ نظيم إنتهاء المائدة وكان مرتديا على رأسه

الطربوش الأحمر قالوا : لأنه كان على موعد لعقد قران في الساعة العاشرة من هذا المساء ، وهذا الطربوش جزء من العادات القديمة التي يتبعها المحافظون في هذه البلاد .

سعران لأرض واحدة :

كنت أتحدث وأنا متعجب من رخص سعر الأرض في هذا الحي المعمور من أحياء من يسمون الملونين في هذه المدينة وهو ثلاثة راندات للمتر الواحد وتساوي حوالى أربعة عشر ريالا سعوديا فقال لي الأخ محمد صالح إن هذا السعر هو للأرض السكنية أما الأرض التي تصلح أن يبنى فيها حوانيت وأسواق تجارية فسعر المتر الواحد فيها يصل إلى مائة راند ، وأخرج هذه الكلمة مخرج التعظيم لشأنها فأخبرتهم بأسعار بعض الأراضي في المملكة إلا أن الحديث معهم في هذا الشأن قد تطرق إلى أمر من نتائج مهزلة السياسة العنصرية إذ قالوا : إن المتر المربع من الأرض في هذا الحي الملون بثلاثة راندات ولكنه في حي للهنود مجاور له أرونى اياه

فيما بعد فوجدته ملاصقا له لا يفصل بينهما إلا شارع غير واسع هو ضعف هذه القيمة إذ يباع بستة راندات مع أنه ليس في الأرض فيه مزية على الأرض في حي الملونين . وإنما السبب في ذلك أن الحكومة ضيقت الرقعة المخصصة للهنود فأصبح الطلب على الأرض أكثر من العرض ، ووسعتها للملونين فأصبح لا ضرورة للتنافس على الشراء .

وهذا يجرنا إلى تصنيف الناس عندهم الذى يجعل الملونين هم الطبقة التى تلى طبقة البيض عند الحكومة ، وقد قال لي أحد الهنود هنا إن السبب في ذلك أن لهم بالبيض الأوروبيين علاقة رحم كانت موجودة قبل التمييز العنصرى .

وقال لى أحد اخواني في هذه الليلة : إن هذا صحيح وإن أحد غلاة العنصريين من البيض قال في تبرير هذه السياسة : إن الشعب الملون بدأ وجوده في هذه البلاد بعد وصول الرجل الأبيض بتسعة أشهر ! .

يوم السبت ٢٢ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ

الموافق ٤ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ م

المساجد فى كيب تاون :

كان هذا اليوم هو يوم المساجد في كيب تاون . فالمسجد في بلاد الأقليات الإسلامية هو بمثابة المركز الإسلامي فهو مكان الصلاة ، ومركز الإجتماع ، وهو أيضا مقر الفتوى وتدريس الدين الإسلامي ، بل مكان الإعلام الإسلامي حيث يتم الإعلان فيه عن حلول المواسم الإسلامية الشرعية كأوقات الصيام والعيدين . بل هوسجل أو بمثابة السجل الذي تسجل فيه حالات مثل الزواج والوفاة .

فالمساجد إذاً في بلاد الأقليات الإسلامية في العدد جديرة بالعناية والدراسة هذا على وجه العموم وأما في مدينة (كيب تاون) فإن لها هذه الأهمية ، وأهمية أخرى نفسية تاريخية .

ذلك بأن المسلمين كانوا في أول الأمر ممنوعين منعاً باتاً قاطعاً من بناء المساجد بل من أداء الصلاة جماعة ولو في غير مسجد .

وكانوا قلة مستضعفة بل مستعبدة إذ استعبدهم الهولنديون حقيقة فكانوا يبيعونهم بالأثمان كما تباع الأمتعة . وكانوا يعتبرونهم قوما وثنيين حسب المفهوم الإستعماري في ذلك الوقت .

فكان المسلمون يصلون في بيوتهم فرادى أو معهم أفراد أسرهم ، ونشأت عندهم عادة تخصيص غرفة في البيت تكون بمثابة مسجد خاص لأداء الصلاة .

واستمر هذا الأمر حتى عام ١٨٠٦ م عندما أوشكت حرب أن تقع بين الهولنديين الذين هم كانوا حكام البلاد في ذلك الوقت وبين الإنكليز الذين جاءوا ينتزعوها منهم لموقعها الهام لسفنهم التي كانت تمضي إلى الهند والشرق من هذا الطريق .

فااتصل الإنكليز بالمسلمين طالبين منهم المساعدة على الهولنديين فوافق المسلمون على ذلك بشرط أن تعطى لهم الحرية في بناء المساجد والصلاة جماعة . وأن تخصص مقبرة للمسلمين .

وحارب المسلمون إلى جانب الإنكليز على هذا الأساس في معركة عرفت باسم « معركة الجبل الأزرق » أو « بتل أوف بلو بيرج » ، وانهزم الهولنديون فأعطاهم الإنكليز وثيقة بأنهم أحرار في دينهم ،ومن ذلك بناءالمساجد والتجمع للصلاة وأهدوهم — إلى ذلك — هدايا تقديرية منها العلم الإنكليزي .

فبدءوا ببناء المسجد الأول وأسموه (أول مسجد) ولا يزال يسمى بهذا الإسم حتى الآن كما تقدم .

وبعد ذلك أقيمت المساجد بكثرة وكأن بعض ذلك بمثابة رد الفعل على ذلك الحرمان السابق .

واليوم لايكاد المرء يدخل حياً من أحياء الملونين أو الهنود الا ويجد فيه مسجداً مشرفا مرفوع الشعار ، ظاهر المنار .

بل إن المساجد توجـــد في بعض الأحياء التى لايقطنها المسلمون مثل بعض أحياء البيض التى كانت معمورة بالهنود والملونين في وقت من الأوقات ، ولكن البيض انتزعوها منهم وأبعدوهم إلى أماكن أخرى وهدموا منازلهم وبقيت المساجد



التخلة الموجودة في (أول مسجد) والمؤلف واقف في فنائه



منارة مسجد نور الاسلام في (حي بوكاب) في كيب تاون

وحدها شواهد تاريخية على وجود كان للمسلمين في تلك المناطق إذا احتاج الأمر إلى شاهد .

لذلك كان اهتمامي بالمساجد في مدينة (كيب تاون) مضاعفا فطلبت أن يكون هذا اليوم مخصصا للإطلاع على المساجد ولأخذ صور لها ، وبعض المعلومات عنها .

وكان إخواني الذين ساعدوني على ذلك الأخ (محمد صالح محمد) من أثرياء المسلمين ووجهائهم من أصل هندي كما تقدم . والأخ الشيخ عمر الخبير أحد علماء المسلمين وعضو المجلس الإسلامي القضائي في ولاية (كيب تاون) والأخ أحمد جوهان طالب يدرس القانون في الجامعة .

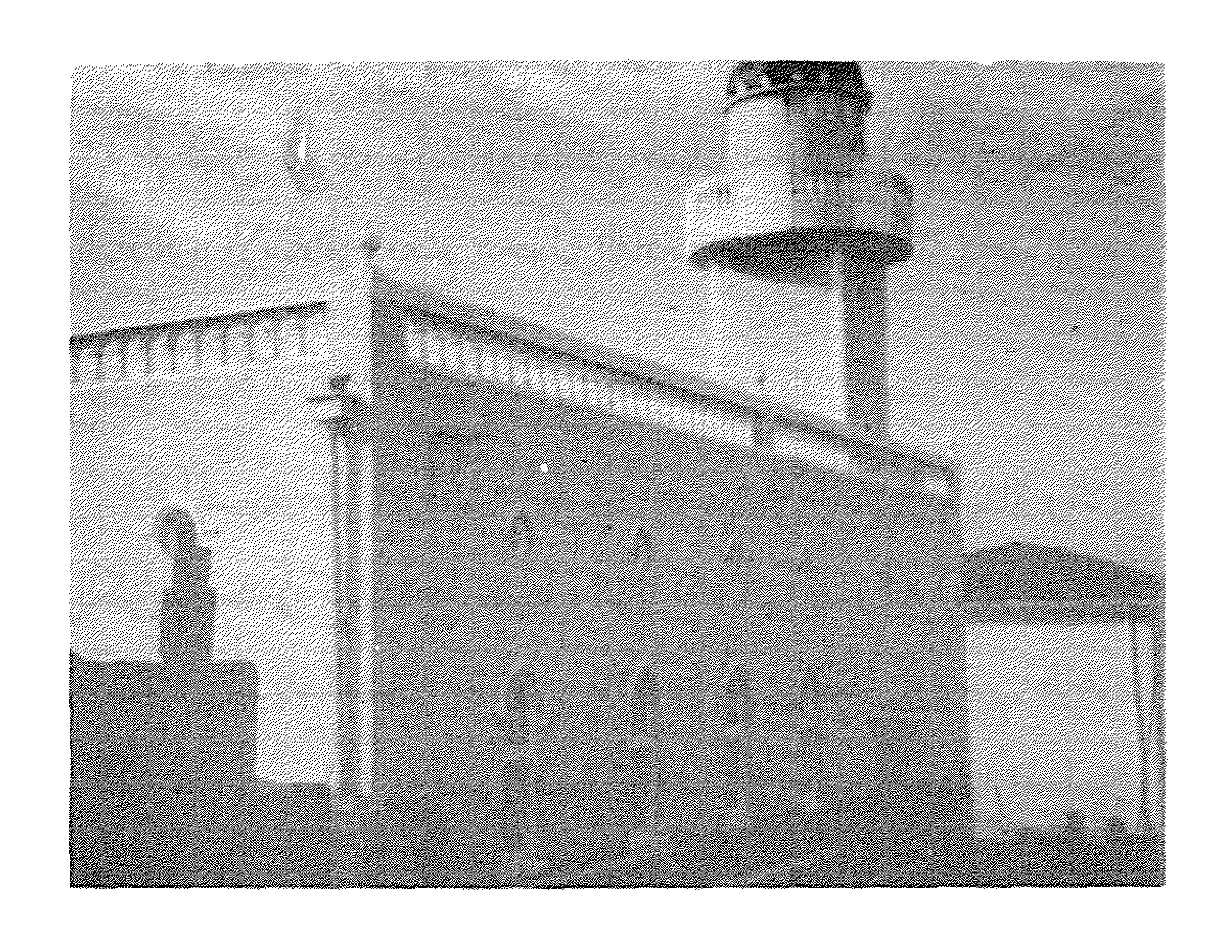
وكانت البداءة بأول مسجد الذى هو أقدم المساجد كلها فأخذنا صورة له وللنخلة العجيبة التى بجانبه :

ثم مسجد نور الإسلام وهو قديم جدد بناؤه في شعبان عام ١٣٣٢هـ .

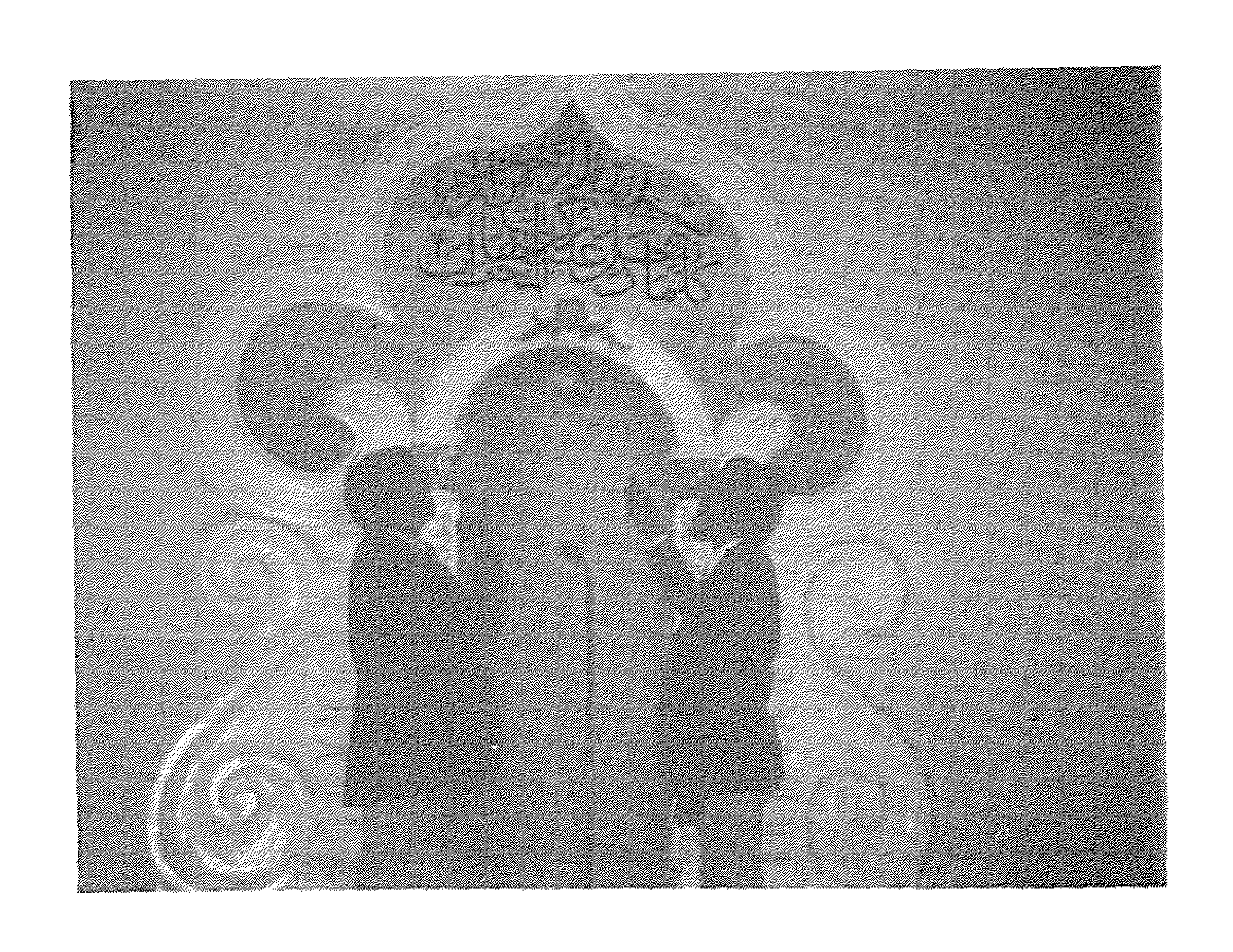
وقبلته الآن غير قبلته الأولى كما هي الحال بالنسبة إلى أكثر المساجد في (كيب تاون) كما تقدم .

ثم مسجد ليفن وسمي على اسم الشارع الذى يقع فيه وهو شارع ليفن . وقد رأينا في داخل هذا المسجد إعلانا من المجلس القضائى الإسلامي بمنع دخول القاديانيين إلى المسجد لانهم ليسوا من المسلمين .

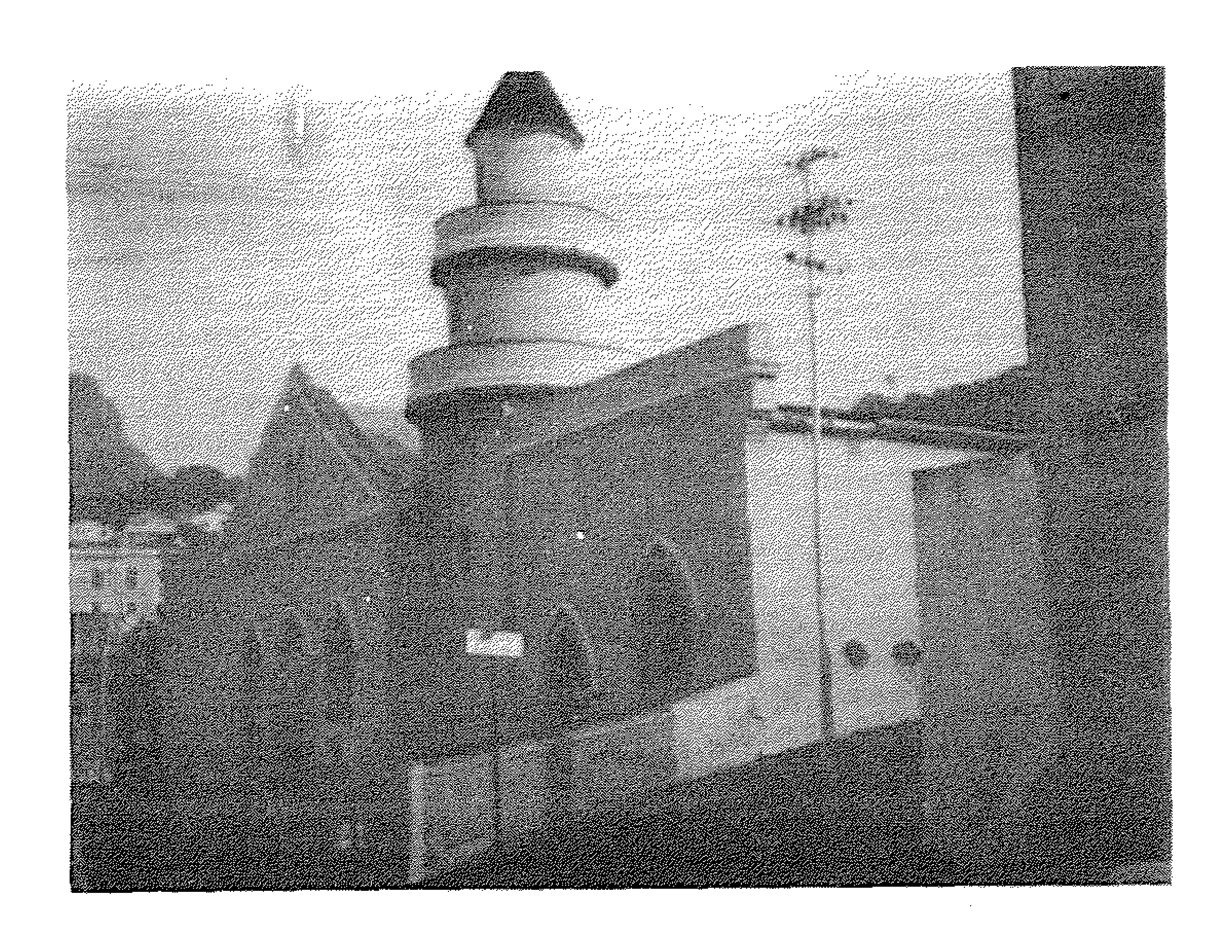
والمسجد ذو محراب ملايوي كتب على اعلاه البسملة والآية الكريمة : (كلما دخل عليها زكريا المحراب) وفيه أيضا ملابس معدة لمن يريد الصلاة وتكون ملابسه غير نظيفة أو غير طاهرة كما رسم في سقفه بالجبس صورة السفينتين اللتين حملتا المسلمين الأوائل من إندونيسيا إلى كيب تاون . وفيه تقويم سنوى يبين أوقات الصلوات والمناسبات الإسلامية وهو أمر مهم في هذه البلاد ذات الفصول الأربعة لأنها تقع بعيداً عن خط الإستواء إلى جهة الجنوب وهذا التقويم طبعته على نفقتها مؤسسة الأخ محمد صالح محمد الذي يرافقنا توزعه تبرعا .



منظر خارجي لمسجد ليفن في كيب تاون



المؤلف والأخ محمد صالح محمد يتأملان الكتابة في محراب مسجد ليفن



مسجد الشافعية في كيب تاون

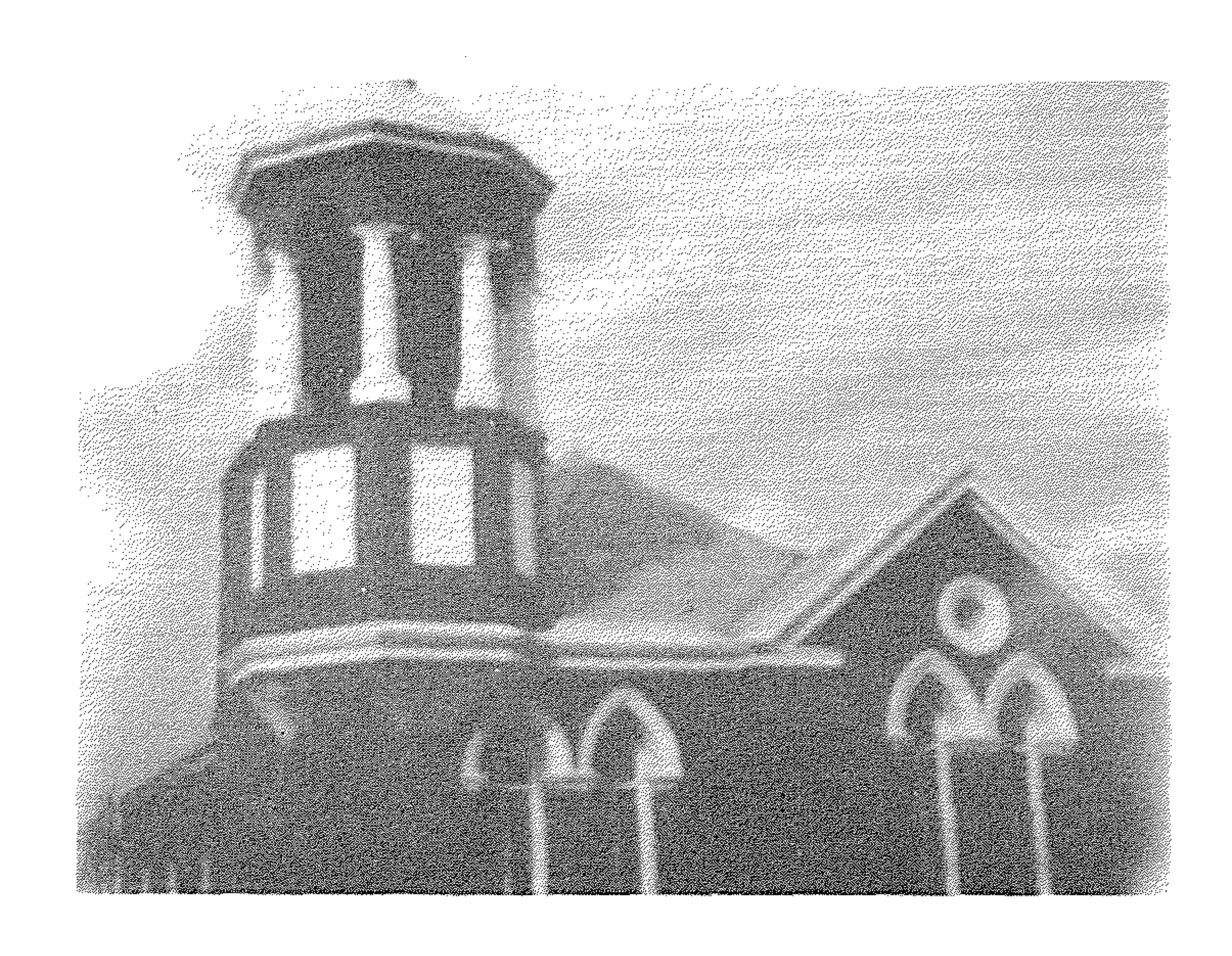
ثم مسجد الشافعية : بمنارته المستديرة .

ثم مسجد الجامعة : كتب عليه باللغة العربية تاريخ بنائه في عام ١٢٦٩هـ ١٨٥٠م وهو في حي بوكاب .

خير النساء ديفيد :

بينما كنا في حي بوكاب الإسلامي وإذا بفتاة بيضاء تمر بنا فاسترعى ذلك انتباهي لكوننا في حي الملونين فأردت التأكد مما إذا كانت مسلمة (ملونة) أم هي تعتبر بيضاء .فسألت الشيخ عمر الخبير عن ذلك فسارع بأن ناداها وحاولت منعه إلا أنه قال إنهم يعرفونني ومجرد الحديث مع النساء في هذه البلاد أمر معتاد ، فسألها عن اسمها فأجابت وهي تبتسم خجلة : (خير النساء ديفيد) فخير النساء هو اسمها و (ديفيد) هو اسم أسرتها وهي من أسرة مسلمة عريقة في الإسلام . وإن كان اسم الأسرة ديفيد فذلك من بقايا التسميات الهولندية القديمة .

وقال الشيخ عمر الخبير كما قال غيره من قبل : إن القوانين



مسجد لودر في بوكاب

تحكم على المرء قبل ولادته بأنه أبيض أو ملون أو أسود لأنها تحكم على والديه وعلى نسلهما من بعدهما بحسب اللون الذي أطلقته عليهم فمن كان أبواه معتبرين من الملونين فإنه يكون ملوناً بحكم القانون ولو كان أبيض بل حتى لو كان بياضه يفوق بعض البيض الذين قضوا في إفريقية سنواتٍ طويلة أثرت على ألوانهم لأنها أثرت على ألوان آبائهم من قبلهم ، وهذا من مهازل التفرقة العنصرية الهوجاء .

ثم مسجد (لودر) : سمي بهذا الإسم على اسم الشارع الذي يقع فيه .

وهو مسجد أصبح وحيداً إذْ رحل أهله المسلمون وبقي بين بيوت المسيحين وإن كان في منطقـــة قريبة من منطقة للملونين الذين فيهم بعض المسلمين لا يفصل بينها وبين منطقة البيض إلا شارع واحد .

مسجد النور المحمدي :

وكان يسمي في بعض الأحيان « مسجد الأحناف » ، لأن الذين كانوا قاموا على بنائه هم من أهل الهند الذين مذهبهم حنفي بخلاف الأهالي من الملونين فهم شافعيوا المذهب لأن أصل مجيئهم من إندونيسيا التي يتبع أهلها المذهب الشافعي .

ويقع هذا المسجد في الوقت الحاضر في سو ق البيع والشراء للبيض ولا يجوز لغيرهم أن يسكن في هذه المنطقة ؛ ويصلي فيه طائفة من المسلمين الذين يشتغلون في المحلات التجارية في السوق .

وهو نظيف من انفراداته أنني رأيت عندما دخلت إلى أماكن الوضوء فيه لافتة كتب عليها : السكوت (سايلنس) بالإنكليزية . وهي كلمة لها أهميتها بالنسبة إلى مساجد الهنود إذ بعضهم يبالغون في المضمضة بصوت مرتفع إلى حد تتقزز منه نفس الذي لم يعتده .



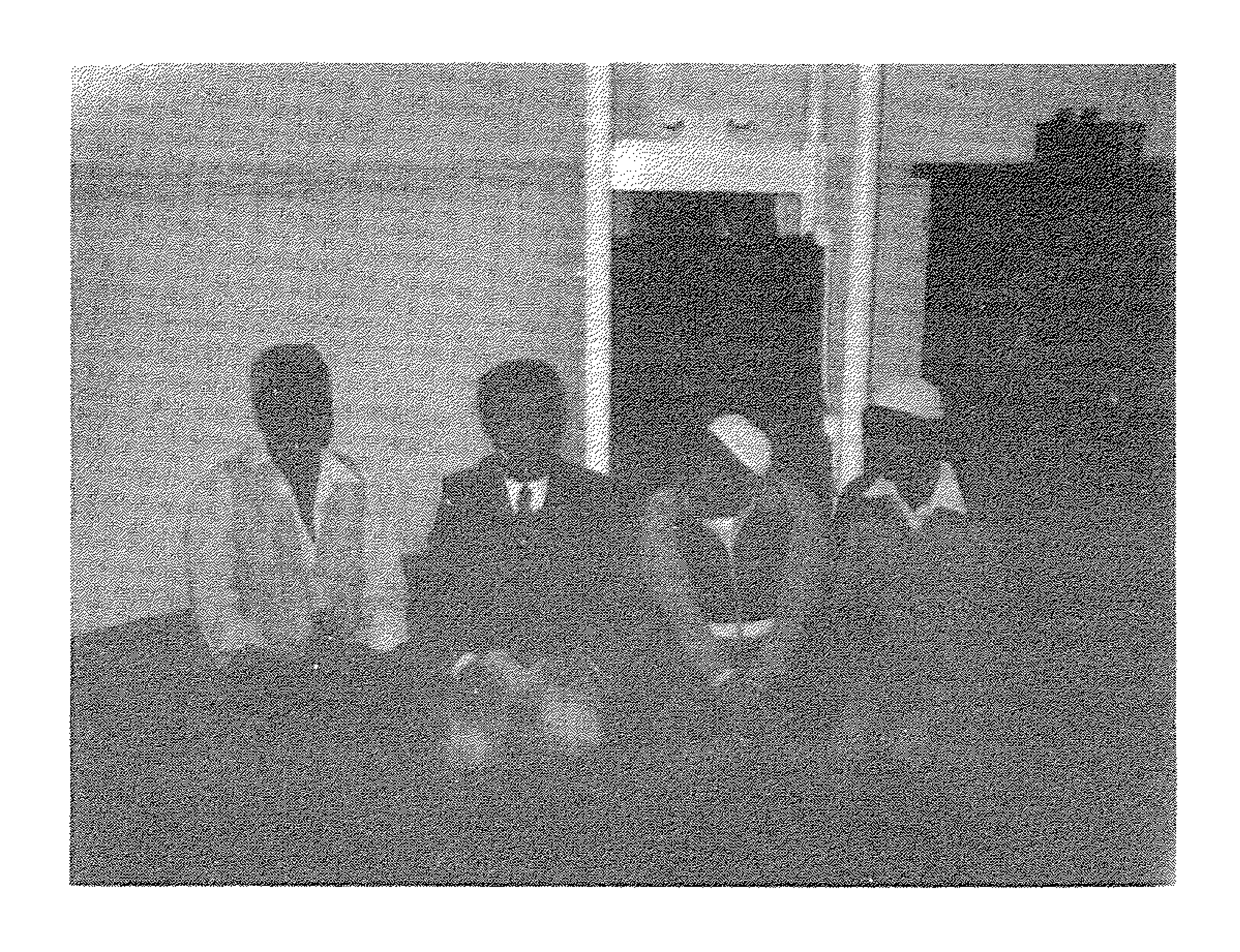
مئذنة مسجد النور المحمدى



جزء من واجهة مسجد النور المحمدى



أمام باب مسجد النور المحمدي في الحي التجاري في كيب تاون مع
الأخ الافريقي المهتدي (أسلم بن جيم)



داخل مسجد النور المحمدي في الحي الأوروبي من كيب تاون (من اليسار)
الأخ المسلم الجديد أسلم بن جيم بجانبه المؤلف فالشيخ عمر خبير
فالأخ أحمد جوهان

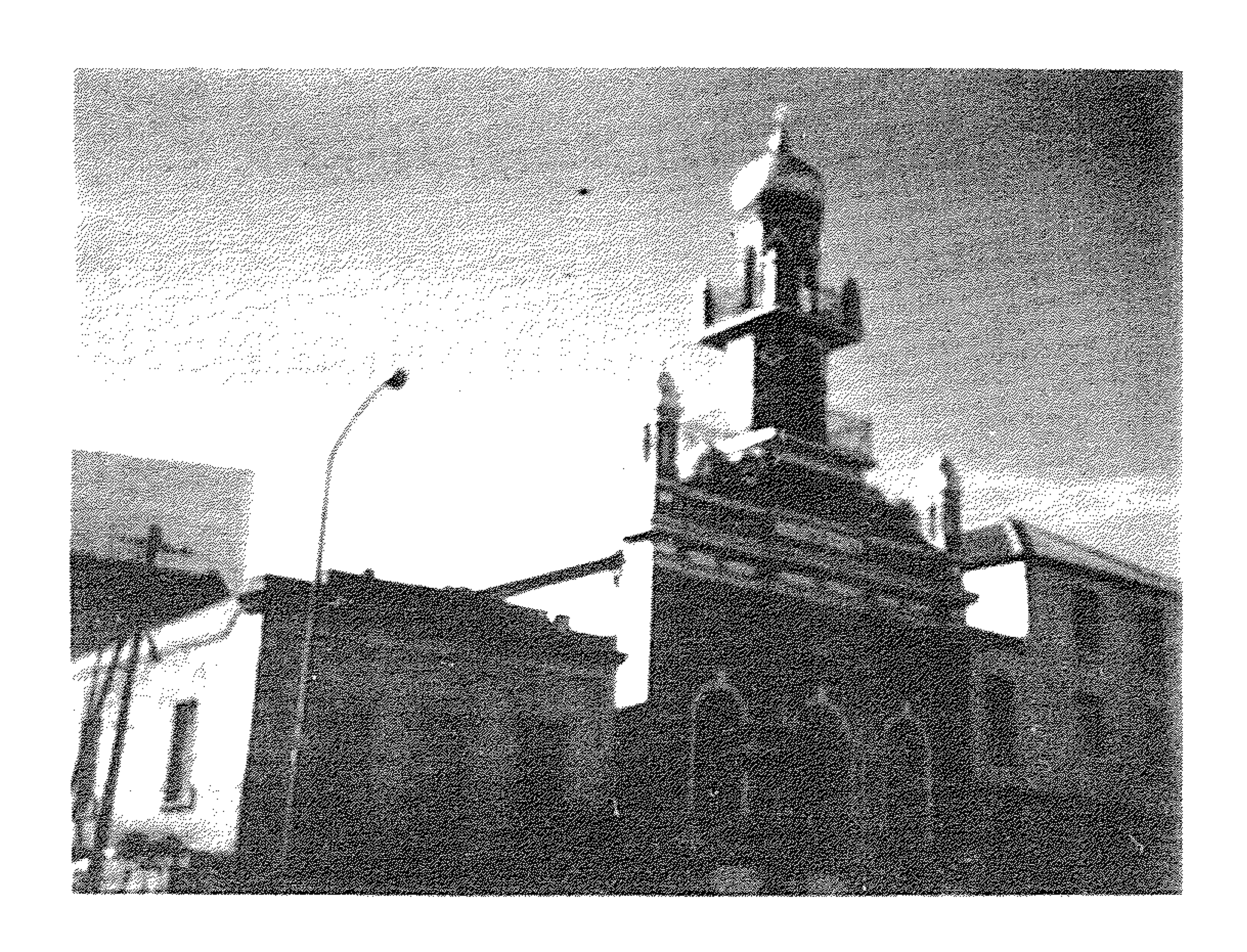
أسلم بن جيم :

في هذا المسجد وأثناء تأدية صلاة الظهر اجتمعنا بأخ إفريقي مسلم بل إن أسرته هي الأسرة المسلمة الوحيدة في فصيل كبير من قبيلته : (كوزا) فى (ترانسكاي) وقد أصبح لها دولة داخل جنوب إفريقية إلا أنه لم يعترف بها أحد غير حكومة العنصريين في جنوب إفريقية وقال : إن اسمه (أسلم بن جيم) وأنه جاء إلى مدينة كيب تاون رجاء أن يحصل على المزيد من المعرفة بالدين الإسلامي ، وقد سمى زوجته (آمنة) وابنه (رشد) .

وقد نفحناه شيئاً قليلا من المال ولكن لم يظهر أنه حفل بذلك وإنما قال باهتمام : ادعوا الله أن يجعلني مسلما قويا في ديني .

مسجد النخلة :

الذي تقدم الكلام عليه .



مسجد قوة الاسلام في كيب تاون

مسجد قوة الإسلام :

بنته الجالية البنغالية أي المسلمون الذين كانوا قدموا في الأصل من بلاد البنغال في الهند في عام ١٣١٠ هـ.

قدوة السالكين :

وكان الصعود إلى جبل (سيجنال هل) الذي سبق الكلام عليه عند صعوده ليلا .

والسبب في تكرار الصعود إليه أن يرينا إخواننا ماالحقوه بالمساجد وهو ليس منها . وقد أوضحت لهم ذلك فاقتنعوا بالإيضاح إلا أن هناك شيئاً آخر وهو رؤية رأس الجبل نهاراً ورؤية مدينة كيب تاون منه نهاراً كما سبقت رؤيتها ليلا .

فكان أول ما ألفت النظر في الطريق إلى قمة الجبل مع طريق إسفلتي جيد غابة من غابات أشجار الصنوبر تذكرك ببعض

الأماكن في جبل لبنان ، واستمرار الطريق دون أن يكون ذا حافات واقفة خطرة .

ثم وصلنا إلى (قدوة السالكين) كما يقولون وهو ضريح لأحد المشايخ الذين يعتقد بهم بعض الناس في هذه البلاد الولاية – بفتح الواو – وقد بنوا عليه حجرة ضمت القبر في مكان بارز من هذا الجبل المرتفع يراه الذاهبون والآيبون المتنزهون في هذا الجبل وبخاصة في أيام الاجازات الأسبوعية مثل يومنا هذا الذي هو يوم السبت .

لقد إطلعت على هذا المكان وأخبرت الأخوة الذين معي بأنه لايجوز البناء على القبور ولا أن يقصد المدفونون فيها بالدعاء عندها والتقرب بالصلاة حولها وأن هذا من مظاهر الوثنية بل هو نكوص عن الإسلام الصحيح النقي الذي يحمي حمى التوحيد ، ويسد الذرائع الموصلة إلى الشرك ، وعود إلى حال الجاهلية الوثنية فوافقوا على ذلك وبخاصة الأخ محمد صالح محمد وقال : إن كلامك صحيح ولكن الذين يقصدونه هم الجهال ، ومن لا بصيرة لديهم بالدين .

لقد كتبت لوحة في داخل الغرفة أو الضريح تبين حال الشيخ المدفون فيه ونصها باللغة العربية : (قدوة السالكين محمد حسن غيبي قادري) .

وواضح منها أنه أحد المتصوفيين المنتمين إلى الطريقة القادرية .

وقد لاحظت أن الغرفة مفتوحة ولم نر فيها حارسا رغم أن في داخلها محتويات ذات أهمية من الفرش والقناديل ، وسألت إخواني : ألا يخشى القائمون عليه من سرقة ما فيه ؟ فأجابوا : لا ، إن الناس هنا من جميع المذاهب يحترمون مايعتقدون أنه من دور العبادة عند المسلمين ، ولذلك تجد المساجد مفتوحة مع أن فيها أثاثا وفراشاً ذا قيمة ولكنه لا يمس بسوء .

ومن هذا المكان يرى المرء قلب مدينة كيب تاون والميناء وجزيرة غير بعيدة من الشاطيء تستعمل الآن بمثابة السجن للمعتقلين السياسيين واسمها (روبن أيلاند) ويقول إخواننا إن أحد المسلمين المعتقلين فيها واسمه (قاسم إيزاك) أي اسحاق قالوا إنه حفظ القرآن الكريم أثناء سجنه في هذه الجزيرة ثم

درس حتى حصل على درجة الدكتوراه وهو معتقل فيها . وكان قبل ذلك يعمل مدرسا في إحدى المدارس الثانوية .

وكان في تلك الجزيرة في وقت من الأوقات أحد المشايخ من علماء المسلمين إتخذها مقراً له فكان طلبة العلم والذين يريدون التفرغ للعبادة يذهبون إليه فيها ويعيشون فيها .

وعند ما توفي ذلك الشيخ دفن هناك ولايزال قبره معروفا بل مشهوراً فيها حتى الآن .

الطيران الهوائى :

يراد به أن يطير المرء بدون أي مساعدة آلية ، وإنما يعتمد على التيارات الهوائية التى تحمل جناحين صناعيين له ، وهي رياضة حديثة ولكنها أصبحت ذات جمهور كبير في عدد من بلاد العالم التى فيها جبال واقفة .

وكنت قد رأيت بعضها في التلفاز إلا أنه أتيح لي أن أراها حقيقة في هذا اليوم إذ سرنا من بعد الوقوف عند ذلك المشهد

صاعدين مع قمة الجبل إلى أن رأينا جمهوراً من الناس أغلبهم من البيض واقفين على شفير جانب من الجبل واقف وقوفاً يكاد يكون حاداً ولذلك وضعت الحكومة عليه حاجزاً من الأسلاك القصيرة ورأينا رجلاً معه جناحان كبيران ملونان كون جناحي الفراشة ولا أدري من أية مادة صنعا وهو يهم بالقفز من هذا الإرتفاع الشاهق الذي تبدو منه بعض المباني والعمارات في تلك الجهة وكأنها الغرف من فرط الإرتفاع وهو إلى ذلك بجانب شاطىء البحر لأن أغلب مدينة كيب تاون كما قلت تنحصر مابين الجبل والبحر .

وكنا نرى على البعد مهبطاً صغيراً لهذا الغرض فيه زميل له كان قد قفز قبل وصولنا .

وعند ما أحكم الرجل شد نفسه تحت هذين الجناحين وسط إعجاب الحاضرين ودهشتهم قفز من رأس الجبل الذى كنا واقفين فيه وطار بجناحيه الصناعيين كما يطير النسر بجناحيه الطبيعيين إذا حام وهمّ بأن يقع على الأرض دون أن يفعل ذلك مباشرة .

وكان منظراً عجيباً مدهشاً إذْ استمر في طيرانه قاصدا شاطيء البحر فوق العمارات فلما وصل إلى البحر انحرف عائداً إلى المهبط المخصص له فحام فوقه قبل أن يقع فيه وبعد الإطلاع على هذا المشهد الطريف واصلنا السير إلى قمة الجبل التى هي غير بعيدة منه فوجدنا في نهايتها مائدة حجرية حولها مقاعد حجرية مطلية باللون الأخضر بعدها مقاعد حجرية خضراء وأوعية كبيرة (براميل) مطلية باللون الأخضر أيضا .

وقد فعلوا ذلك حتى يتناسب لونها مع لون أرض الجبل التى تبدو خضراء من الأعشاب والأشجار وإن تكن خضرتها غير كثيفة .

وكان المنظر جميلا من قمة هذا الجبل وكان الجو شامساً دفيئاً يذكرنى بجو أواخر الشتاء في بلادنا ويزيد في الشبه والتذكير منظر أعشاب برية ذات زهور بيضاء وصفراء كالتى تكون في صحرائنا في أول أيام الربيع .

وقد أخبرنا إخواننا أن الزهور تكثر في منطقة كيب تاون

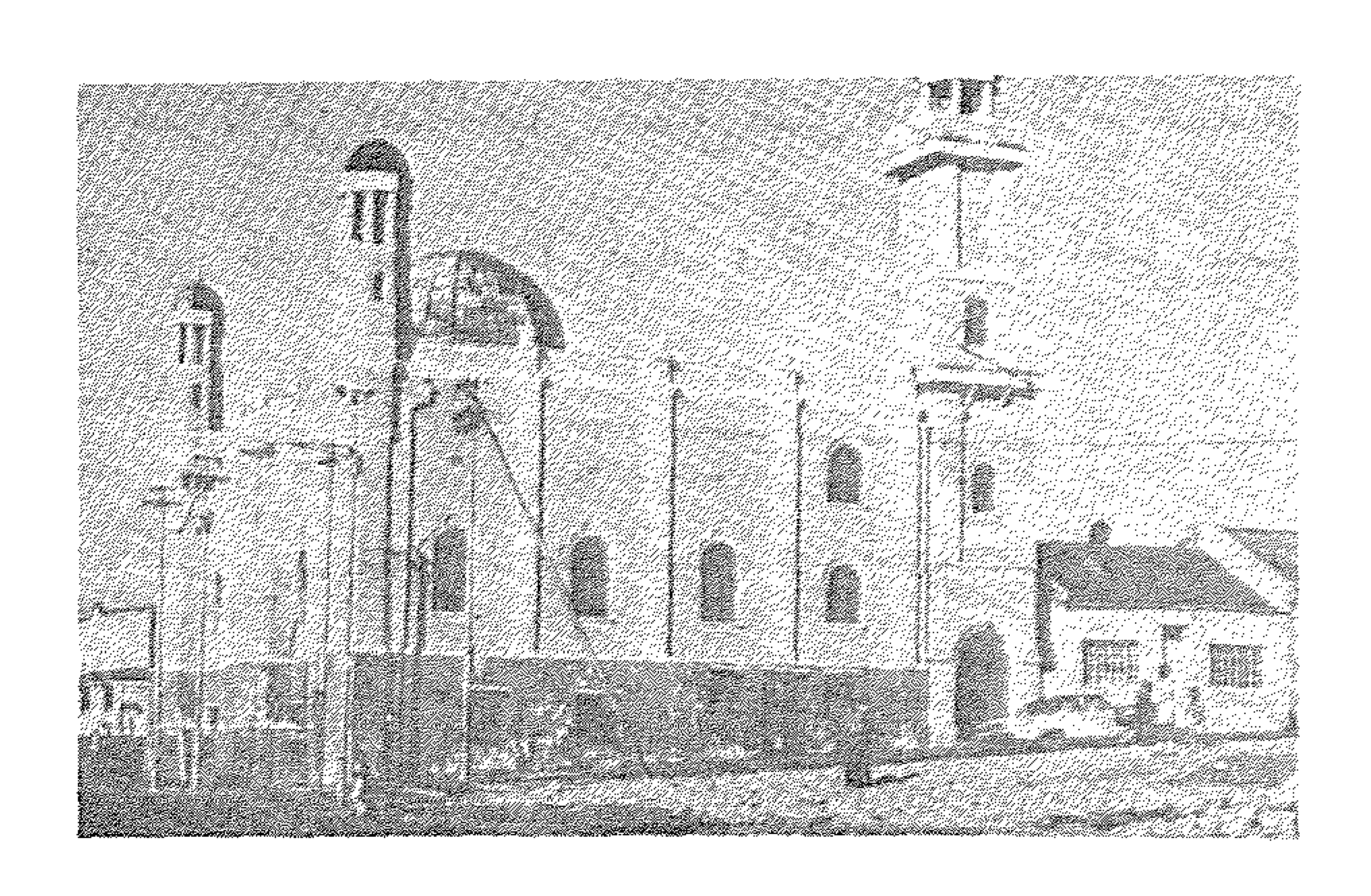
خلال فصل الصيف أكثر منها في فصل الشتاء مع أنها موجودة وكثيرة في فصل الشتاء .

عود إلى المساجد :

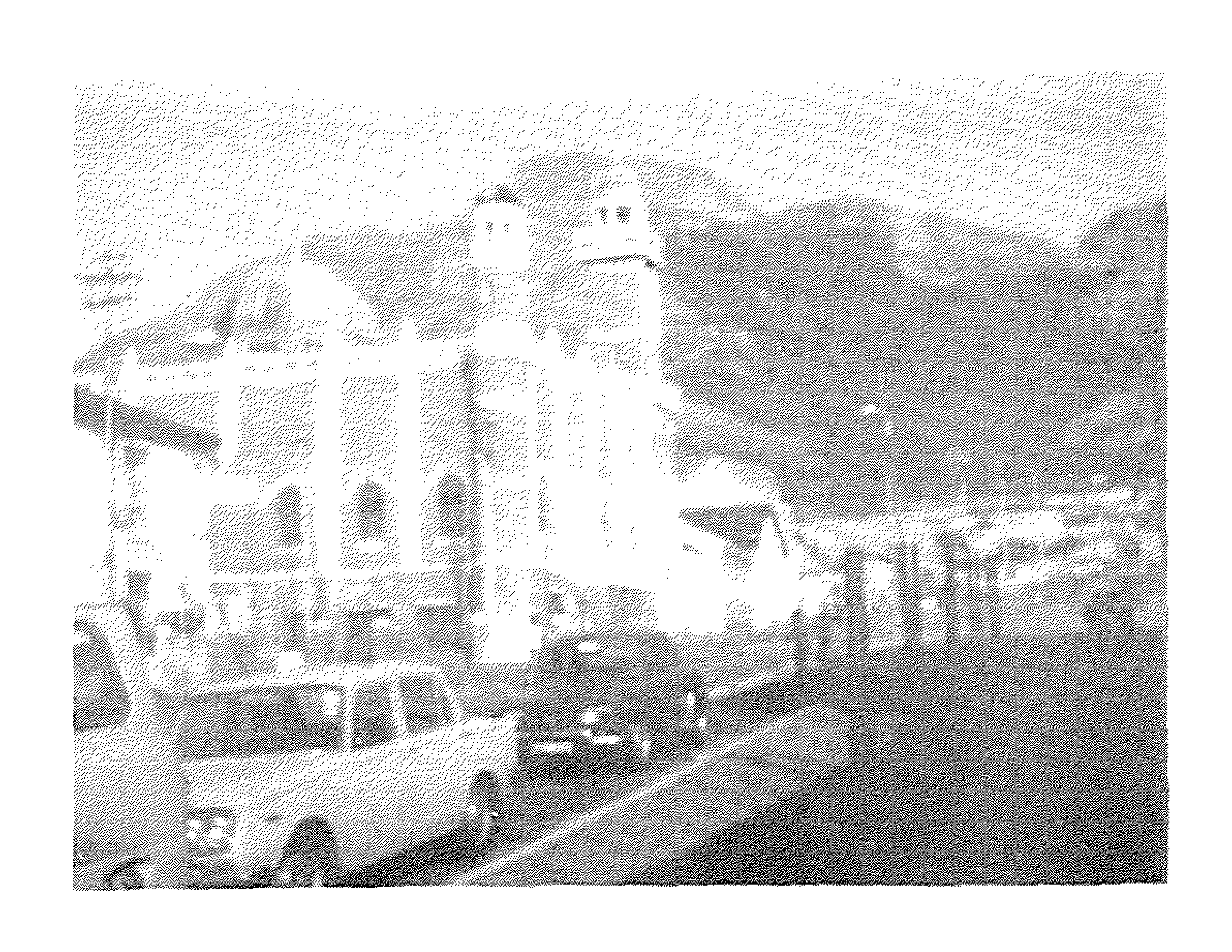
انحدرنا من هذا الجبل الجميل الذى قال فيه الأخ محمد صالح محمد إنني قد رأيت جبل لبنان وأظن أن هذا الجبل يشبهه ؟ فقلت له : هذا صحيح .

وكان أول المساجد بعد العودة من الجبل هو (مسجد زينة الإسلام) ويقع في حي يسمي (المنطقة السادسة) أو (ديسركت سكس) بالإنكليزية ، وهو حي أخرج منه الملونون وهدمت بعض بيوته ، وبعضها رأيناه يهدم لأنها قديمة فيما تقول البلدية ولكن الصحيح أنها يراد أن تخلو من الملونين .

وقد التقطنا له صورة ظهر فيها جزء من الجبل المحيط بمدينة (كيب تاون)



مسجد زينة الاسلام



منظر آخر لمسجد زينة الاسلام في المنطقة السادسة في كيب تاون

ثم مسجد الأزهر :

ثم مسجد الأمير :

وهو بناء وحيد لم يبق من الحي الذي يقع فيه غيره إذ هدمت البيوت القديمة المحيطة به .

ومن الأشياء الملفتة للنظر أن لوحة الإعلانات كتب عليها أن صهر الإمام قد توفي وسيصلى عليه بعد الظهر .

والمسجد نظيف جدا .

مسجد الزاوية :

وليس هذا مسجداً كاملا فهو لا منارة له وإنما كان زاوية يتعبد فيها أحد المتصوفين فلما مات اتخذ مصلى فيه وإتخذ مقرا للمجلس القضائي ولمكتبة ومدرسة لتعليم الأطفال وقد كتب عليه أن تاريخ إنشائه كان عام ١٩٢٠ م .



منارة مسجد الأزهر في (كيب تاون)



مسجد الأمير



المحراب في مسجد الأمير



جامع الأمير (من الخارج)

مسجد السليمانية :

ويقع في حي للملونين اسمه : (وودصك) وفي هذا الحي تكرر منظر رأيته في حي (بوكاب) فقد رأيت بنية صغيرة عمرها احدى عشرة سنة ذات شعر أشقر ووجه أبيض ، وسألت عن اسمها فقالت : إنه (فوزية ناصر) وأن بيتها في هذا الحي .

مسجد نور الإسلام :

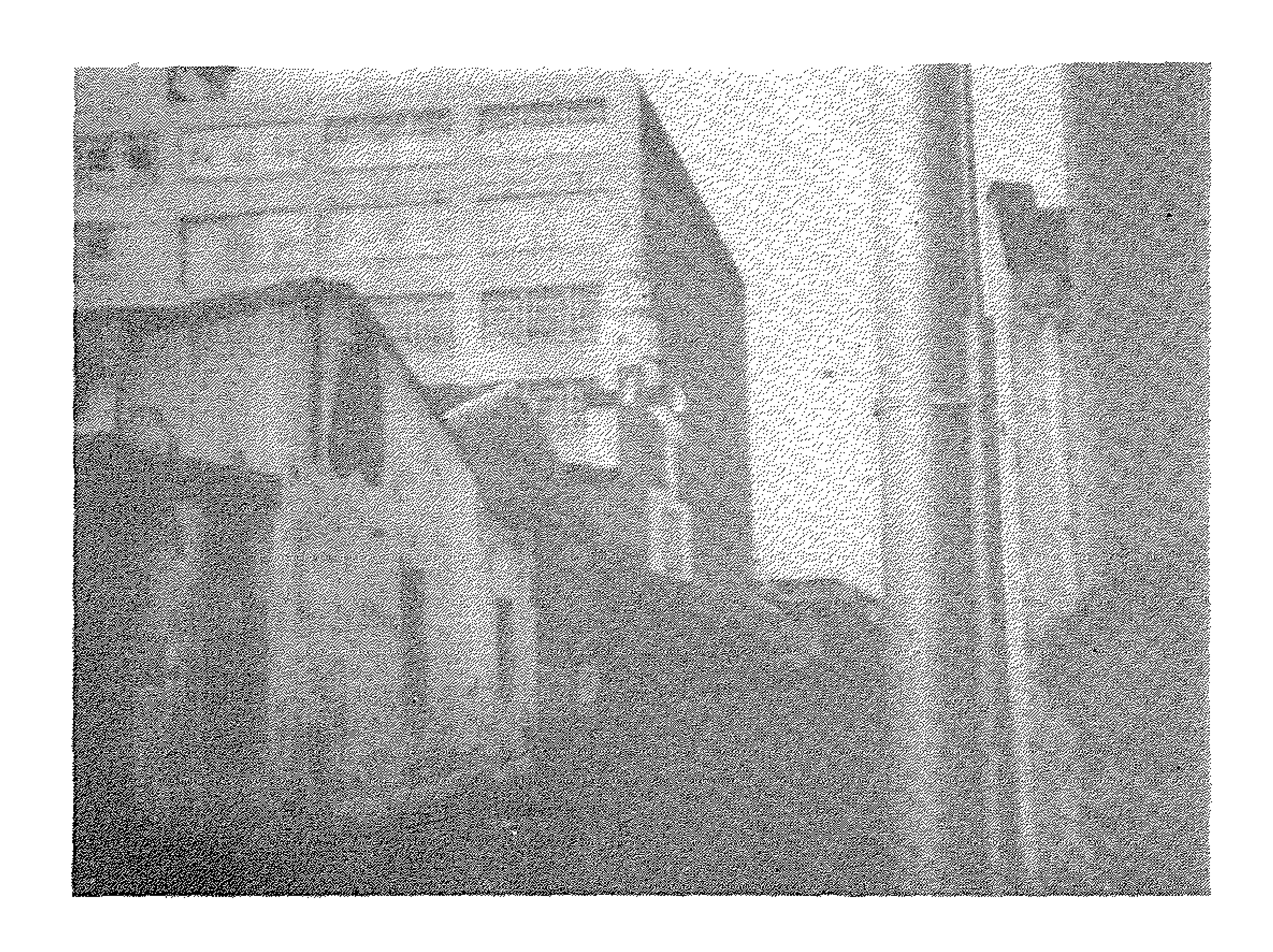
أسس في عام ١٣٣١هـ .

مسجد شارع تيناسان :

ويقع في حي يسمى (سولت ريفر) التى معناها النهر الملح .



مسجد السليمانية في (وود ستوك)



زقاق في الحي الذي يقع فيه مسجد السليمانية



مسجد نور الاسلام في حي (سولت ريفر) في كيب تاون



مسجد تيناسان في حي (سولت ريفر) في كيب تاون

مسجد موبري :

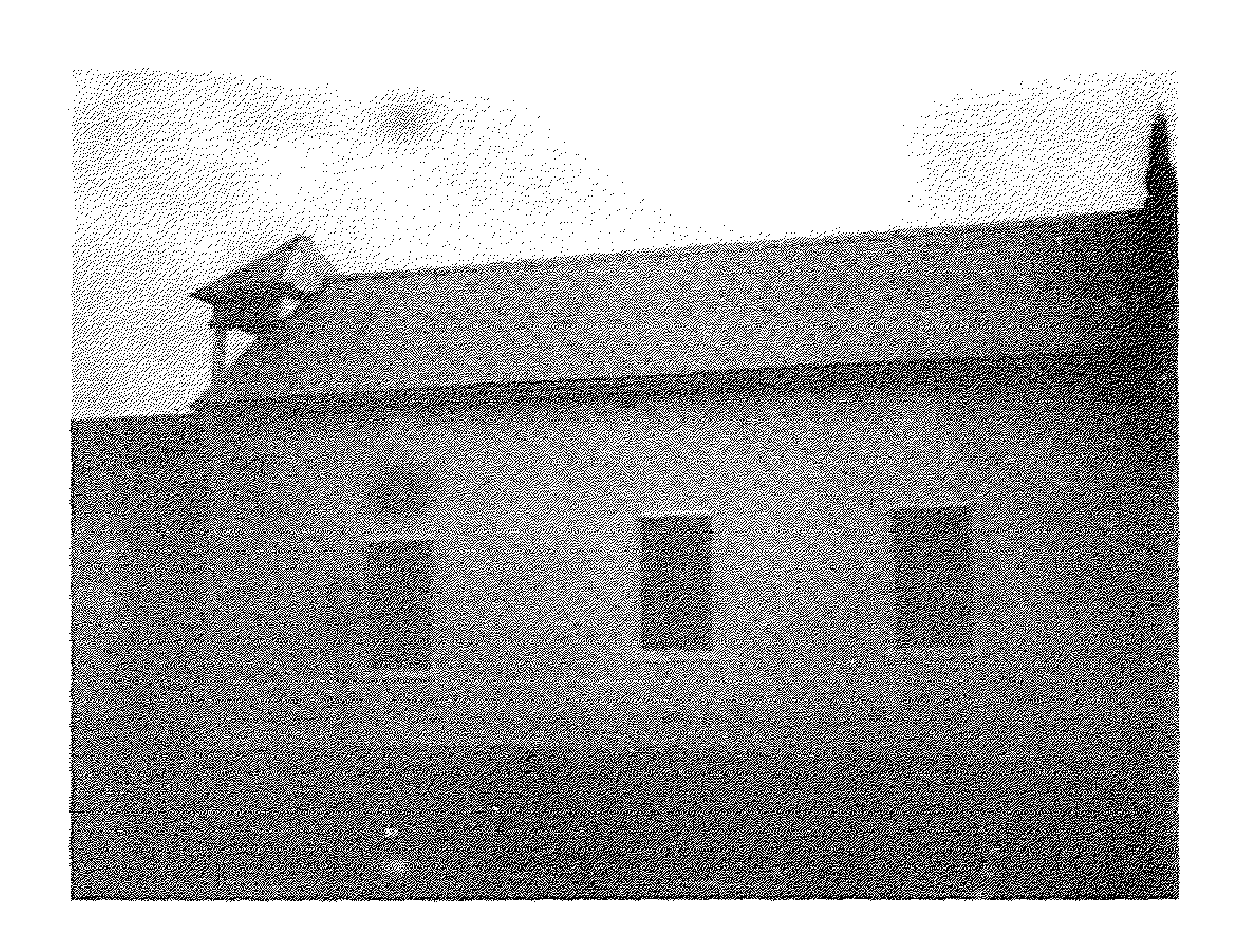
وهو حي كان يسكنه الملونون ولكنهم أخرجوا منه وبقي المسجد لا يصلي فيه الا العمال الذين يعملون في محلات البيض القريبة منه .

مسجد السلام :

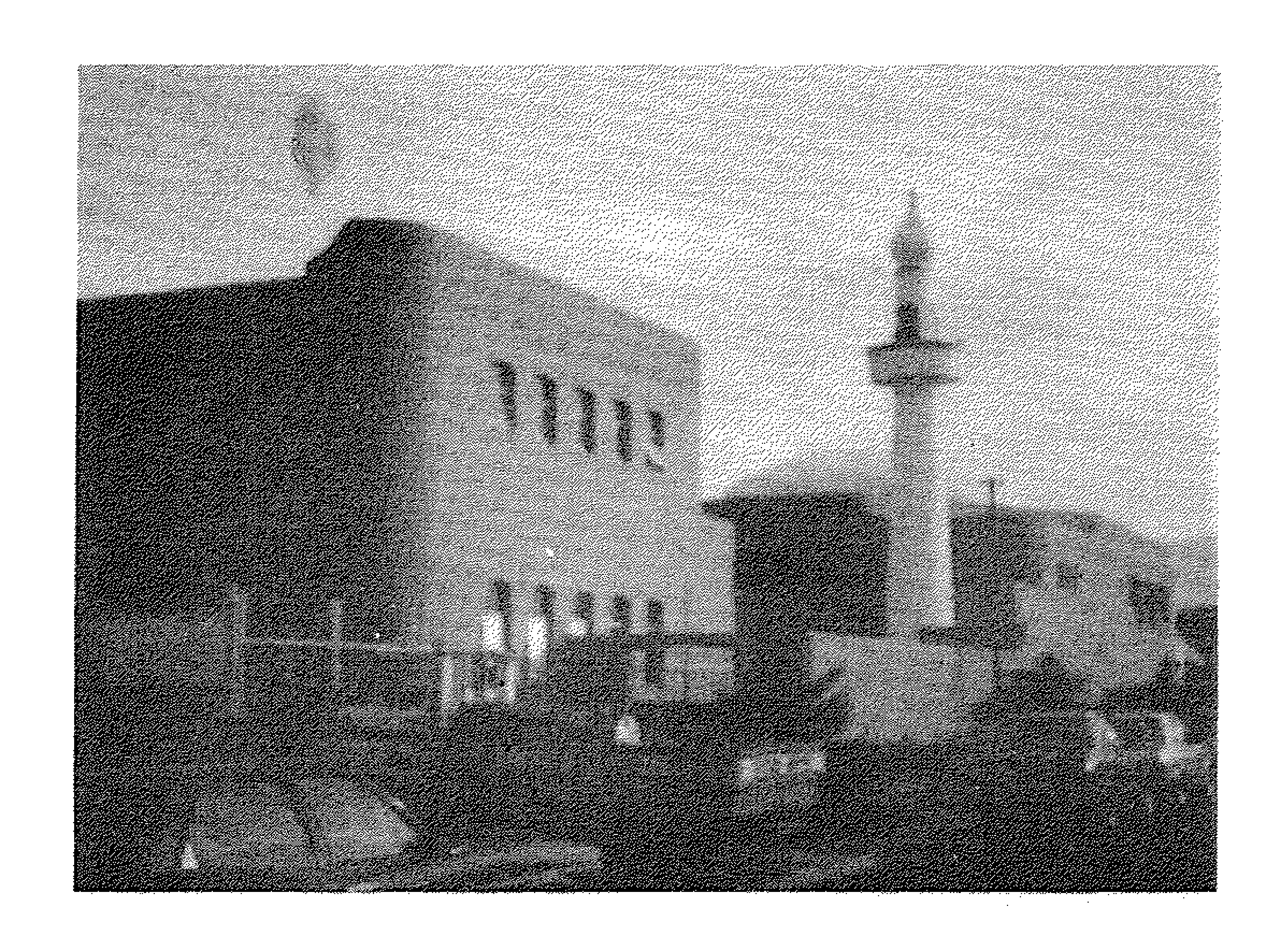
ويقع في حي للملونين يسمي (جليمور) وهو واسع المساحة نظيف الأثاث والرياش وهو قديم الا أن عمارته قد جددت .

ثم كانت الإستراحة والغداء في بيت الوجيه الثرى الأخ (محمد صالح محمد) .

وكانت بعد ذلك عودة إلى المساجد . ومنها :



مسجد موبري



مسجد السلام في حي جليمور في كيب تاون

جامع الحبيبية :

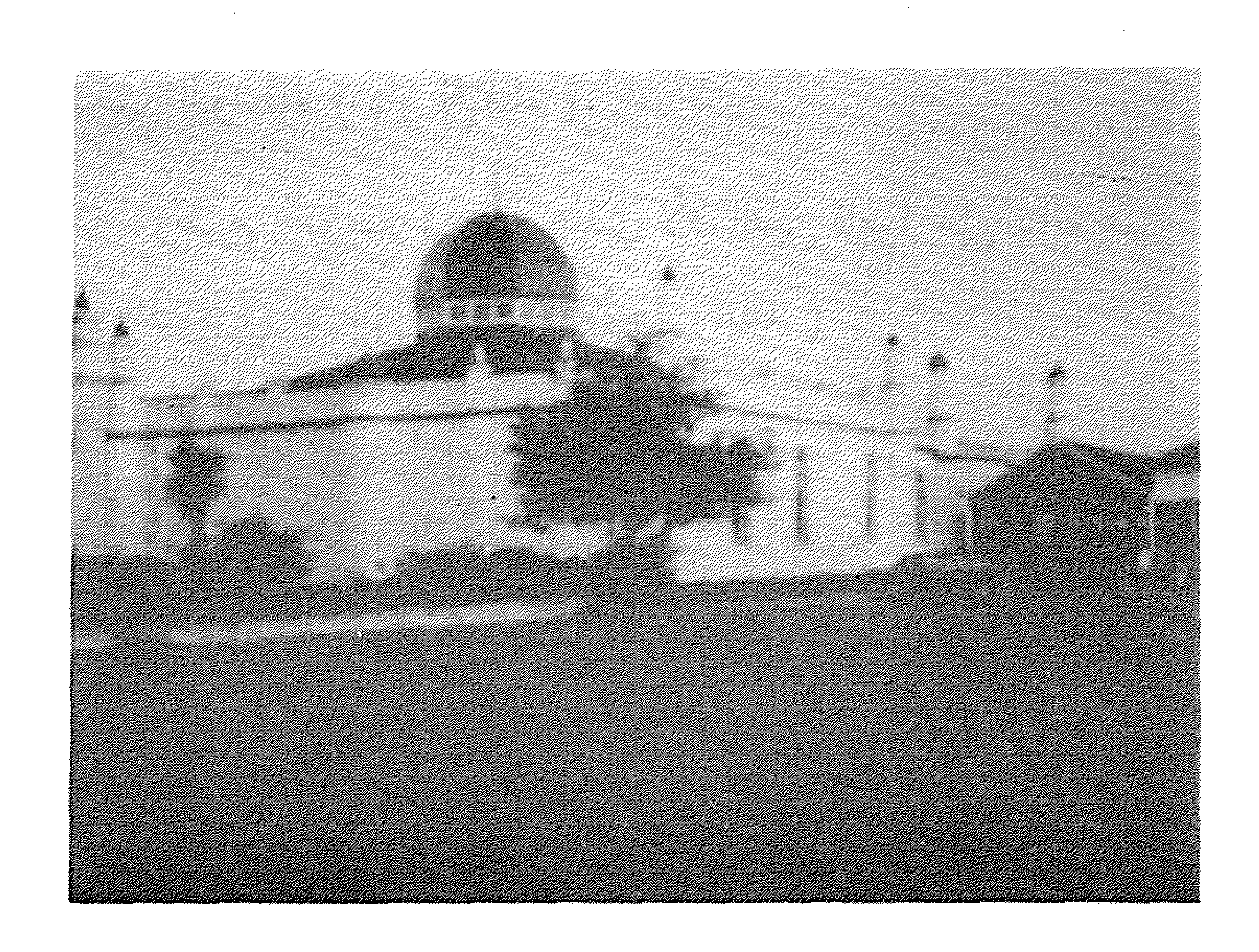
وهو منسوب إلى الذي قام على بنائه منذ ٧٥ سنة واسمه (حبيب سوفيساب) من أصل هندي يلحق به مدرسة إسلامية تسمي اليوسفية (دار للإفتاء) .

وطبيعي أنه يقع في حي هندي لأن الذين قاموا على بنائه هم من الهنود في الأصل . ويسمي (حي رايلند) .

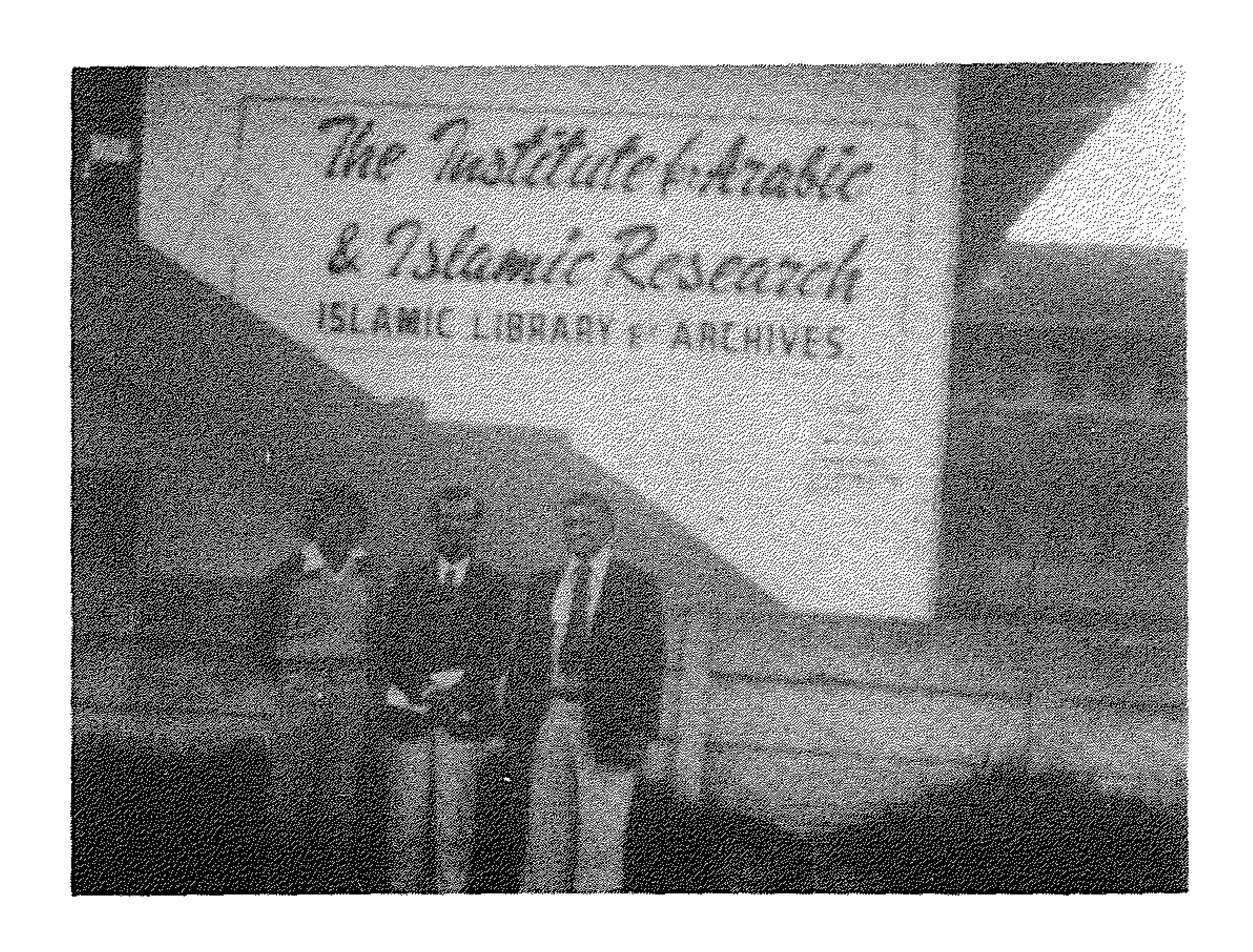
ثم تفقدنا مركزاً اسلاميا تقوم عليه جمعية من أنشط العاملين فيها الأخ (محمد صالح محمد) يشتمل على مكتبة إسلامية جيدة معظم الكتب التى فيها بالإنكليزية وفيها مركز لتوزيع المصاحف والمنشورات الإسلامية . واصدار التقاويم الإسلامية وأوقات الصلاة على مدار السنة وكذلك أوقات الصيام .

وفي هذه المكتبة قسم للكتب العربية فيه كتب عربية منها بعض المخطوطات من عهد متأخر .

وبجانبه مدرسة إبتدائية ومركز إسلامي خاص بالنساء كتب عليه أنه (رابطة النساء المسلمات) ولم ندخله .



منظر آخر لمسجد الحبيبية



أمام مكتبة المركز الاسلامي في كيب تاون (من اليمين)
محمد صالح محمد فالمؤلف فأحمد جوهان



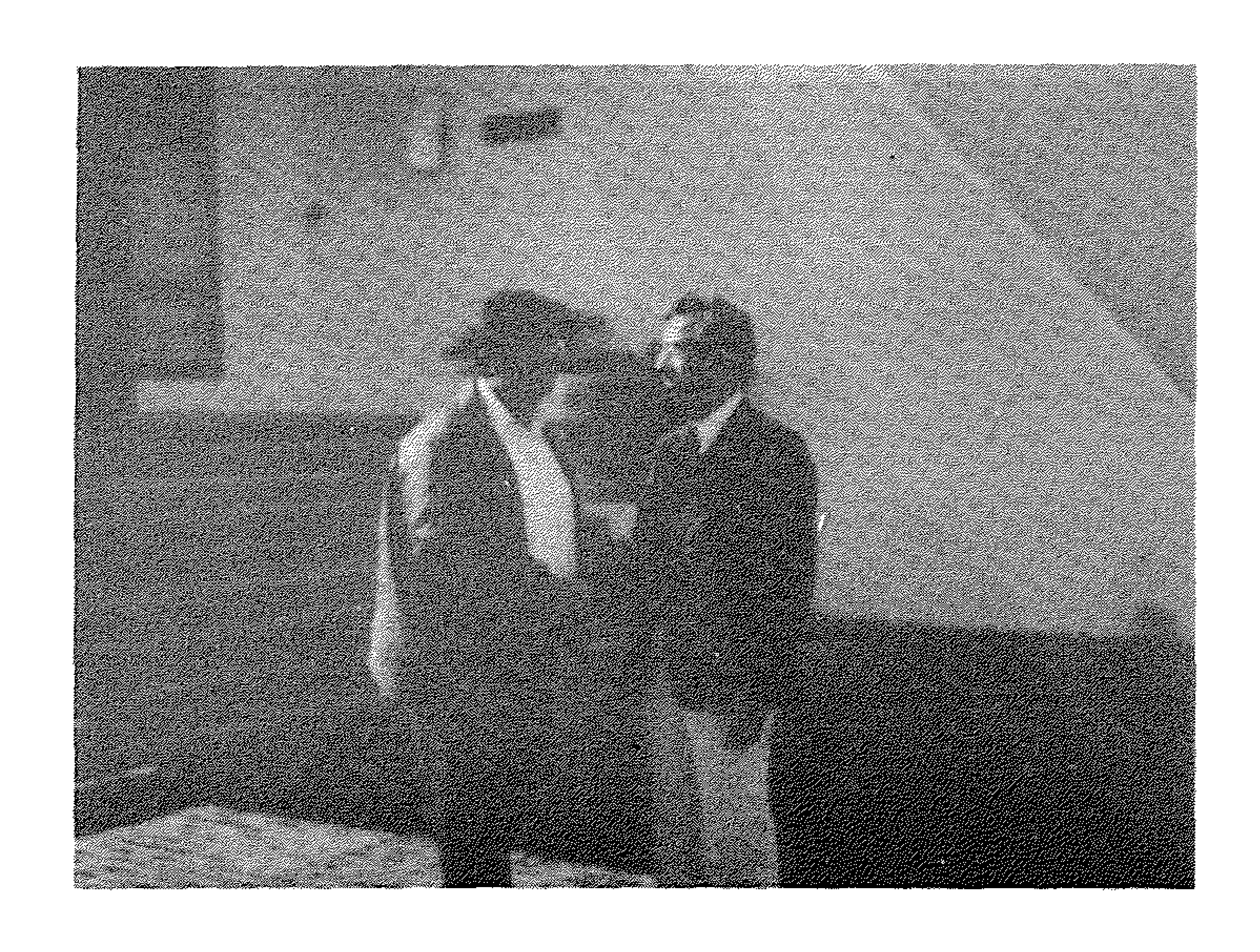
الأستاذ أحمد ديفيد يطلع المؤلف على بعض الأوراق

يوم الأحد ٢٣ ـ ٨ ـ ١٤٠٠ هـ

الموافق ٥ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ م

مع الأستاذ أحمد ديفيد :

وهو باحث مسلم بل من أسرة عريقة في الإسلام رغم أن اسم عائلته (ديفيد) ولما سألناه عن ذلك عندما وصلنا إلى بيته أجاب : بان اسم ديفيد هو اسم السيد الذي كان يملك أجداده إذْ كان الهولنديون ينسبون الرجل من العبيد في ذلك الوقت إلى اسم سيده . وقال : إن وجود اسم نصراني في بعض الأسر الإسلامية يرجع إلى هذا السبب ، وإلى سبب آخر وهو أن الهولنديين عند ما كانوا يأخذون بعض الأشخاص من المسلمين يستعبدونهم ويبيعونهم بهذه الصفة كانوا إذا قربوا من كيب تاون وهم في البحر يسألونهم عن أسمائهم فمن كان منهم اسمه طويلا أو صعباً في النطق عليهم أطلقوا عليه اسما نصرانيا مألوفا لديهم .



المؤلف (إلى اليمين يتحدث إلى المؤرخ (أحمد ديفيد)

وقيدوا اسمه على هذا الأساس وبقيت هذه الأسماء في تلك الأسرة أو في بعضها إلى اليوم ومنهم أسر علمية مثل أسرة (جان) أو (يان) من علماء الدين وأسرة فرانس أو (أفران) . والا فإنه من أسرة إسلامية عريقة ويحفظ من نسبه مايلي :

هو أحمد بن معاوية بن عبد الملك بن معاوية بن صالح آل ديفيد وصالح هذا ولد في مدينة الرأس (كيب تاون) وأصله من سامارنج في إندونيسيا . وقال : إن المتاجرة بالعبيد هنا استمرت إلى عام ١٧٩٨ م وقال إن بعض المسلمين أيضا كانوا يملكون عبيداً في وقت الرق فمنبر مسجد النخلة معروف أنه بناه العبيد من جزيرة (سلبيس) في اندونيسيا .

والأستاذ أحمد المذكور باحث متفرغ فيما يتعلق بشئون المسلمين في هذه البلاد لذلك كانت زيارته والإجتماع به ضرورية لي قبل مبارحة كيب تاون في آخر هذا اليوم ، وقد ذكر أنه قد فرغ من إعداد كتاب صغير في هذا الموضوع .

حتى البيت الذي نجتمع معه فيه الآن هو بيت أثري واقع في حي « بوكاب الإسلامي » بني منذ مايقرب من مائة سنة .

جولة في صحبة الأستاذ أحمد ديفيد :

لم نكتف بالحديث مع الأستاذ أحمد ديفيد ، وإنما أخذناه معنا في جولة على بعض أنحاء مدينة الرأس ليست هي المقصودة بالذات وانما المقصود الأعظم هو أن يصحبنا إلى زيارة قرية إسلامية لها تاريخ يستحق التدوين من تاريخ المسلمين في هذه البلاد كما سيأتي .

ومررنا فيما مررنا به من أنحاء المدينة على بناء مشرف نوعا ما مستطيل قال لنا الأستاذ أحمد ديفيد إن الوثائق المتوفرة في المتحف تدل على أنه هو أول بناء لبيع العبيد ، كانوا يباعون فيه كما تباع الأنعام .

ومعروف أن الهولنديين لهم سجل بشع حافل بقصص استعباد الإفريقيين وتعذيبهم ، وقد ذكرت شيئاً من آثار ذلك

الباقية حتى الآن عند الكلام على السنغال من كتابى (صلة الحديث عن إفريقية) .

دار العلم :

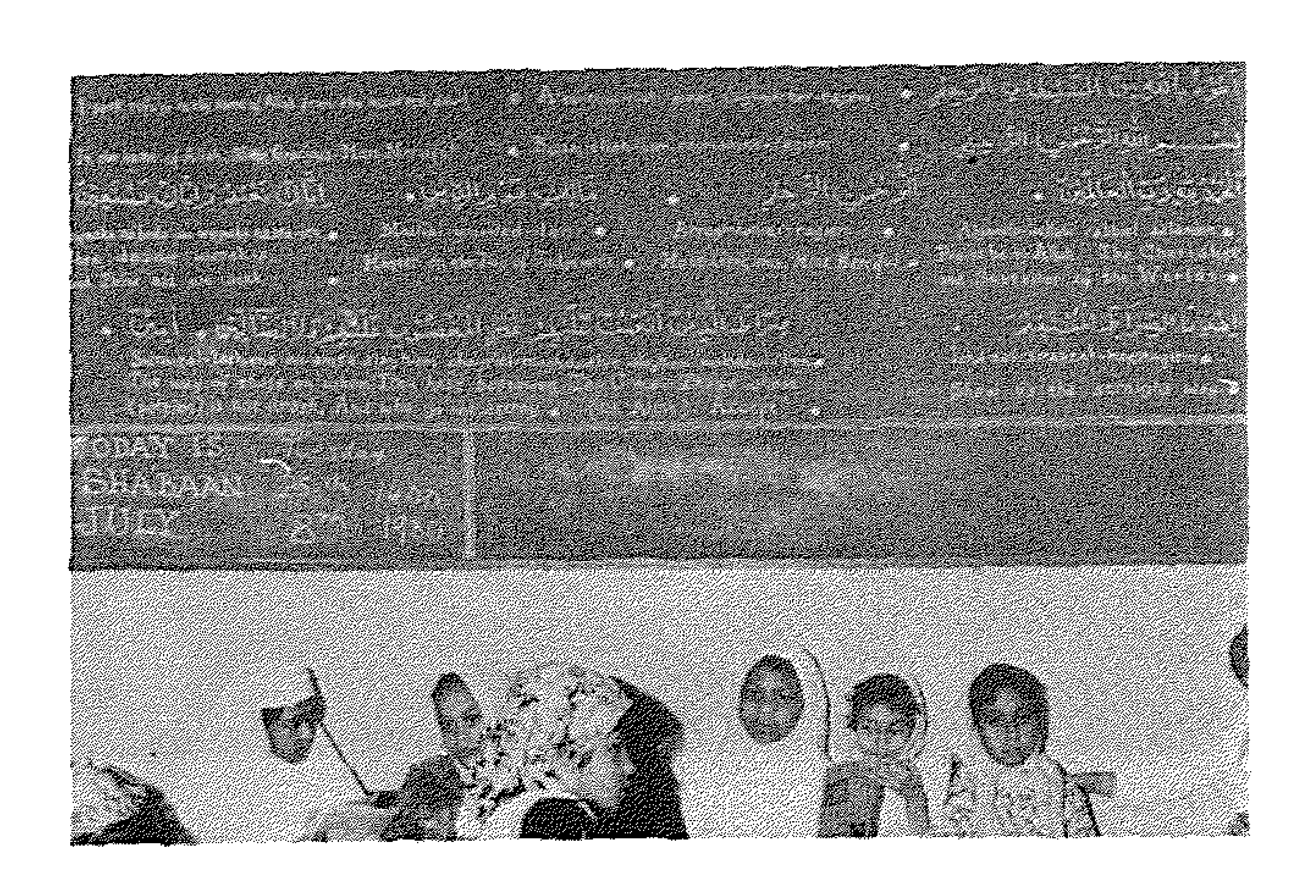
هي مدرسة إسلامية ، وليس هذا فحسب هو الذى جعلني أحرص على زيارتها وانما ذلك أيضا لكون بعض المسئولين فيها تقدموا بطلب الحصول على مساعدة لها من بعض المسؤولين في المملكة فأحيلت الأوراق المتعلقة بذلك إلي قبيل سفرى إلى جنوب إفريقية وانتهزت هذه الفرصة للاطلاع عليها اطلاعا مباشراً .

وتقع (دار العلم) في حي من أحياء الملونين نظيف حسن التنظيم وفي شوارعه الجيدة الرصف وأمام بيوته سيارات كثيرة تدل على يسار أهله ، أو بعضهم ويسمي حي (سولت ريفر) .

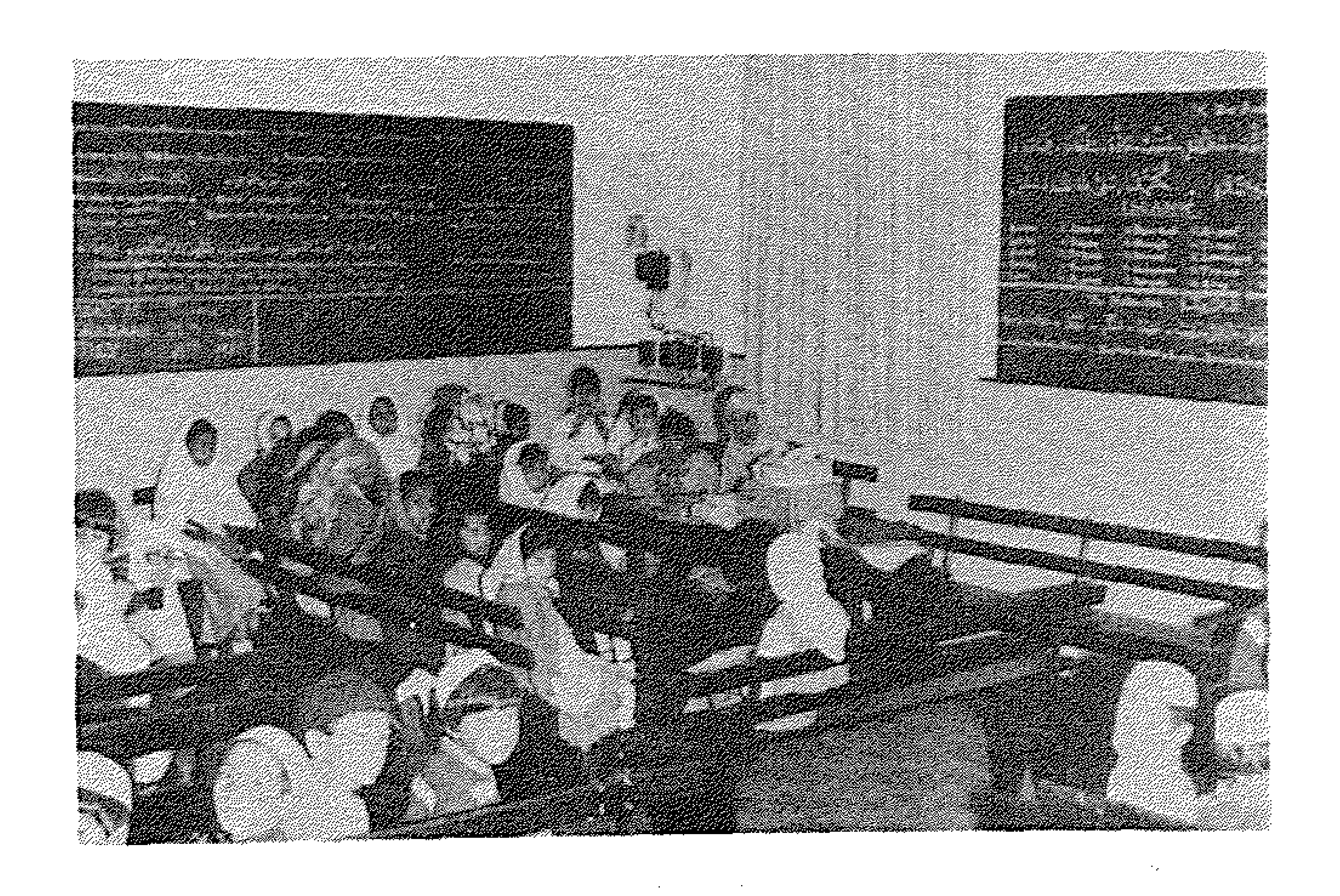
وقد كتب عليها اسمها بالإنكليزية (دار العلم) فيها عدة



عند مدخل مدرسة (دار العلم) في كيب تاون



تعليم الدين واللغة العربية في (دار العلم) للطالبات



فصل في مدرسة (دار العلم)

فصول للتدريس في النهار وقاعة محاضرات قد تستعمل أيضا لتدريس الكبار في الليل .

وقد رأيت في أحد الفصول تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة باللغة الإفريقية .

استقبلنا فيها عدد من إخواننا المسئولين عنها منهم الأخ (مبارك بن محمد جهاردات) أحد المدرسين فيها والشيخ محمد فايق) وهو مدرس أيضا ويعرف اللغة العربية معرفة محدودة ولكنه يستطيع التفاهم بها والحاج (حسن عمر) عضو مجلس المدرسة وتقع في بناء موقوف عليها أو على الأدق تملكه المدرسة إلا أنه أصبح غير كاف بعد أن توسعت المدرسة في عملها ويريدون بناء طابق فوق الموجود .

يقولون : إن عدد الطلبة فيها الآن يبلغ ثلثمائة وأنه يتردد عليها من الكبار حوالي مائتين . ولها خمسة مدرسين تبلغ رواتبهم في الشهر ثلثمائة راند أى :حوالى ألف وثلثمائة ريال سعودي .

ويقولون إنهم يحتاجون إلى أربعين ألف راند ليستطيعوا بناء الطابق المطلوب وأنهم جمعوا حتى الآن من هذا المبلغ ألف راند فقط . وأن للمدرسة حسابا في المصرف خاصا بها ترسل اليه التبرعات .

وقد بنيت في عام ١٩٣٦ م

إلى فورر :

فورر : قرية إسلامية خالصة بمعنى أن جميع سكانها من المسلمين ؛ وتبعد عن مدينة (كيب تاون) ٤٨ كيلا إلى جهة الجنوب الشرقي .

غادرنا مدينة الرأس إلى هذه القرية مع طريق جميل واسع ذي اتجاهين تركبه جسور تسير عليها السيارات المعترضة .

ويشق الطريق ريفا بريا أكثر ما فيه حشائش وشجيرات برية مزهرة صفراء الزهر وطيور في مستنقع ماء .



مسجد قرية (فورر)

وبعد قليل من السير تبدلت المناظر التى تحيط بالطريق إلى مناظر الريف المزروع المعمور بالزراعة ، الذى ترى فيه المنازل الريفية والأبقار الراعية غير أن ذلك كله لايلي الطريق وإنما هو بعيد عنه فهو يشبه ــ من هذه الناحية الطرق الأمريكية .

ثم انحرف الطريق إلى جهة اليسار مخترقاً منازل زراعية جميلة متفرقة .

أما المناظر على مدى البصر فإنها مناظر الأرض المنبسطة ذات الروابي الخضر غير العالية .

وأصل القرية في مكان خال بل منعزل نفى إليه الهولنديون عالما مجاهدا من علماء الإسلام كان قد استمر يقاتلهم في إندونيسيا حتى أقلقهم فلما هزموه حبسوه في جاكرتا فجرت محاولة من المسلمين لإطلاق سراحه ، فأبعدوه إلى (كولمبو) عاصمة جزيرة سيلان ثم أبعدوه منها إلى كيب تاون .

وأسمه (عابدين تاديه يوسف) قالوا : فلما وصل إلى

هذا المكان أخذ العبيد من المسلمين يهربون إليه فيعلمهم أمور دينهم ، ويأتمرون بأمره ، كما أن طائفة من العبيد من غير المسلمين كانوا يهربون إليه ويسلمون لما يرون من حسن معاملته .

فلما توفي في عام ١٦٩٩م بقي أصحابه من المسلمين دون قائد يجمع شملهم فتضايقوا من ذلك وطلبوا من الهولنديين أن يعيدوهم إلى إندونيسيا فرحبوا بذلك لأنه يخلصهم من تعاظم نفوذ المسلمين .

فرجعوا إلى إندونيسيا وبقيت ابنة للزعيم الشيخ عابدين اسمها (سبتانا سانا معروف) .

وبذلك خلا هذا المكان من المسلمين إلا أنه بعد عام ١٨٦٢م عاد مسلمون آخرون إلى هذه القرية وأصبحت ذات قدر في نفوسهم لكونها أول قرية خالصة للمسلمين في هذه المنطقة ولكون الزعيم الشيخ (عابدين تاديه يوسف) قد دفن فيها .

كان أول ماقصدناه من القرية مسجدها لأداء صلاة الظهر التي حان موعدها فوجدناهم قد صلوا الظهر جماعة إلا أن في



قرية (فورر) الاسلامية



فوق القمة في قرية (فورر)

المسجد بعض النسوة يصلين ، وطائفة من جماعة التبليغ مع أمتعتهم في المسجد .

وكان من يلتقي بنا يحيي وينحني بالتحية إلى الإمام على الطريقة الإندونيسية مما يدل على أصلهم الإندونيسي المعروف .

ومن المسجد خرجنا مخترقين القرية فوجدنا أعداداً من المسلمين الذين خرجوا بسياراتهم مع أسرهم من كيب تاون وجاءوا إلى هذه القرية لقضاء يوم العطلة (الأحد) فيها ، وقد انتشروا تحت ظلال أشجار كبيرة غير بعيد من مستنقع ماء قالوا إنه قد تجمع من مياه المطر تسبح فيه طيور النورس البيض في تجمع للمسلمين مشهود .

ثم صعدنا إلى تلة عالية حيث قبر الشيخ عابدين المذكور وقد بنوا عليه بناء عالياً مكوناً من غرفة واسعة فوقها قبة مشرفة وقد كتبت على مدخل القبر الشهادتان .

وقد وضع الجهال منهم على القبر بعض الخرق ، وأحضر

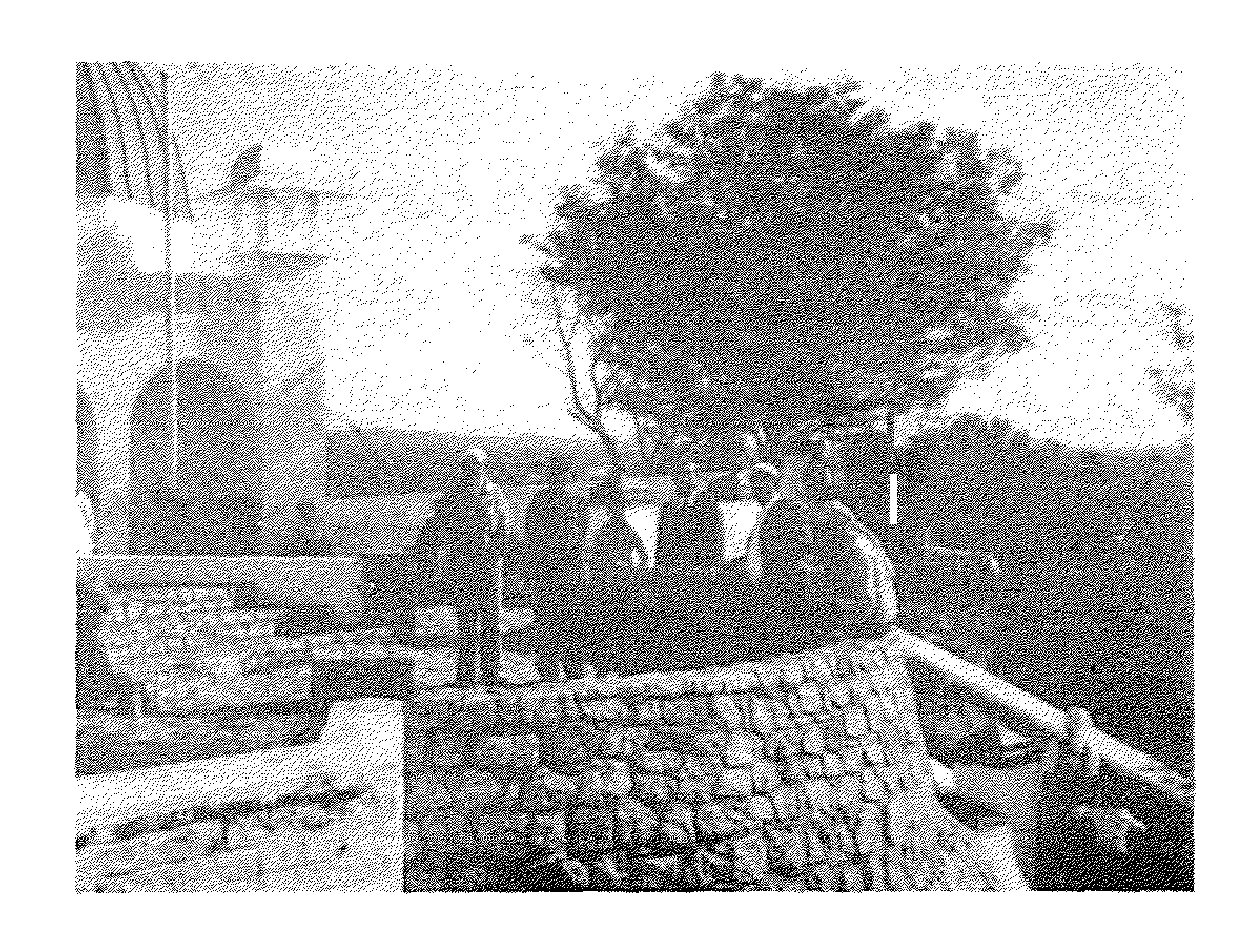
بعضهم حلوى يطعم منها الناس ولم نذقها لأنها أحضرت إلى قبر.

وهنا أخذ الأستاذ أحمد ديفيد يحدثنا عن هذا الشيخ الذي إمتازت حياته بالبطولة والشجاعة في مقاتلة الكفار ونشر الإسلام فكان مما قاله :

إن الشيخ عابدين لم يكن مسلم الأبوين وإنما ولد غير مسلم فأسلم وحسن إسلامه ثم حج ، وعاد إلى إندونيسيا ، وجعل يعمل على نشر الإسلام ، وخاصة بين حكام بعض الجزر من غير المسلمين .

ثم اتجه إلى الجهاد الفعلى ضد الهولنديين لإخراجهم من البلاد ، وجمع لذلك جيشاً ظل يحاربهم عدة سنوات .

هذا وقد تركنا قبره مليئا بالزوار ومنهم طائفة جلسوا بجانبه ينشدون نشيدا لإحدى الطرق الصوفية وذهبنا للاطلاع على نصب عالٍ على هيئة المنارة غير بعيد من القبر كتب على أسفله بالإنكليزية : (ذكرى الشيخ يوسف ..) وتاريخ إقامته في مايو عام ١٩٢٥م .



في المكان العالى الذي عليه المدفع الأثري في قرية (فورر) الاسلامية

وقد رسموا عليه شعار المسلمين وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة . وإلى جانب هذا النصب أو هذه المنارة التي أقيمت لتخليد ذكرى الشيخ على الطريقة الأوروبية نصبوا مدفعاً أثريا ضخما لهذا الغرض أيضا .

وبعد التقاط بعض الصور التذكارية كانت :

العودة إلى كيب تاون :

ابتدأت في الساعة الثانية من بعد الظهر وعندما رأيت خرافاً محلية رمادية اللون في أحد المراعي سألت إخواني عن قيمة الخروف الواحد ؟ قالوا : إنها تبلغ في المتوسط عشرين رانداً أي حوالي ٩٢ ريالا .

وكان الأستاذ أحمد ديفيد يحدثنا خلال السير حديثه المفيد الممتع الذي يدل على معرفته بتاريخ هذه البلاد .

وقد مررنا في إحدى الضواحي المخصصة للملونين بجامعة ومجلس تمثيلي لهم أي : للملونين خاصة . ثم منطقة حديثة لأثرياء الملونين أيضا .

ثم تناولنا طعام الغداء في بيت الأخ أحمد جوهان الذي كان من الملازمين لي طيلة إقامتي في كيب تاون جزاه الله خيراً .

وكان غداؤه جيداً هنديا من كل وجه وقد حضر والده وهو يعمل في التجارة .

وقد إنقلب إلى مايشبه الندوة المصغرة عن أوضاع المسلمين الحاضرة وما ينبغي عمله لعلاج أحوالهم .

وقد ألح القوم على معرفة السبب في بقاء العرب متنازعين متخاصمين مغلوبين من اليهود متخلفين عن ركب الحضارة العالميـــة مع أن التاريخ كان قد سجل لهم الأمجاد الكثيرة في هذا الميدان ، وقد أوضحت ذلك جهدى وبينت لهم أسبابه ونتائجه . وكنت إذا استشهدت بآية أو حديث طلبت من الأخ الشيخ عمر الخبير أن يترجم معناه لهم بالإنكليزية لأنه أقدر مني على ذلك ولما استشهدت على أن العمل الصالح هو وحده الذي يقرب إلى الله تعالى ويكون سبباً للعز والتمكين ، وليس ماضي الشعوب أو أمجاد الغابرين من أربابها . بقوله تعالى :

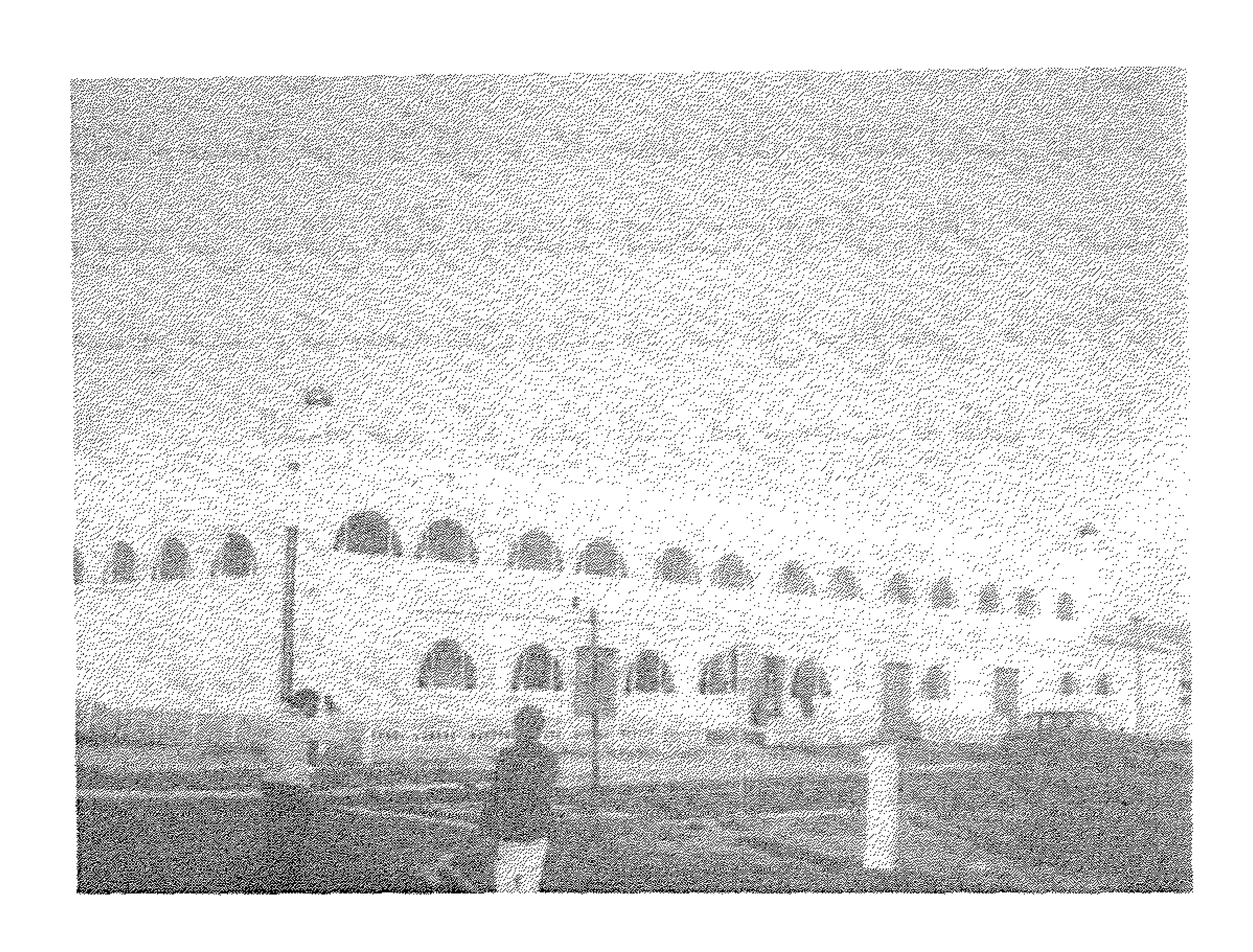
(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم)
وطلبت من الشيخ عمر أن يذكر معناها لهم بالإنكليزية تأثر الشيخ عمر وبكى ، وأخذ كلما أراد أن يبدأ بترجمتها يزداد بكاؤه وتنهمر الدموع من عينيه ، وتقف الكلمات في حلقه حتى لم يستطع الكلام فضلاً عن الأكل ، مما جعله يغادر المائدة ليغسل يديه ، ويبعد عن موطن التأثر وجعلنا نسكت إلا أن الأخ (محمد صالح محمد) قد جعله ذلك يزداد حرصا على سماع معنى هذه الآية التي سببت للشيخ عمر كل هذا التأثر فأوضحت له ذلك خلال قيام الشيخ عمر عن المائدة .

عودة إلى الجولة على المساجد :

وبعد الغداء استأنفنا الجولة على المساجد في مدينة الرأس (كيب تاون) ومنها :

مسجد الصبر :

ويقع في حي للملونين اسمه (برم روز) أغلبية سكانه من المسـلمين وسمي مسجد الصبر لأن القائمين على بنائه لبثوا



مسجد الصبر في (بدوم زو ند) في كيب تاو ن

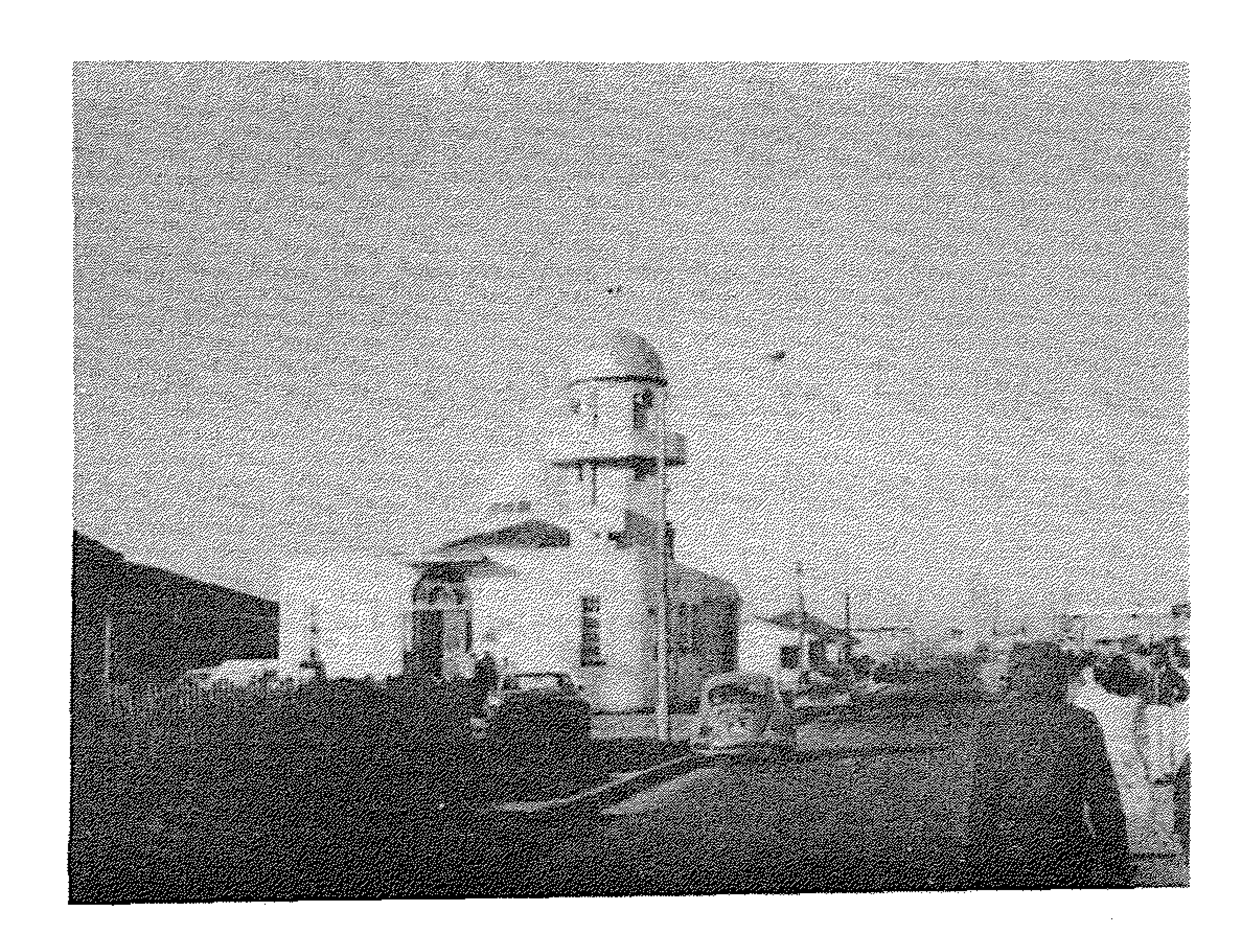
مدة طويلة صابرين بل مصابرين على جمع الأموال اللازمة له وقد استغرق ذلك مدة طويلة وهو مسجد واسع نظيف بل فخم في مظهره وأثاثه .

وقد جعلوا فيه رواقا من جهة الشرق يستعملونه بمثابة الفصول الدراسية إلا أنهم يستعملونه أيضا للصلاة يوم الجمعة حيث يحتاجون إليه بسبب كثرة المصلين .

وإمامه هو الشيخ عبد الحميد الخبير وهو أخو الشيخ عمر الخبير الذي لازمني مدة بقائي في كيب تاون جزاه الله خيراً .

والشيخ عبد الحميد متخرج من الأزهر ويتكلم اللغة العربية كما يتكلم بها أهلها ، ولا يشك من يراه ويسمعه يتكلم العربية في أنه من السوريين أو الفلسطينيين سكان الجبال مثل أهل القدس ونابلس لأنه أبيض اللون أشقر اللحية لولا أن لهجته المصرية تحملك على القول بأنه من المصريين .

ومع هذه الصفات الجسدية الظاهرة في الشيخ عبد الحميد فإنه معتبر هنا من الملونين رغم كون لونه كلون الأوروبيين ،



مسجد الجماعة

وذلك لأنه ولد لأبوين معتبرين من الملونين .وفي هذا المسجد شرفة مخصصة للنساء لأن الأعمدة التي وسطه عالية .

ومما يبهج النفس منظر الرجال والنساء والأطفال الذين رأيناهم خارجين من المسجد بعد أن أدوا الصلاة فيه مع الجماعة . وهم من الكثرة بحيث يلفتون النظر وبخاصة من النساء والأطفال .

مسجد الجماعة :

في حي شعبي للملونين اسمه (فلبيس) .

فى حى السود :

ليس السود أي ذوو اللون الأسود بالكثيرين في منطقة كيب تاون ، وإنما هم كثيرون في جوهانسبرج ولكنهم في كلا الموضعين لهم مكان مخصص لهم لا يجيز القانون العنصرى أن يعيشوا في غيره .

إلا أن حي السود هذا الذي ذهبنا إليه اليوم هو أقرب إلى أحياء ذوي الألوان الأخرى من مثيله في جوهانسبرج .

ذلك بأن العنصريين يشعرون بأن السود في جوهانسبرج كثيرو العدد ، وبالتالي أكثر قوة وأعظم خطراً عليهم .

ويسمى حي السود هذا (ميانقا) وأول مايلفت النظر فيه أن البيوت بعيدة عن الطريق العام في بعض المواضع وأن مظهرها لا بأس به وإن كانت على شكل أكواخ من اللبن الأسمنتي إلا أننا لم نلبث أن وصلنا إلى بيوت سيئة المظهر جدا تتألف من عشش – جمع عشة – وأكواخ من الصفيح الرديء والأعواد .

وتغلب القذارة على الأفنية التي بين البيوت . فيرى المرء أكوام القمامة فيها .

وفيما بين مجموعات البيوت يوجد مستنقع لا أدرى من أي ماء هو ولكن مظهره غير نظيف .

وجماعة من النساء والأطفال قد تجمهروا عند صنبور من الماء كل منهم يريد أن يحمل في إناء في يده قليلا من الماء إلى بيته مما يدل بوضوح على أن الماء غير موجود في البيوت بل على أن ماء الأنابيب لايوجد إلاّ في بعض أنحاء الحي دون سواها .

أما مظاهر السكان في هذا الحي فإنها مظاهر الزنوج السود إلا أن سوادهم غير حالك .

مغادرة كيب تاون :

في الساعة الخامسة مساء كنا نصل مطار كيب تاون لنقلع منه إلى مطار جوهانسبرج ثم إلى مدينة مابوتو عاصمة موزمبيق .

ورأيت عند البوابة الخارجية للمطار عجبا هو منظر آلاف وأكرر الإصرار على كلمة آلاف من الناس قد ازدحم بهم المكان وكلهم من المسلمين الذين جاءوا إلى المطار لتوديع إخوانهم الذين سيذهبون إلى الحج .

وقد كان هذا أشبه بمظاهرة إسلامية مهيبة جعلت سلطات المطار تعدل في حركة الدخول إلى المطار حتى لاتصطدم بالجمهور .

وتكرر في هذا المطار مافي المطارات الأخرى من عدم السماح لغير المسافرين بالدخول إلى بوابة المطار غير أن بعض إخواني

أخبروا ضابطاً مسئولا بأنني ضيف عربي وأنهم جاءوا معي لتوديعي فأذن بدخولهم .

وفي تمام الساعة السادسة مساء أقلعت بنا الطائرة الضخمة من طراز (دى سي ١٠) التابعة لخطوط جنوب إفريقية وقد ازدحمت بالركاب وأعلنت المضيفة أن السفر إلى (جوهانسبرج) سيستغرق ساعتين إلا ربعاً .

وعندما بدأ المضيفون بتوزيع الطعام كالمعتاد فوجئت بأن أحدهم يجيء إلي وهو يحمل بين يديه شيئاً ويقول لى : أهذا لك ؟ فلم أفهم ما قصده حتى قال : أطلبت عندما حجزت من مكتب الشركة في (كيب تاون) أن يعدوا لك طعاما خاصاً من السمك ؟

فتذكرت شيئاً كنت قد نسيته وقلت : نعم ، وأخذته دفعاً للإحراج وان لم أكن أفضل السمك على اللحم.

أما الذي قد تذكرته فهو أن أحد إخواني الذين كانوا معي

معي عنـــد الحجز من الشركة كان قد قال للموظفة : إنهم ينبغي أن يعدوا للشيخ . يقصدني ـ طعاما خاصا من السمك . وقد قلت له بعد أن أنهى كلامه : إنني لا أرغب في ذلك فأنا أعتقد أنهم من المسيحيين الذين تحل ذبيحتهم ، فلماذا لا نقترب منهم بشيء أذن الله تعالى أن نقترب به من أهل الكتاب وهو حل طعامهم إلى جانب ماعرفته من إخواني المسلمين من أن المسلمين هم وحدهم الذين يذبحون في المسالخ العامة للجميع .

فى مطار جوهانسبرج :

وجدت في استقبالي بالمطار عدداً من إخوانى المسلمين على رأسهم الدكتور مومونيات كان إخواني في كيب تاون قد هتفوا بهم وأخبروهم أنني قادم إلى مطار جوهانسبرج .

ولم يكن هذا عن موافقة مني وإنما فعلوه من باب الاحتفاء والتكريم ، ولو كانوا استشارونى فيه لما وافقت لأن مطار جوهانسبرج يبعد عن حي (لينيزيا) الذى يسكن فيه الأخ الدكتور مومونيات وإخوانه خمسين كيلا وأنا مسافر عابر

إلى مدينة مابوتو عاصمة موزمبيق في السادسة والنصف من صباح غد سأمضي الليلة في فندق (هولدي ان) في المطار .

وبعد جلسة طيبة في الفندق مع الدكتور مومونيات وإخوانه الذين أحدهم محام والآخر طبيب نمت في الفندق . ثم سافرت في صباح الغد إلى موزمبيق في رحلة قصصت حديثها في كتابي : « صلة الحديث عن إفريقية » المطبوع .

المسلمون في جنوب إفريقية

المسلمون في جنوب إفريقية :

هـــذه كلمة عن أحوال المسلمين في جنوب إفريقية وقد تكلمت في اليوميات عن أحوال كثيرة من أحوال المسلمين ولكن رأيت أن من المناسب أن أجمل بعض ذلك هنا مع إيضاح نقاط معينة .

دخول الإسلام :

كان الهولنديون يستعمرون إندونيسيا وقد عرفت عنهم القسوة والغلظة في معاملة البلدان التى يحكمونها فكانوا من أكثر المستعمرين سوءاً . وسجلهم الحافل بالمخازي عن بيع العبيد من افريقية وتسهيل نقلهم إلى العالم الجديد في الامريكتين معروف بل مشهور عند المتتبعين لهذا الأمر .

بل كان استعمارهم عل وجه العموم من أكثر أنواع الاستعمار سوءاً.

وكانوا إلى جانب قسوتهم هـــذه على جانب كبير من التعصب الديني والمذهبي .

لذلك كانوا يعتقدون أو يظهرون أن المسلمين من الوثنيين وربما كان هذا سبباً يتخذونه ذريعة إلى ما استحدثوه في إندونيسيا من استرقاق المسلمين وبيعهم كما يباع العبيد .

وان كان بعض الباحثين الذين يلتمسون لهم شيئاً من العذر يخفف عنهم بعض اللوم يقولون : إن الرق هو الشائع في ذلك العصر حتى عند المسلمين .

مع أن الرق عند المسلمين معروف أصله ومعروف أن الإسلام حث على إعتاق الأرقاء وإطلاق سراحهم وإعطاء العبيد حريتهم .

وأيًّا كان الأمر فإن الهولنديين عندما احتلوا منطقة الرأس التي هي رأس الرجاء الصالح ورأوا أنهم يحتاجون إلى عمال في المزارع وفي إشادة البيوت أحضروا طائفة من المسلمين من

إندونيسيا والملايو على سفينتين اثنتين إلى منطقة الرأس وذلك في حدود عام ١٦٥٨م فكانوا بذلك أول جماعة إسلامية معروفة وصلت إلى هذه المنطقة ولذلك يجد المرء في أكثر سـقوف المساجد في مدينة (كيب تاون) رسما لسفينتين إثنتين رسمه المسلمون إيماء إلى وصولهم الأول إلى هذه البلاد .

ثم بعد ذلك أخذ الهولنديون يجعلون هذه المنطقة من جنوب إفريقية بمثابة المنفى للمسلمين الذين لا يخضعون لطاعتهم فكانوا يحضرونهم إليها للعمل فيها من أجلهم من جهة ومن جهة أخرى ليبعدوهم عن بلادهم الأصلية اندونيسيا إلى مكان لايستطيعون حتى أن يأملوا في الرجوع إليها منه .

وقد بلغ تعصبهم ضد المسـلمين أنهم قد غيروا أسماءهم بأسماء نصرانية أوروبية حتى بقيت كثير من الأسر الإسلامية تتوارث ذلك اللقب العائلي النصراني إلى الآن مثل أسرة (ديفيد) وأسرة (يان) كما حولوا إسم ابراهيم إلى (إبراهام) ويوسف إلى (جوزيف)

بل كان العبد من المسلمين يشترى ويباع دون أسرته وعائلته فكانوا يفرقون بذلك بين المرء وأفراد أسرته وكان من حق السيد أن يضرب عبده حتى الموت إذا عصى أمره كما أنهم قد حرموا عليهم أداء الصلاة جماعة ومنعوهم من بناء المساجد . وسلطوا عليهم الدعاة إلى النصرانية المدعومين بالمال والنفوذ يعملون في فتنهم عن دينهم .

إلا أنهم بعد فترة من الزمن ظنوها كافية لابعادهم عن الدين الإسلامي ومحو مشاعرهم نحوه ونحو بلادهم وجدوا أن الأمر يكاد يكون عكسياً ، فبدلاً من أن يستطيعوا أن ينصّروا المسلمين ويردوهم عن دينهم كان بعض المسلمين قد أقنعوا بعض العبيد الذين كانوا مثلهم قد استعبدهم الهولنديون وسعوا إلى إبعادهم عن بلادهم وقد أثر فيهم بعض المسلمين وأدخلوهم في الدين الإسلامي وإن كان عددهم قليلا .

فكان أن زاد ذلك من حنق الهولنديين وإصرارهم على الضغط على المسلمين .

وكان المسلمون في مقابل ذلك يزدادون تمسكا بدينهم ويعقدون اجتماعات سرية يتدارسون فيها أمور دينهم فكان بعضهم يخصص مكاناً من بيته بمثابة المسجد يصلي فيه مع أفراد أسرته لأنه لا يسمح لهم ببناء مسجد .

واستمر هذا الأمر حتى العقد الأول من القرن التاسع عشر على ما تقدم ذكره في اليوميات .

وبعد ذلك بدأ بناء المساجد فكثرت في منطقة الرأس كثرة ملحوظة حتى أصبح يوجد الآن ثلاثة عشر مسجداً في حي واحد من أحياء مدينة (كيب تاون) هو حي بوكاب .

ويؤلف المسلمون من ذرية هؤلاء الأخوة ومن جاء بعدهم من جهة إندونيسيا والملايو والجزائر المجاورة لها على قلة المهاجرين الأغلبية من المسلمين في ولاية الرأس .

ويعتبرون من طائفة الملونين حسب تقسيم البيض المتعصبين في جنوب إفريقية .

وهم – عند هؤلاء البيض – في الدرجة الثانية من سلم تصنيف الناس على قدر ألوانهم .

وقد ينعتهم بعض الناس بأنهم من الجنس الماليزي وإن كان هذا غير دقيق .

المسلمون من الهند :

جاء فريق آخر من المسلمين من جنوب الهند اعتباراً من عام ١٨٦٠ م تقريبا للعمل في مزارع قصب السكر المملوكة للإنكليز وكان ذلك بناء على اتفاق أبرم بين الحكومة الهندية الإنكليزية وحكومة ناتال التى عاصمتها دربن وكانت التجارة في أيدى البيض ثم جاء تاجر مسلم يدعي أبو بكر أحمد وافتتح متجراً ونظراً لنزاهته وحسن معاملته ازدهرت أعماله مما جعل أقاربه يفدون من الهند من مقاطعات بوربناندر وكوجارات وسورات وسوراشترا وكانوا من المسلمين كما جاء عدد من العمال من الهندوكيين وعند حلول عام ١٨٨٥ م بلغ عدد الهنود ٤٠٠٠ في مقاطعة دربن المسلمون منهم ظلوا متمسكين بدينهم



صبي وفتاة من أولاد المسلمين ذاهبان إلى
المدرسة الاسلامية

بقوة وفي نهاية القرن قاموا ببناء أول مسجد على مساحة من الأرض اشتراها أبو بكر جافيرى وهو أكبر مسجد في البلاد ويطلق عليه مسجد الجمعة وبمرور الوقت بنيت المساجد والمدارس ثم توافد المسلمون على ولاية ترانسفال التى عاصمتها جوهانسبرج وهم المعروفون رسميا باسم الآسيويين .

وهؤلاء الأخوة المسلمون من ذوى الأصول الهندية هم أنشط الأجناس — إن لم يجعلنا التعبير العنصرى نقول : هم أنشط الألوان في الدعوة إلى الإسلام فلديهم الجمعيات الإسلامية النشطة بل لديهم العلماء والمتخرجون من الجامعات الإسلامية في الهند والبلاد العربية ، ولهم الأوقاف الإسلامية وبعضهم على جانب كبير من الغنى والثروة .

وقد سبق ذكر شيء من ذلك في اليوميات .

وإذا نظر المرء إلى حالة المسلمين ممن يسمون الملونين الذين هم من أصل ملايوي أي من اندونيسيا وجزر الملايو وإلى حالة المسلمين ذوى الأصل الهندي فإنه يمكنه أن يقول : إن المسلمين

في جنوب إفريقية هم من أحسن الأقليات الإسلامية حالاً سواءٌ فيما يتعلق بالأحوال الدينية أو بالأحوال المادية .

ولابد أن يستثنى – بالطبع – الحالة السياسية الى هي سيئة بطبيعة الحال .

المسلمون من أصل إفريقى :

يؤلف السكان من أصل إفريقي أغلبية السكان في جمهورية جنوب إفريقية العنصرية .

ولايسميهم البيض الافريقيين لأنهم يقولون عن أنفسهم الإفريقيين أيضاً وإنما يسمونهم (السود) جرياً على عادتهم في تسمية الناس بألوانهم . أو لنقل في نبزهم بألقابهم وتقديرهم على قدر ذلك وليس على قدر أعمالهم ومايقدمونه من نفع للمجتمع .

وتبلغ نسبة السكان السود في البلاد ٦٩ ٪ إلا أنه مما يؤسف له أن نسبة المسلمين بينهم قليلة جداً رغم وجود الإمكانات الكبيرة للدعوة إلى الإسلام فيما بينهم .

فالإسلام هو دين العدل والمواساة ، وعدم التفرقة العنصرية وهذه الأمور هي التي يفتقدها المواطنون السود في جنوب إفريقية ويريدون أن يحصلوا عليها .

والإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو الخالي من التعقيد والغموض وذلك أمر تفهمه القلوب التي على الفطرة وتنقاد إليه بسرعة كما نراه يحدث في أقطار إفريقية عديدة في الوقت الحاضر فيتسارع فيها الناس إلى الدخول في دين الله أفواجاً حتى إن بعض الأقطار الإفريقية كانت قبل الإستقلال لا يمثل المسلمون فيها إلا أقلية سكانها وأصبحوا الآن أغلبية ظاهرة ومن ذلك سيراليون وفولتا العليا على سبيل المثال .

ولكن المواطنين السود في هذه البلاد الإفريقية العنصرية كانوا إلى وقت قريب ممنوعين من سماع صوت الحق فلم يكن يسمح لذوي الألوان الأخرى بدعوتهم إلى الإسلام ولا بالدخول إلى الأحياء التي يقطنون فيها ولا التعبد في معابدهم .

وذلك كله بناء على سياسة الفصل العنصري التي تعتبر

الحاجز اللوني هو الحاجز الحقيقي بين السكان حسبما يظهره أولئك المتعصبون وإن كانت الحقيقة أنهم يقصدون من ذلك إبعاد العناصر الأخرى غير الأوروبية الأصل من المشاركة في إدارة البلاد حتى لا يأتي يوم تتولى فيه السلطة بحكم أكثريتها السكانية وتتغلب على أولئك العنصريين .

وهذا من أكبر الأسباب في عدم انتشار الإسلام بين أولئك السود ، يضاف إلى ذلك ـ بالطبع ـ تعصب العنصريين البيض ضد الإسلام بوجه عام .

ولم تقدر هجرة على نطاق متسع من بلاد إفريقية مسلمة إلى جنوب إفريقية حتى يختلط أهلها بأهالي البلاد من السود ويقوموا بدعوتهم إلى الله وإنما كانت هناك أقلية من المهاجرين من أصل إفريقي جاءت من شرق إفريقية وبلاد السواحليين واستوطنت في مقاطعة (دربن) ولكن كانوا على غاية من الضعف والجهل لذلك لم تبق من ذريتهم الا قلة حافظت على أسمائها الإسلامية من دون أن تعرف حقيقة الإسلام وهي ليست بذات تأثير .

ويقال مثل ذلك عن قلة قليلة من العمال ذوي الأصـــول الإسلامية من موزمبيق ومالاوي (نياسالاند سابقا) . فهؤلاء كانوا يأتون لفترات مؤقتة وبعقود عمل شاق ولذلك لم يكن لهم تأثير في الدعوة الإسلامية لأنهم أنفسهم لم يكونوا يعرفون عند قدومهم من بلادهم من الإسلام شيئاً يذكر وإنما كانوا من أحفاد المسلمين الأوائل ضعفت الثقافة الإسلامية في بلادهم ، وانقطعت الصلة بينهم وبين إخوانهم المسلمين في الحواضر الإسلامية .

ولكن مما يبشر بالخير أنه نتيجة للصحوة الشعبية ضد التفرقة العنصرية في البلاد ونتيجة للضغوط السياسية العالمية على حكومة جنوب إفريقية فإنها بادرت إلى تخفيف بعض القيود غير الرئيسية في سياسة التفرقة العنصرية ومن ذلك أنها سمحت لغير السود بالذهاب في أوقات معينة إلى أماكن السود ، لكن دون المبيت معهم فضلاً عن العيش فيما بينهم .

وهذا أتاح لبعض الإخوة من المسلمين ذوي الأصول

الهندية وغيرهم ما عدا البيض أن يذهبوا إلى أماكن السود وبدأوا بذلك دعوة إسلامية نرجو أن تثمر وتزدهر وماذلك على الله بعزيز .

المسلمون من البيض :

أنشئت جمعية المسلمين البيض في عام ١٩٧٦م في مدينة جوهانسبرج تحت اسم جمعية الدعوة الإسلامية هرباً من التعريف باللون الذي يدل على التفرقة العنصرية التي يمقتها الإسلام .

وقد أنشأت الجمعية مدرسة إسلامية في المسجد .

ولايزال العمل في هذه الجمعية في توسع والمرجو أن يتزايد اعضاؤها وأن يتمكنوا من دعوة غيرهم إلى الإسلام .

تعداد المسلمين :

يقدر تعداد المسلمين في جنوب إفريقية في الوقت الحاضر بأربعمائة الف نسمة كما يلي :

الملونون وأغلبهم من أصل ملايوي بمائة وثمانية وتسعين الف نسمة .

والآسيويون مائة وخمسة وسبعون الف نسمة

والسود خمسة وعشرون الف نسمة .

أما البيض فلا يزيد عددهم على ألفي نسمة .

وبناء على إحصائية ١٩٧٠م يتضح أن مجموع سكان جنوب أفريقيا يقل عن ٢٢ مليون وهم من عناصر سوداء ، وبيض ، وملونين ، وآسيويين .

والمسلمون من العناصر الأربعة ولكن الأغلبية في العنصرين : الملونين والآسيويين كما سبق .

والجدول التالى يبين عددهم في عام ١٩٧٠ وعام ١٩٨٠م .

العنصر	النسبة ٪	السكان	المسلمون	
			١٩٧٠	١٩٨٠
سود	٦٩	١٥٣٩٩٩٧٥	٨٨٩٦	١٢٤٩٩
بيض	١٩	٣٧٧٣٢٨٢	٩٤٥	١١٥٨
ملونون	٩ر٥	٢٠٥٠٦٩٩	١٣٤٠٨٧	١٨٢٠٩٠
آسيويون	٢ر٥	٤٧٧٩٧٤	١٢٥٩٨٧	١٦٦١٧٧
المجموع	١٠٠٪	٢١٧٩٤٣٢٨	٢٦٩٩١٥	٣٦١٩٢٤
			١,٢٤٪	١,٢١٪

٢ ــ القوة التعدادية للأديان الأخرى في جنوب إفريقية :

وهذا بيان آخر من الجدول التالى من طبعة « الكتاب السنوى لجنوب إفريقية » عن عام ١٩٧٤م للأديان في جنوب إفريقية .

مسيحيون	١ ١٨٤٢٢٩٠
يهود	١١٨١٢٠
هندوس.	٤٢٣٣٠٠
ديانات مختلفة	٤٨٠٩٢٨٠

والتعداد الأخير في شهر يونيو ١٩٧٧م . «لم يتم حصر عدد المسلمين»

سود	١٦٩٥٠٠٠٠
بيض	٤٣٦٥٠٠٠
ملونون	٢٤٣٢٠٠٠
آسيويون	٧٦٥٠٠٠
المجموع	٢٤٥١٢٠٠٠

وهذا بيان بأهم المدن ونسبة السكان فيها على أساس (الألوان) .

المدينة	التعداد		
	بيض	أجناس أخرى	المجموع
جوهانسبرج	٤٨٢٥٨٩	٩٢٥٤٧٣	١٤٠٧٩٦٣
بريتوريا (العاصمة)	٣٢٥٩٢٣	٢٣١٨٠٣	٥٥٧٧٢٦
دربن	٢١٨١١٧	٣٢٣٤٢٦	٥٤١٥٤٣
بورت اليزابيث	١٢٣٦٤٦	٢٨٣٧٣٧	٤٠٧٨٣٠
مدينة الكاب	١٢١١٦٥	١١٦٩٨٣	٢٣٨١٤٨
بلومفونتين	٧٨٠٢٤	١٣٤٤٨٠	٢١٢٥٠٤
جيرمستون	١٠١٢١٠	٣٨٢٦١	١٣٩٤٧١
ايست لندن	٦٢٩٠٣	٩٩٩٣٥	١٦٢٨٣٨
فيرينيجيج	٥٥١٧٣	١٦٤٩٤٣	٢٢٠١١٦
بيترماريتسبرج	٤٧٢٠٤	١٢٤٨٣٠	١٧٢٠٣٤

هل يقوم المسلمون بالدعوة ؟

جميع المؤسسات الإسلامية هدفها نشر الدعوة في جنوب إفريقية وبعضها يخصص الوقت الأكبر وأمواله ونشاطه لهذا الغرض ويقوم بطبع وتوزيع النشرات والأدب الإسلامي على المسلمين وغير المسلمين وهناك ما يقرب من مائتي مؤسسة تقوم بالإرشاد الديني جميع أعضائها من المتطوعين .

النشاط الثقافي والإجتماعي :

أنشأ المسلمون عدة مؤسسات اجتماعية وثقافية ويتم تمويلها عن طريق الزكاة والحسنات والصدقات .... الخ .

ومنها رصد مساعدة مالية ومنح دراسـية للفقراء من المسلمين المؤهلين لدراسات عليا والمساعدة هنا لا تقتصر فقط على المسلمين بل تذهب أيضاً إلى أفراد من الإفريقيين والملونين والآسيويين الذين ترجا من مساعدتهم مصلحة الدعوة الإسلامية .

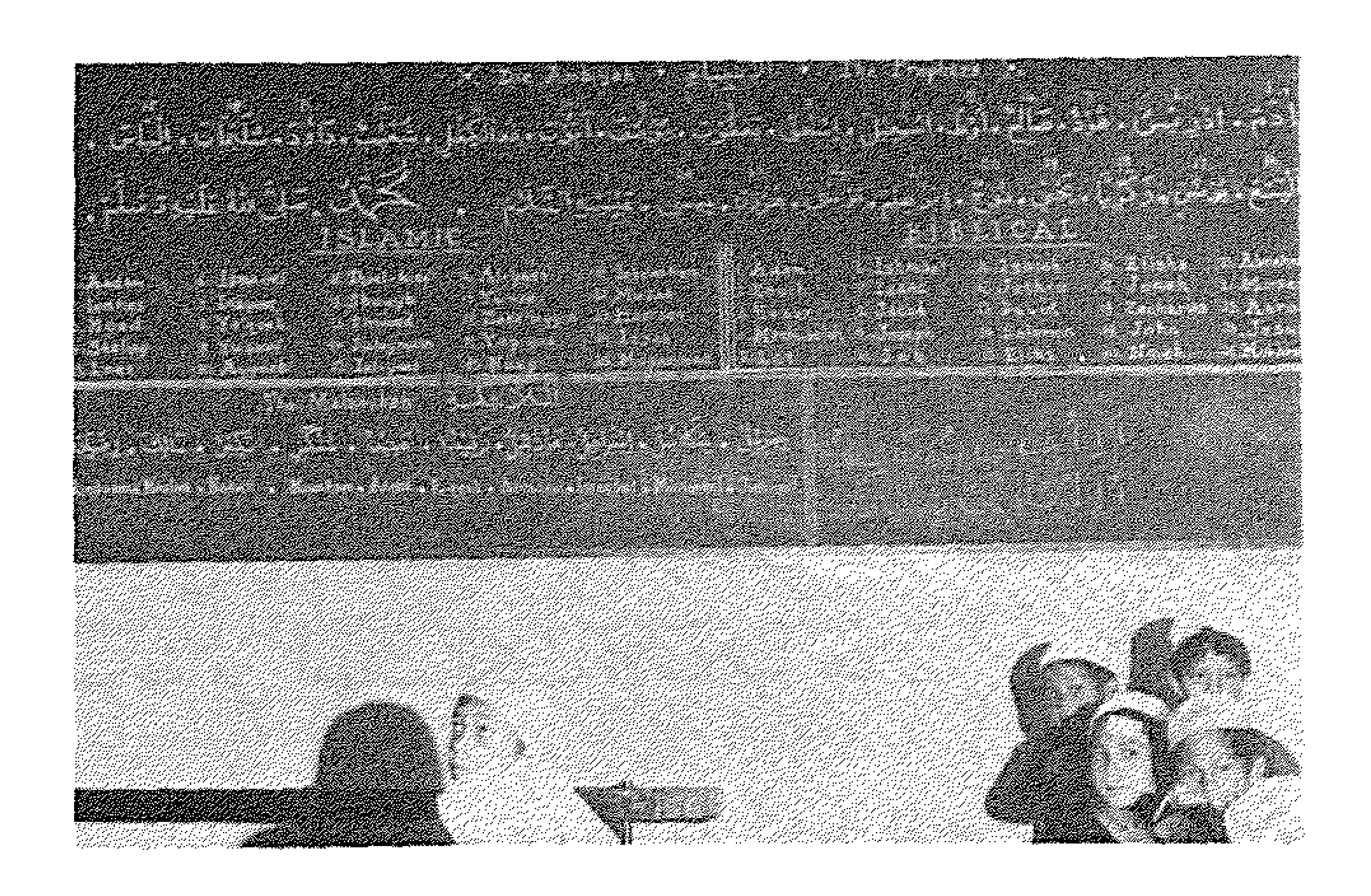
المحاضرات :

يلقيها متخصصون محليون أو من الخارج وتقام على مدار السنة خصوصاً في المدن الكبيرة كدربن وبريتوريا والكاب ونظراً للعلاقات السيئة بين حكومة جنوب إفريقية وباقي العالم فلا يمكن إقامة محاضرات إسلامية ودولية .

الصحف والنشرات :

تطبع الصحف والنشرات عن الموضوعات الإسلامية وعلى مستوى مقبول والحاجة ماسة إلى صحيفة إسلامية وطنية لمقاومة الصحافة المناهضة للإسلام .

كما يقوم المسلمون بطبع الكتب والنشرات للرد على إرساليات التنصير ودعاياتهم المضللة وقد قاموا بطباعة أكثر من مائة الف نسخة من كتيب (ماذا يقول الإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم) في طبعته الأولى وأكثر من سبعين الف نسخة في طبعته الثانية وكذلك طبعوا (هل الإنجيل كلام الله) خمسين الف



أسماء الأنبياء والرسل بالعربية والانكليزية لتعليم الصغار

نسخة في طبعته الأولى وهذه الأعداد تبدو كبيرة لأول وهلة ولكن عندما ننظر إلى مايقوم به النصارى مع طبع ملايين الكتب فإنها تبدو قليلة .

وهناك عدة هيئات وجمعيات إسلامية نشطة في جنوب إفريقية مثل « اتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية » و «حركة الشباب المسلم» وجماعة التبليغ وجمعيات العلماء وغيرها.

ومن الأشياء المفرحة أنه قد تمت طباعة القرآن الكريم في جنوب إفريقية وتكلمنا عليها عند الكلام على المعهد الإسلامي في (جوهانسبرج) وكذلك تفكر جمعية العلماء بطبع مجموعة من أمهات الكتب الإسلامية هنا .

وأما الكتب الأخرى فإن من أنشط الهيئات في هذا الأمر مركز الدعوة الإسلامية في (دربن) الذى يقوم عليه الأخ أحمد ديدات وقد أخذ يصدر المطبوعات الإسلامية إلى عدة بلاد خارج جنوب إفريقية إضافة إلى ملاحقته للكتب والنشرات التى تهاجم الإسلام والرد عليها .

الصحافة الإسلامية :

هناك صحف ونشرات إسلامية متعددة تصدر في جنوب إفريقية وتوزع فيها وبعضها توزع في أنحاء أخرى من العالم مثل مجلة (مسلم دايجست) التى تصدر منذ أكثر من أربعين سنة .

وجريدة أخبار المسلمين (مسلم نيوز) في مدينة كيب تاون ومجلة (القلم) التى تصدر في دربن .

الوضع الإقتصادى والتجاري للمسلمين :

حوالى ٢٠ ٪ من مسلمي جنوب إفريقية يعملون في التجارة (تجارة جملة) (وتجارة تجزئة) كما يعمل المسلمون في الصناعة أيضاً وعلى وجه العموم فإن وضعهم الإقتصادى جيد .

و ٤٠ ٪ منهم من الفنيين .

أما المهنيون منهم كالأطباء والمحامين والمدرسين والمحاسبين والممرضات وموظفي المصالح فإن نسبتهم تصل إلى ١٥ ٪ .

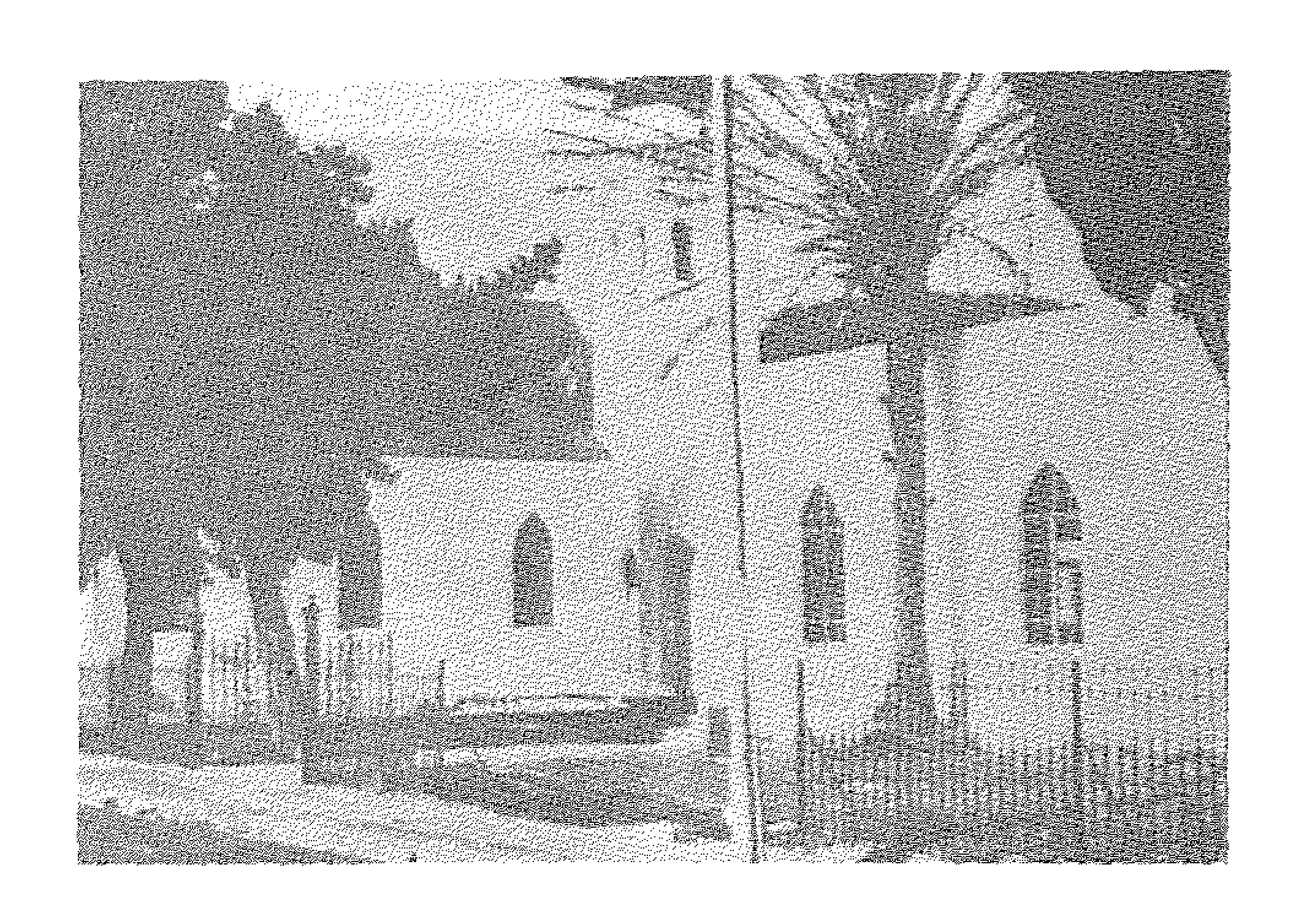
أما نسبة الـ ٢٥ ٪ المتبقية فيعملون بصفة شبه فنيين أو عمال عاديين .

وبالنسبة للعاملين في مصالح الدولة كالأطباء في المستشفيات فرواتبهم تقل عن رواتب البيض .

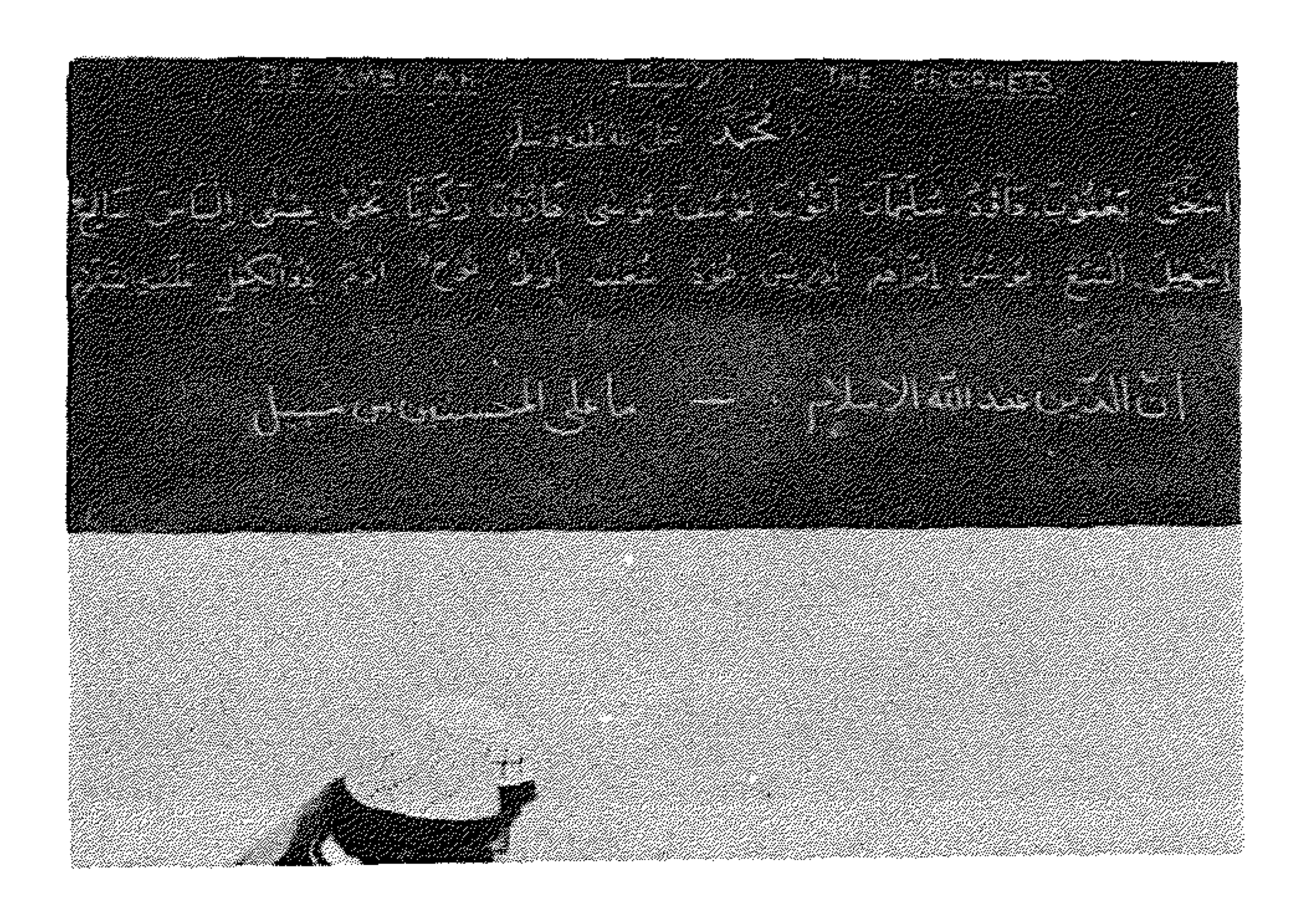
وهذا بالطبع – بالنسبة إلى المسلمين من أصل هندى أو ماليزى وأما المسلمون من أصول أوروبية أو تركية أو عربية ممن يصنفون مع البيض فإنهم مثل البيض في الرواتب ونحوها .

هل يتمتع المسلمون بالحرية الدينية ؟

يصرح للمسلمين ببناء المساجد والمدارس في المناطق المخصصة لهم والدولة لا تعارض الإسلام وإن كانت جنوب إفريقية دولة مسيحية وأغلبية مواطنيها مسيحيون فللمسلمين حق إقامة شعائرهم الدينية وإقامة مؤسساتهم التعليمية وهم يؤدون ذلك بحرية .



مسجد الجمعية في كلارمونت في مقاطعة الرأس



يعلمون العربية بالمدارس للصغار

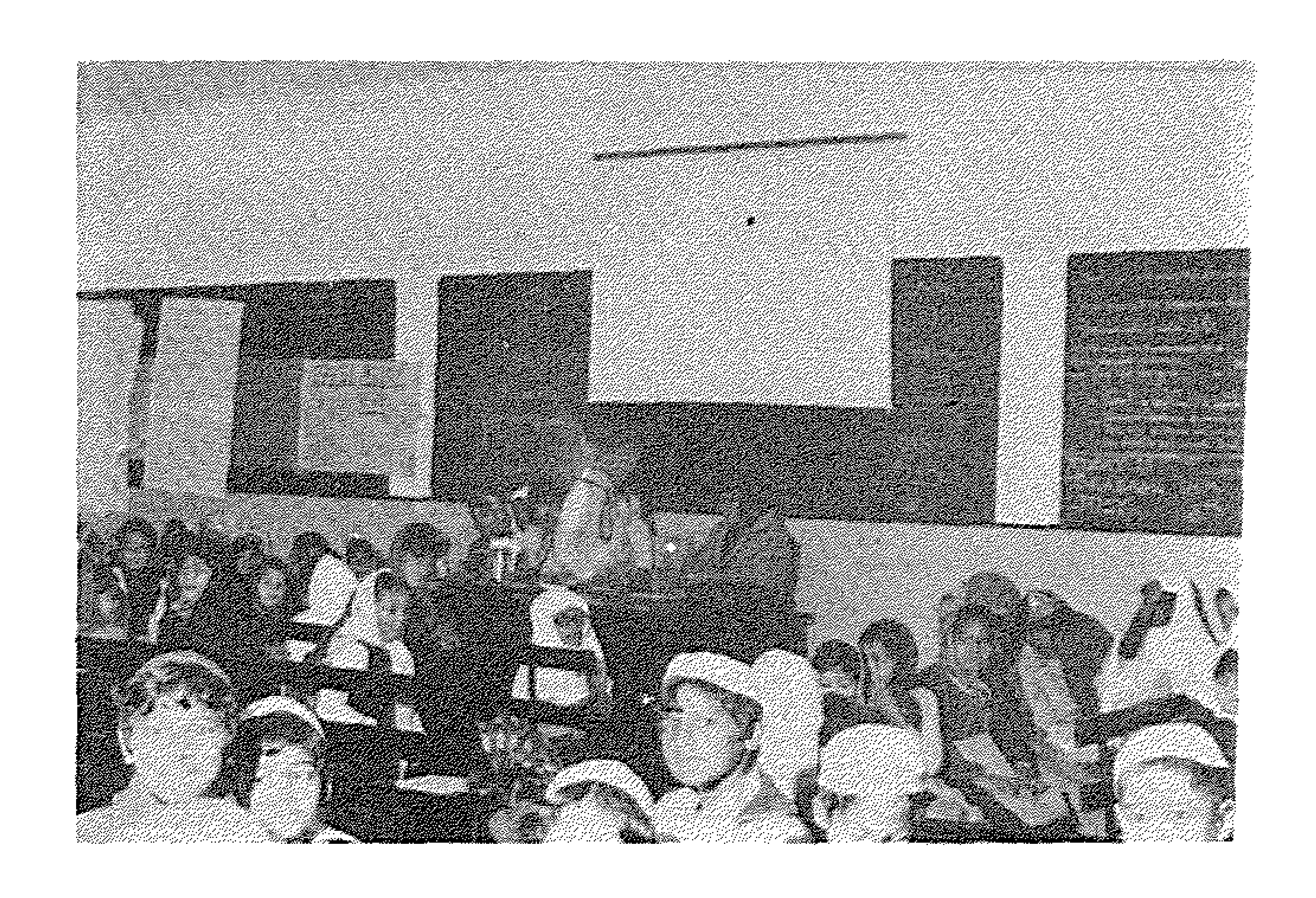
عدد المساجد والمدارس :

يوجد حوالى مائتين وخمسين مسجدا وأكبر ها مسجد الجمعة في مدينة (دربن) الذى يتسع لخمسة آلاف مصل ويقوم المسلمون بالإنفاق على جميع المساجد عن طريق الجمعيات والمتبرعين من أهل الخير .

وقد تكلمنا في اليوميات على طائفة من تلك المساجد .

التعليم الإسلامى للصغار :

مدارس الدولة علمانية ولذلك فإن المسلمين في كل منطقة يقيمون مدارس خاصة لتعليم الإسلام يذهب التلاميذ للمدارس الحكومية من ٨ صباحاً إلى ٢ بعد الظهر ثم يتوجهون إلى المدارس الإسلامية لمدة ساعتين فيما بعد فيتلقون الأسس في المسائل الإسلامية ويحفظون سوراً من القرآن الكريم وغالبا ماينتهي هذا الوضع بعد إنتهائهم من المرحلة الإبتدائية ليتفرغوا للدراسة الثانوية . كما توجد بعض المعاهد حيث يتلقى



أطفال من أولاد المسلمين يتلقون التوجيه الديني في مدرسة إسلامية

الطلبة فيها دراسات أقوى في الموضوعات الإسلامية وقد يحفظون القرآن الكريم أو أكثره ليصبحوا أئمة للمساجد وبعضهم يواصلون دراساتهم في الخارج كالهند وباكستان والقاهرة والمدينة المنورة ليكونوا بمثابة علماء الدين ومدرسين في المعاهد الإسلامية .

تعلم اللغة العربية :

جميع المدارس الإسلامية تدرس اللغة العربية ليتمكن التلاميذ من قراءة القرآن الكريم ولو أن اللغة العربية لا تدرس بصفة واسعة والنتيجة أن التلاميذ لايتكلمون ولايفهمون العربية ولكن هنالك تزايد في عدد الذين يتعلمون اللغة العربية بسبب انتشار أشرطة التسجيل والفصول الخاصة لتعليم اللغة .

وعلى مستوى الجامعة في (دربن) وهي الخاصة بالجالية الآسيوية فقط أنشأت قسما للغة العربية لمن يرغبون الحصول على درجة علمية فيها ومنذ وقت قريب أنشأت الجالية المسلمة في دربن معهدا للغة العربية والبحوث الإسلامية لتشجيع الكبار على تعلم العربية .

دور العلماء :

قام العلماء بدور فعال في المحافظة على تعالم الإسلام وأغلبهم قد درسوا وتدربوا على مختلف الدراسات في الخارج في معاهد إسلامية ولهم مجلسهم الخاص لبحث ما يتعلق بتفسير الشريعة أو الأمور الدينية وهناك جمعية العلماء في ناتال والمجلس التشريعي الإسلامي بمقاطعة (كيب تاون) وجمعية العلماء في ترنسفال مقرها جوهانسبرج ويرأسها الشيخ إبراهيم سنجالوى في الوقت الحاضر . والمحكمة الشرعية في (الكاب) وتقوم بإنجاز قضايا الزواج والطلاق والتركات .

وهناك المعهد الإسلامي الشرقي في مدينة (دربن) . والمعهد الإسلامي في جوهانسبرج الذي يقوم عليه الشيخ (إبراهيم ميا) عضو جمعية علماء الإسلام في ولاية ترنسفال .

إنتهى الكتاب ولله الحمد

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الصيد والقنص	٩٥
جولة أخرى في ضواحي جوهانسبرج	٩٧
الأعشاب البيضاء والأعشاب الملونة	٩٨
جامعة وت وترزز راند	١٠٠
جامعة السود	١٠١
الوقف الشيطاني	١٠٢
المقبرة البيضاء	١٠٢
فصل مسلم	١٠٤
ومسجد غريب آخر	١٠٨
إلى سويتو : حيّ السود	١٠٨
لا مسجد في سويتو	١١٠
مستشفى العيون السود	١١٢
نهاية الاسبوع	١١٩

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

المسلمون في جنوب إفريقية

الموضوع الصفحة

في

نيبال

بلاد الجبال

رحلة وحديث في شئون المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

مطابع الفرزدق التجاريـة	AL - FARAZDAK PRESS
تلفون { ٤٧٨٨٥١٠ الملـــز / ٤٨٢٤٩٨٣ الدرعية	TEL { 4788510 ALMALZ / 4824983 AL-DIRAYAH
ص.ب ١٧٩٨ الرياض ١١٤٤١	P.O. Box: 1798 Riyadh 11441
المملكة العربية السعودية	Saudi Arabia

